الكامل في اللغة والأدب

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد
النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها اهـ
ابن خلدون

الجزء الثاني

روجعت وقوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية
بمعرفة لجنة من العلماء

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص.ب ٥٧٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع زكريا باشا رقم ١٢

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

باب

قال أبو العباس نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحةٌ للقارئ وانتقالٌ ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف ونخلطُ ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح اليه القلبُ وتسكن اليه النفسُ قال أبو الدرداء رحمه الله اني لأستجمُّ نفسي بالشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحق وقال علي بن أبي طالب رحمه الله القلبُ اذا أُكره عمي وقال ابن مسعود رحمه الله القلوب تملُّ كما تملُّ الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة وقال ابن عباس رضي الله عنه العلمُ أكثر من أن يؤتى على آخره فخذوا من كل شيء أحسنه وليس هذا الحديث من الباب الذي ذكرنا ولكن نذكر الشيء بالشيء اما لاجتماعهما في لفظ واما لاشتراكهما في معنى وقال الحسن وليس من هذا الباب حادثوا هذه القلوب فانها سريعةُ الدثور واقدعوا هذه الانفس فانها طُلَعةٌ وانكم الا تزعوها تنزع بكم الى شر غاية وقد مضى

تفسير هذا الكلام وقال أردشير بن بابك ان للآذان مجة وللقلوب ملالا ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماماً وكان أنوشروان يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء ويروى انه أصيب فى حكمة آل داود لا ينبغى للعاقل ان يخلى نفسه من واحدة من أربع من غدوٍ لمعاد أو اصلاح لمعاش أو فكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده أو لذة فى غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه يوما يا أبت انك تنام نوم القائلة وذو الحاجة على بابك غير نائم فقال له يا بنى ان نفسى مطيتى فان حملت عليها فى التعب حسرتها تأويل قوله حسرتها بلغت بها أقصى غاية الاعياء قال الله جل وعز ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وأنشد أبو عبيدة

ان العسير بها داء مخامرها * فشطرها نظر العينين محسور

قوله فشطرها يريد قصدها ونحوها قال الله جل وعز فول وجهك شطر المسجد الحرام قال الشاعر

لهن الوجى لم كن عونا على النوى * ولا زال منها ظالع وحسير

يعنى الابل يقول هى المفرقة كما قال الآخر

ما فرق الالاف بعد الله الا الابل

ولا اذا صاح غرا * ب فى الديار احتملوا

وما غراب البين الا ناقة أو جمل

(قال أبو الحسن وزادنى فيه غير أبى العباس

والناس يلحون غرا * ب البين لما جهلوا

والبائس المسكين ما * تطوى عليه الرحل

ويقال انه لابى الشيص) قال أبو العباس فمن قال آلف للواحد قال للجميع ألاف كعامل وعمال وشارب وشراب وجاهل وجهال ومن قال الف قال للجميع آلاف بتقديره عدل

واعدال ورحل واحمال ونقل وانقال وقد أنصف الابل الذي يقول

ألا قرى الله الرواحل انها * مطايا قلوب العاشقين الرواحل
على انهن الواصلات عرى النوى * اذا ما نأى بالآلفين التواصل

وقال الآخر

اقول والهوجاء تمشي والفضل * قطعت الاحداج أعناق الابل

الهوجاء التي تجد في السير وتركب رأسها كأن بها هوجا كما قال * لله در اليعملات الهوج *
وكما قال الاعشى

وفيها اذا ما هجرت عجرفية * اذا خلت حرباء الوديقة أصيدا

والفضل مشية فيها اختيال كأن مشيتها تخرج عن خطامها فتفضل عليه والاصل في ذلك ان يمشي الرجل وقد أفضل من ازاره وتمشي المرأة وقد أفضلت من ذيلها وانما يفعل ذلك من الخيلاء ولذلك جاء في الحديث فضل الازار في النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي تميمة الهجيمي واياك والمخيلة فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبل الازار وقال الشاعر (ويقال انه لقيس بن الخطيم)

ولا ينسيني الحدثان عرضي * ولا أرخي من المرح الازارا

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصاري

تمشي الهوينا اذا مشت فضلا * كأنها عود بانة قصف

(قال أبو الحسن علي بن سليمان ما نعرف هذا البيت الا لقيس بن الخطيم الانصاري أعني تمشي الهوينا) وقال أبو العباس وقال الوليد بن يزيد

أنا الوليد الامام مفتخرا * أنعم بالي وأتبع الغزلا
أنقل رجلي الى مجالسها * ولا أبالي مقال من عذلا

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا * تَمْشِي الهُوَيْنَا إِذَا مَشَتْ فُضُلَا

ثم نعود الى الباب قال الراجز يعني ابله أو ناقته

انَّ لَهَا لَسَائِقًا خَدَلَّجَا * لَمْ يُدْلِجِ اللَّيْلَةَ فِيمَنْ أَدْلَجَا

الخَدَلَّجُ المُدَمَّجُ الساقين وانما عنى المرأة التي ساقه حبه اليها والكلام يجري على ضروب فمنه ما يكون في الاصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ومنه ما يقع مثلاً فيكون ابلغ في الوصف والكناية تقع على ثلاثة أضرب احدها التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمِ

وقال ذو الرمة استراحة الى التصريح من الكناية

أُحِبُّ المَكَانَ القَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِي * بِهِ أَتَغَنَّى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَمِ

وقال أحد القرشيين هو محمد بن نُمَير الثقفي

وَقَدْ أَرْسَلَتْ فِي السِّرِّ أَنْ قَدْ فَضَحْتَنِي * وَقَدْ بُحْتَ بِاسْمِي فِي النَّسِيبِ وَمَا تَكْنِي

ويروى ان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة قال شعرا وكتب به بحضرة ابن أبي عتيق الى امرأة مُحْرِمَة وهو

أَلِمَّا بِذَاتِ الخَالِ فَاسْتَطْلِعَا لَنَا * عَلَى العَهْدِ بَاقٍ وُدُّهَا أَمْ تَصَرَّمَا

وَقُولَا لَهَا إِنَّ النَّوَى أَجْنَبِيَّةٌ * بِنَا وَبِكُمْ قَدْ خِفْتُ أَنْ تَتَيَمَّمَا

قال فقال له ابن أبي عتيق ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا الشعر قال فلما كان بعد مُدَيْدَة قال له ابن أبي ربيعة أما علمت أن الجواب جاءنا من عند ذلك الانسان فقال له ما هو فقال كتبت

أَضْحَى قَرِيضُكَ بِالهَوَى نَمَّامَا * فَاقْصِدْ هُدِيتَ وَكُنْ لَهُ كَتَّامَا

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الخَالَ حِينَ ذَكَرْتَهُ * قَعَدَ العَدُوُّ بِهِ عَلَيْكَ وَقَامَا

ويكون من الكناية وذلك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المُفْحِش الى ما يدل على معناه

من غيره قال الله وله المثل الاعلى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم وقال أو لامستم النساء والملامسة في قول أهل المدينة مالك وأصحابه غير كناية انما هو اللمس بعينه يقولون في الرجل تقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة ان وضوءه قد انتقض وكذلك قولهم في قضاء الحاجة جاء فلان من الغائط وانما الغائط الوادي وكذلك المرأة قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فكم من غائط من دون سلمى * قليل الانس ليس به كتيع

وقال الله جل وعز في المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما كانا يأكلان الطعام وانما هو كناية عن قضاء الحاجة وقال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وانما هي كناية عن الفروج وهذا كثير والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية وهو ان يعظم الرجل ان يدعى باسمه ووقعت في الكلام على ضربين وقعت في الصبي على جهة التفاؤل بان يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه وفي الكبير ان ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وانما يقال كنى عن كذا بكذا أي ترك كذا الى كذا البعض ما ذكرنا وكان خالد بن عبد الله القسري لعنه الله يلعن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر فيقول فعل الله على علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة وأبي الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول أكنيت فهذا تأويل هذا قال أبو العباس ونرجع الى الباب الذي قصدناه قال اعرابي

وحقة مسك من نساء لبستها * شبابي وكاس باكرتني شمولها

جديدة سربال الشباب كانها * اباءة بردي سقتها غيولها

مخملة باللحم من دون خصرها * تطول القصار والطوال تطولها

قوله باكرتني شمولها زعم الاصمعي ان الخمر انما سميت شمولا لان لها عصفة كعصفة

الريح الشمال وقوله اباءة بردي الاباءة القصبة وجمعها الاباء قال كعب بن مالك الانصاري

من عمره ضرب يرعبل بعضه * بعضا كمعمعة الاباء المحرق

المعمعة صوت احراقه يقال سمعت معمعة القصب والقوصرة في النار اي صوت احتراقها واغا شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وماواه ورقته قال حميد بن ثور الهلالي

لم ألق عمرة بعد اذهي ناشئ * خرجت معطفة عليها مئزر

(العطاف الوشاح من النساء)

برزت عقيلة أربع هادينها * بيض الوجوه كانهن العنقر

(العنقر أصول القصب يقال عنقر وعنقر) وفي هذا الشعر

ذهبت بعقلك ريطة مطوية * وهي التي تهدى بها وتنشر

(قال أبو الحسن أنشدنيه ثعلب في قوله او تنشر تشعر)

فهممت ان أغشى اليها محجرا * ولمثلها يغشى اليه المحجر

وقوله سقتها غيول لها الغيل ههنا الاجمة ومن هذا قولهم أسد غيل قال طرفة

أسد غيل فاذا ماشربوا * وهبوا كل أمون وطمر

وقد أمليناجميع ما في الغيل والغيل وقوله تطول القصار والطوال تطولها طال يكون على ضربين أحدهما تقديره فعل وهو ما يقع في نفسه انتقالا لا يتعدى الى مفعول نحو ما كان كريما فكرم وما كان وضيعا ولقد وضع وما كان شريفا ولقد شرف وكان الشئ صغيرا فكبر وكذلك كان قصيرا فطال وأصله طول وقد أخبرنا بقصة الياء والواو اذا انفتح ماقبلهما وهما متحركان وعلى ذلك يقال في الفاعل فعيل نحو شريف وكريم وطويل فاذا قلت طاولني فطلته أي فعلوته طولا فتقديره فعل نحو خاصمني فخصمته وضاربني فضربته وفاعله طائل كقولك ضارب وخاصم وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الربعة واذا

مشى مع الطوال طالهم وقال رياح بن سُنَيْح الزنجي مولى بني ناجية وكان فصيحا يجيب جريرا لما قال جرير

لا تطلبن خؤولة في تغلب * فالزنج أكرم منهم أخوالا

فتحرك رياح فذكر أكثر من ولدته الزنج من أشراف العرب في قصيدة مشهورة معروفة يقول فيها

والزنج لولا قيتهم في صفهم * لاقيت ثَمَّ جحاجحا أبطالا

ما بال كلب بني كليب سبهم * ان لم يوازن حاجبا وعقالا

ان الفرزدق صخرة عادية * طالت فليس تنالها الأجبالا

يريد طالت الاجبال فليس تنالها ثم نعود الى ذكر الباب وقال مروان بن أبي حفصة وهو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة واسم أبي حفصة يزيد

ان الغواني طالما قتلننا * بعيونهن ولا يدين قتيلا

من كل آنسة كأن جمالها * ضمن أحور في الكناس كحيلا

أردين عروة والمرقش قبله * كلٌّ أصيب وما أطاق ذهولا

ولقد تركن أبا ذؤيب هائما * ولقد تبلن كثيرا وجميلا

وتركن لابن أبي ربيعة منطقا * فيهن أصبح سائرا محمولا

الا أكن ممن قتلن فانني * ممن تركن فؤاده مخبولا

قوله ولا يدين قتيلا يقال ودى يدي وكل ما كان من فعل مما فاؤه واو ومضارعه يفعل فالواو ساقطة منه لوقوعها بين ياء وكسرة وكذلك ما كان منه على فعل يفعل لان العلة في سقوط الواو كسرة العين بعدها وقد مضى تفسير هذا ولكن في يدين علة أخرى وهي ان الياء التي هي لام الفعل بعد كسرة فهي تعتل اعتلال آخر يرمي وأوله يعتل اعتلال واو يعد واحتمل علتين لان بينهما حاجزا ومثل ذلك وحى يحي ووقى يقي ووفى يفي ووشى يشي ونى في أمره يني وما أشبه

ذلك ويقع فى فعل نحو ولى الامير الآن يلى فاذا أمرت كان الفعل على حرف واحد فى الوصل لاتصاله عما بعده تقول يا زيد ع كلاما وش ثوبا وتقول ل عمرا يا زيد من وليت فاذا وقفت قلت له وشه وقه لا يكون الا ذلك لان الواو تسقط فتبتدئ بمتحرك فلا يحتاج الى ألف وصل فاذا وقفت احتجت الى ساكن تقف عليه فأدخلت الهاء لبيان الحركة فى الاول ولم يجز الا ذلك ومن قال لك الفظ لى بحرف واحد غير موصول فقد سألك محالا لانك لا تبتدئ الا بمتحرك ولا تقف الا على ساكن فقد قال لك الفظ لى بساكن متحرك فى حال وقوله ضمن يقال ضمن القبر زيدا وضمن القبر زيد كل صحيح فمن قال ضمن القبر زيدا فانما أراد جعل القبر ضمين زيد ومن قال ضمن زيد القبر فانما أراد جعل زيد فى ضمن القبر وينشد هذا البيت على وجهين (لابى حية النميرى)

وما غائب من غاب يرجى ايابه * ولكنه من ضمن اللحد غائب

ومن روى من ضمن اللحد غائب يريد من ضمنه اللحد وحذف الهاء من صلة من وهذا من الواضح الذى لا يحتاج الى تفسير وقوله أحور يعنى ظبيا وأهل الغريب يذهبون الى أن الحور فى العين شدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها والذى عليه العرب انما هو نقاء البياض فعند ذلك ينضح السواد وقد فسرنا الحور والحوارى والكناس حيث تكنس البقرة والظبية وهو أن تتخذ فى الشجرة العادية كالبيت تأوى اليه وتتعرفيه فيقال ان رائحته أطيب رائحة لطيب ما ترتعى قال ذو الرمة

اذا استهلت عليه غبية أرجت * مرابض العين حتى يأرج الخشب

كأنه بيت عطار يضمنه * لطائم المسك يحويها وتنتهب

قوله غبية هى الدفعة من المطر وعند ذلك تتحرك الرائحة والأرج توهج الريح وانما يستعمل فى الريح الطيبة والعين جمع عيناء يعنى البقرة الوحشية وبها شبهت المرأة فقيل حور عين

والظعينة الابل التي تحمل العطر والبز لا تكون لغير ذلك فيقول ضمن ظبيا أحور العين أكحل وجعل الجمال كالكناس وقال ابن عباس في قول الله جل وعز فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال اقسم ببقر الوحش لانها خنس الانوف والكنس التي تلزم الكناس وقال غيره اقسم بالنجوم التي تجري بالليل وتخنس بالنهار وهو الاكثر وقوله أردين يقول أهلكن والردى الهلاك والموت من ذا والذهول الانصراف يقال ذهل عن كذا وكذا اذا انصرف عنه الى غيره (قال الله عز وجل يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت أي تسلى وتنسى عنه الى غيره) قال كثير

صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل * وأضحى يريد الصرم أو يتدلل

وقوله ولقد تبلن كثيرا وجميلا أصل التبل الترة يقال تبلي عند فلان قال حسان بن ثابت

تبلت فؤادك في المنام خريدة * تشفي الضجيع ببارد بسام

والخريدة الحيية وقوله ممن تركن فؤاده مخبولا يريد الخبل وهو الجنون ولو قال مخبولا لكان حسنا يريد مصيدا واقعا في الحبالة كما قال الاعشى

فكلنا هائم في اثر صاحبه * دان وناء ومخبول ومختبل

وخبرت أن رجلا جافيا عشق قينة حضرية فكلمها وهما على ظهر الطريق فلم تكلمه فظن أن ذلك حياء منها فقال يا خريدة قد كنت أحسبك عروبا فانا لنا ثم قد تشنئينا فقالت يا ابن الخبيثة أتجمشني بالهمز الخريدة الحيية والعروب الحسنة التبعل وفسر في القرآن على ذلك في قوله عربا أترابا فقيل هن المحبات لازواجهن قال أوس بن حجر (ويقال عبيد ابن الابرص

وقد لهوت بمثل الرئم آنسة) * تصبي الحليم عروب غير مكلاح

وذكر الليثي أن رجلا أحب جارية ولم يكن يحسن مما يتوصل به الى النساء شيئا الا أنه كان

بحفظ القرآن فكان يتوصل اليها بالآية بعد الآية فكان ان وعدته فأخلفته تحين وقت مرورها فقال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وان خرجت نخرجة ولم تعلم بها فينتظر تحينها في أخرى فقال ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان وشى به اليها واش كتب اليها يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة * وذكروا أن أبا القاسم بن بحر السقاء عشق جارية مدنية فبعث اليها ان اخوانا لي زارونى فابعثي الى برؤس حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك ففعلت فلما كان اليوم الثانى بعث اليها ان القوم مقيمون لم نفترق فابعثي الى بقلية بجزورية وبقرية قديدية حتى نتغداها ونصطبح على ذكرك فلما كان في اليوم الثالث بعث اليها انا لم نفترق فابعثي الى بسنبوسك حتى نصطبح اليوم على ذكرك فقالت لرسوله انى رأيت الحب يحل في القلب ويفيض الى الكبد والأحشاء وان حب صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة وخبرت أن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يطلق له أن يهدى الى أمير المؤمنين المهدى في النيروز والمهرجان فأهدى في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب في حواشيه

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها
انى لأيأس منها ثم يطمعني * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة اليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتى وخدمتى أتدفعني الى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وقال املؤا هذه البرنية مالا فقال للكتاب أمر لى بدنانير فقالوا ما ندفع ذلك ولكن اذا شئت أعطيناك دراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف في ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكرى صفحا ودعت أبا الحرث جميز واحدة كان يحبها فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال جعلنى الله فداك لا أسمع للغداء ذكرا

قالت أما تستحي أما في وجهي ما يشغلك عن ذا قال لها جعلني الله فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئا لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا وأنشدت لاعرابي

وقد رابني من زهدم أن زهدما * يشد على خبزي ويبكي على جملي

فلو كنت عذري العلاقة لم تكن * سمينا وأنساك الهوى كثرة الاكل

وقال أعرابي

ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبا * وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

وقال ذو الرمة

ألم تعلمي يا مي أنا وبيننا * مهاو لطرف العين فيهن مطرح

ذكرتك ان مرت بنا أم شادن * أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة * شعاع الضحى في لونها يتوضح

هي الشبه أعطافا وجيدا ومقلة * ومية أبهى بعد منها وأملح

كأن البرى والعاج عيجت متونه * على عشر نهى به السيل أبطح

لئن كانت الدنيا علي كما أرى * تباريح من ذكراك للموت أروح

قوله مهاو واحدتها مهواة وهو الهواء بين الشيئين ويقال لفلان في داره مطرح اذا وصفها بالسعة ويقال فلان يطرح بصره كذا مرة وكذا مرة وأنشد سيبويه

نظارة حين تعلو الشمس راكبها * طرحا بعيني لياح فيه تحديد

اللياح من البياض واللوح العطش واللوح الهواء والشادن الذي قد شدن أي تحرك وقوله تشرئب يقال اذا وقف ينظر كالمتحير قد اشرأب نحوي ويقال هو يسرح في المرعى وقوله من المؤلفات يقال آلفت المكان أولفه ايلافا ويقال ألفته الفا وفي القرآن لايلاف قريش ايلافهم وقرئ الفهم على القصر وقوله الرمل النصب فيه أجود بالفعل ويجوز الخفض

على شيء نذكره بعد الفراغ من هذا الباب ان شاء الله وأصل الهجان الابيض والعطف ما انثنى من العنق قال ثانيَ عِطفه ويقال للاردية العُطُف لانها تقع على ذلك الموضع وفي الحديث ان قوما يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله وكان قائفا لينبتهم في قريش فقال اخرجوا بنا الى البقيع فنظر الى أكفهم ثم قال اطرحوا العُطُف واحدها عِطاف ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ثم أقبل عليهم فقال ليست بأكف قريش ولا شمائلها فاعطاهم فيمن هم منه والجِيد العنق والبُرى الخلاخيل واحدتها بُرة وهي من الناقة التي تقع في مارن الانف والذي يقع في العظم يقال له الخِشاش والعاج كان يتخذ مكان الاسورة قال جرير

ترى العبس الحولي جونا بكوعها * لها مسكا من غير عاج ولا ذبل

العبس ما يتعلق من الابعار والبول باذناب الابل والوذح الذي يتعلق باطراف ألايا الشاء ويكون العبس في أذناب الابل من البول اذا خثروا والجون ههنا الاسود وهو الاغلب فيه والكوع رأس الزَند الذي يلي الابهام والكُرسوع رأسه الذي يلي الخنصر والمَسَكة السوار والذبل شيء يتخذ من القرون كالاسورة ويقال سوار وسُوار واسوار قالت الخنساء

* كأنه تحت طي البرد اسوار * والعشر شجر بعينه والابطح ما انبطح من الوادي يقال أبطح وبطحاء يا فتى وأبرق وبرقاء وأمعز ومعزاء وهذا كثير والتباريح الشدائد يقال برّح به وفي الحديث فأين أصحاب النهر قال لقوا بَرحا والعرب لا تعرفه الا ساكن الراء قال جرير

ما كنتُ أوّل مشعوف أضرّ به * برْحُ الهوى وعذابٌ غير تفتير

(قال أبو الحسن وقد سمعنا من غير أبي العباس يقال لقيت منك بَرَحا بالفتح ويقال لقي منه البُرَحين أي الدواهي الشدائد التي تُبرّح) قال أبو العباس في المثل السائر قيل لرجل ما أخفى قال ما لم يكن وفي تفسير هذه الآية يعلم السر وأخفى قال ما حدثت به نفسك كما قال أو أكننتم

في أنفسكم وتقديره في العربية وأخفى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظم وانه لكالبقة أو أصغر ولو قال رأيت زيدا أو شبيها لجاز لان في الكلام دليلا ولو قال رأيت الجمل أو راكبا وهو يريد عليه لم يجز لانه لا دليل فيه والاول انما قرب شيأ من شيء وههنا انما ذكر شيأ ليس من شكل ما قبله فاما قوله جل ثناؤه وهو أهون عليه ففيه قولان أحدهما وهو المرضي عندنا انما هو وهو عليه هين لان الله جل وعز لا يكون عليه شيء أهون من شيء آخر وقد قال معن بن أوس

لعمرك ما أدري واني لأوجل * على أينا تغدو المنية أول

أراد واني لوجل وكذلك يتأول ما في الاذان الله أكبر الله أكبر أي الله كبير لانه انما يفاضل بين الشيئين اذا كانا من جنس يقال هذا أكبر من هذا اذا شاكله في باب فأما الله أجود من فلان والله أعلم بذلك منك فوجهه بين لانه من طريق العلم والمعرفة والبذل والاعطاء وقوم يقولون الله أكبر من كل شيء وليس يقع هذا على محض الرؤية لانه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء وكذلك قول الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

جائز أن يكون قال للذي يخاطبه من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة قال الراجز

قبحتم يا آل زيد نفرا * ألأم قوم أصغرا وأكبرا

يريد صغارا وكبارا فأما قول مالك بن نويرة في ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحرث بن شهاب وفخر بني أسد بذلك مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم

فخرت بنو أسد بمقتل واحد * صدقت بنو أسد عتيبة أفضل

فانما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلام وقد أبان ما قلنا في بيته الثاني بقوله

نفروا بعقله ولا يوفي به * مثنى سرائهم الذين تقتل

والقول الثاني في الآية وهو أهون عليه عندكم لان اعادة الشئ عند الناس أهون من ابتدائه حتى يجعل شيأ من لا شئ ثم نعود الى الباب قال زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * ولو خالها تخفى على الناس تعلم

فهذا مثل المثل الذي ذكرناه وقال عمرو بن العاص اذا أنا أفشيت سري الى صديقي فأذاعه فهو في حل فقيل له وكيف ذاك قال أنا كنت أحق بصيانته وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان

وأحسن ما سمع في هذا ما يعزى الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقائل يقول هو له ويقول آخرون قاله متمثلا ولم يختلف في أنه كان يكثر انشاده

فلا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

واني رأيت غواة الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا

وذكر العتبي أن معاوية أسر الى عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان حديثا قال عثمان فجئت الى أبي فقلت ان أمير المؤمنين أسر الي حديثا أفأحدثك به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت له أويدخل هذا بين الرجل وأبيه فقال لا ولكني أكره أن تذلل لسانك بافشاء السر قال فرجعت الى معاوية فذكرت ذلك له فقال معاوية أعتقك أخي من رق الخطأ وقال معاوية أعنت على علي رحمه الله بأربع كنت رجلا أكتم سري وكان رجلا ظهرة وكنت في أطوع جند وأصلحه وكان في أخبث جند وأعصاه وتركته وأصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون علي منه وان ظفر بهم اعتددت بها عليه في دينه وكنت أحب الى قريش منه فيا لك من جامع الي ومفرق عنه وعون لي وعون عليه وقال أردشير اذا في كل

مكتوم وقال الاخطل

ان العداوة تلقاها وان قدمت * كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

وقال جميل

ولا يسمعن سري وسرك ثالث * ألا كل سر جاوز اثنين شائع

وقال آخر وهو مسكين الدارمي

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم * على سر بعض غير انى جماعها
يظلون فى الارض الفضاء وسرهم * الى صخرة أعيا الرجال انصداعها
(لكل امرئ شعب من القلب فارغ * وموضع نجوى لا يرام اطلاعها)

وقال آخر

سأكتمه سري وأحفظ سره * ولا غرني أني عليه كريم
حليم فينسى أو جهول يضيعه * وما الناس الا جاهل وحليم

وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره ولم يبده لصديقه فيوشك أن يصير عدوا فيذيعه وقال آخر

ولى صاحب سري المكتم عنده * مخاريق نيران بليل تحرق
عطفت على أسراره فكسوتها * ثيابا من الكتمان لا تتخرق
فمن تكن الاسرار تطفو بصدره * فأسرار صدرى بالاحاديث تغرق
فلا تودعن الدهر سرك أحمقا * فانك ان أودعته منه أحمق
وحسبك فى ستر الاحاديث واعظا * من القول ما قال الاريب الموفق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال كعب بن سعد الغنوى

ولستُ بعبدٍ للرجال سريرتي * وما أنا عن أسرارهم بسؤول

(ولا أنا يوماً للحديث سمعته * الى ههنا من ههنا بنقول)

وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله ان هذا الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عنى ثلاثا لا يجربنّ عليك كذبا ولا تفشينّ له سرا ولا تغتب عنده أحدا فقيل لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف دينار فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال بعض المحدثين

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله

وقال آخر (قال أبو الحسن هو أبو العباس المبرد)

ان النموم أغطي دونه خبري * وليس لى حيلة فى مفترى الكذب

وقال بعض المحدثين

كتمت الهوى حتى اذا نطقت به * بوادر من دمع تسيل على خدى

وشاع الذى أضمرت من غير منطق * كأن ضمير القلب يرشح من جلدى

وقال جميل بن عبد الله بن معمر العذرى

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بنث وافشاء الحديث قمين

وتأويل قمين وحقيق وجدير وخليق واحد أى قريب من ذلك هذه حقيقته يقال قمن وقمين في معنى قال الحرث بن خالد المخزومى

من كان يسأل عنا اين منزلنا * فالاقحوانة منا منزل قمن

وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من باع دارا أو عقارا فلم يرد ثمنه فى مثله

فذلك مال قن الا يبارك فيه وقال الرقاشي

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاما تكلمنا باعيننا سرا

فنقضي ولم يعلم بنا كل حاجة * ولم نكشف النجوى ولم نهتك الستر

وقال معاوية لعياش بن صحار العبدي ما اقرب الاختصار قال لمحة دالة وقيل خير الكلام ما اغنى اختصاره عن اكثاره وقيل النمام سهم قاتل وقال بعض المحدثين

لا اكتم الاسرار لكن انمها * ولا ادع الاسرار تغلي على قلبي

وان احق الناس بالسخف لامرؤ * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر

وامنع جارتي من كل خير * وامشي بالنميمة بين صحبي

ويقال للنمام القتات وفي الحديث لا يراح القتات رائحة الجنة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث فقيل يا رسول الله ومن المثلث فقال الذي يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وقال معاوية للاحنف بن قيس في شيء بلغه عنه فانكر ذلك الاحنف فقال له معاوية بلغني عنك الثقة فقال له الاحنف يا امير المؤمنين ان الثقة لا يبلغ وقال احد الماضين (وهو طريح بن اسمعيل الثقفي)

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا * شرا اذيع وان لم يسمعوا كذبوا

وقال المهلب بن ابي صفرة ادنى اخلاق الشريف كتمان السر واعلى اخلاقه نسيان ما اسر اليه ويقال النكاح السر على غير وجهه وليس هذا من الباب الذي كنا فيه ولكن يذكر الشيء بالشيء وهذا حرف يغلط فيه لان قوما يجعلون السر الزنى وقوم يجعلونه الغشيان وكلا القولين خطأ انما هو الغشيان من غير وجهه قال الله تبارك وتعالى ولكن لا تواعدوهن

سرًا الآن تقولوا قولا معروفا فليس هذا موضع الزنى وقال الحطيئة

ويحرم سرجارتهم عليهم * ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال الأعشى لسلامة ذى فائش الحميرى

وقومك ان يضمنوا جارة * وكانوا بموضع أنضادها

فلن يطلبوا سرها للغنى * ولن يسلموها لأزهادها

فى هذا قولان أحدهما انهم لا يطلبون اجترارها اليهم على رغم أوليائها من أجل مالها غصبا للجوار ولا يسلمونها اذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة والآخر انهم لا يرغبون فى ذوات الأموال وانما يرغبون فى ذوات الأحساب اختيارا للأولاد وصيانة للأصهار أن يطمع فيهم من لا حسب له وقول الحطيئة * ويأكل جارهم أنف القصاع * انما يريد المستأنف الذى لم يؤكل قبل منه شئ يقال روضة أنف اذا لم ترع وكأس أنف اذا لم يشرب منها شئ قبل قال لقيط بن زرارة

ان الشواء والنشيل والرغف * والقينة الحسناء والكأس الأنف

* للطاعنين الخيل والخيل خنف *

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا ان نخرج فيه من حزن الى سهل ومن جد الى هزل ليستريح اليه القارئ ويدفع عن مستمعه الملال ونحن ذاكرون ذلك ان شاء الله تعالى قال بكر بن النطاح فى كلمة له يمدح فيها مالك بن على الخزاعى

عرضت عليها ما أرادت من المنى * لترضى فقالت قم فجئنا بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

فلو اننى أصبحت فى جود مالك * وعزته ما نال ذلك مطلبى

فتى شقيت أمواله بسماحه * كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقال الخليع في كلمة له يمدح بها عاصماً الغسانى

أقول ونفسى بين شوق وحسرة * وقد شخصت عينى ودمعى على خدى
أيحيى بقتل من تركت فؤاده * يلجلجه بين التأسف والجهد
فقالت عذاب فى الهوى قبل ميتة * وموت اذا أقرحت قلبك من بعدى
لقد فطنت للجور فطنة عاصم * لصنع الأيادى الغرّ فى طلب الحمد
سأشكوك فى الاشعار غير مقصر * الى عاصم ذى المكرمات وذى المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا * فتأمن نفسى منكم لوعة الصد

وقال اسمعيل بن القاسم

ان السلامة ان البشر من رجل * فى مثل ما أنت فيه ليس يكفينى
هذا زمان ألحّ الناس فيه على * زهو الملوك وأخلاق المساكين
أما علمت جزاك الله صالحة * عنى وزادك خيرا يا ابن يقطين
أنى أريدك للدنيا وعاجلها * ولا أريدك يوم الدين للدين

وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلبى فى كلمة يمدح بها اسحق بن ابراهيم

ان أكن مهديا لك الشعر انى * لابن بيت تهدى له الاشعار
غير أنى أراك من أهل بيت * ما على الحرّ ان يسود ه عار

وقال أيضا فى كلمة أخرى

واذا جددت فكل شئ نافع * واذا حددت فكل شئ ضائر
واذا أتاك مهلبى فى الوغى * والسيف فى يده فنعم الناصر

وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير أشهده المهلب بن أبى صفرة قالوا لا كان المهلب فى وجوه الخوارج قال أفشهده عباد بن الحصين الحبطى قالوا لا قال أفشهده عبد الله

ابن خازم السلمي قالوا الا فقتل عبد الله بن الزبير فقال

فقلت لها عيثي جعار وجرري * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

جعار اسم من اسماء الضبع وهي صفة غالبة لانه يقال لها جاعرة فهذا في بابه كفساق ولكاع وحلاق للمنية وقد فسرنا هذا الباب مستقصى على وجوهه الاربعة ويروى ان ابنة جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت له يوما

أهمام بن مرة حن قلبي * الى اللاتي يكن مع الرجال

فقال يا فساق أردت صفيحة ماضية فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي * الى صلعاء مشرفة القذال

فقال يا فجار أردت بيضة حصينة فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي * الى ا‍ير أشد به مبالي

قال فقتلها قال أبو العباس قال أبو الشمقمق وهو مروان بن محمد وزعم التوزي عن أبي عبيدة قال أبو الشمقمق ومنصور بن زياد ويحيى بن سليم الكاتب من أهل خراسان من بخارية عبيد الله بن زياد (وبخارية اسم قرية من قرى خراسان وبها كان عبيد الله بن زياد) وكان أبو الشمقمق ربما لحن ويهزل كثيرا ويجد فيكثر صوابه قال يمدح مالك بن علي الخزاعي ويذم سعيد بن سلم الباهلي

قد مررنا بمالك فوجدنا * مجوادا الى المكارم ينمي

ما يبالي أتاه ضيف بخف * أم أتته يأجوج من خلف ردم

فانتهينا الى سعيد بن سلم * فاذا ضيفه من الجوع يرمي

واذا خبزه عليه سكيك * سكهم الله ما بدا ضوء نجم

واذا خاتم النسيّ سليما * ن بن داود قد علاه بختم

فارتحلنا من عند هذا بحمد * وارتحلنا من عند هذا بذم

وقال عبد الصمد بن المعذّل يرثي سعيد بن سلم

كم صغير جبرته بعد يتم * وفقير نعشته بعد عدم

كلما عضت الحوادث نادى * رضي الله عن سعيد بن سلم

وقال سعيد بن سلم عرض لي اعرابي فمدحني فبلغ فقال

الا قل لساري الليل لا تخش ضلة * سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

لنا سيد اربى على كل سيد * جواد حثا في وجه كل جواد

قال فتأخرت عن بره قليلا فهجاني فبلغ فقال

لكل أخي مدح ثواب يعده * وليس لمدح الباهلي ثواب

مدحت ابن سلم والمديح مهزة * فكان كصفوان عليه تراب

وقال أبو الشمقمق

قال لي الناس زر سعيد بن سلم * قلت للناس لا أزور سعيدا

وأميري فتى خزاعة بالبصـ * ـرة قد عمها سماحا وجودا

ولنعم الفتى سعيد ولكن * مالك أكرم البرية عودا

فقال سعيد لوددت انه لم يكن ذكرني مع مالك وانه أخذ مني أمنيته وقال أبو الشمقمق أيضا

هيهات تضرب في حديد بارد * ان كنت تطمع في نوال سعيد

والله لو ملك البحار بأسرها * وأتاه سلم في زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره * لأبى وقال تيمن بصعيد

(ومثله قول الآخر

لو ان قصرك يا ابن يوسف كله * ابر يضيق بها فضاء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وقال مسلم بن الوليد

ديونك لا يقضى الزمان غريمها * وبخلك بخل الباهلي سعيد

سعيد بن سلم الأم الناس كلهم * وما قومه من بخله ببعيد

يزيد له فضل ولكن مزيدا * تدارك منا مجده بيزيد

خزيمة لا بأس به غير انه * لمطبخه قفل وباب حديد

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثي عمرو بن سعيد بن سلم وكان عمرو هلك بعد سعيد بيسير

رزينا أبا عمرو فقلنا لنا عمرو * سيكفيك ضوء البدر غيبوبة البدر

وكان أبو عمرو معاراً حياته * بعمرو فلما مات مات أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيد يوماً لسعيد بن سلم يا سعيد من بيت قيس في الجاهلية قال يا أمير المؤمنين بنو فزارة قال فمن بيتهم في الاسلام قال يا أمير المؤمنين من شرفتموه قال صدقت أنت وقومك وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشمي قال حدثني رجل من أهل مكة قال رأيت في منامي سعيد بن سلم في حياته وفي نعمته وكثرة عدد ولده وحسن مذهبه وكمال مروته قال فقلت في نفسي ما أجل ما أعطيه سعيد بن سلم فقال لي قائل وما ذخره الله له في الآخرة أكثر وكان سعيد بن سلم اذا استقبل السنة التي يستأنف فيها عدد سنيه أعتق نسمة وتصدق بعشرة آلاف درهم فقيل للمديني ان سعيد بن سلم يشتري نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم فقال اذاً لا يبيعه وقال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد بن سلم

أبني سعيد انكم من معشر * لا يعرفون كرامة الاضياف

قوم لباهلة بن يعصر ان هم * نسبوا وحسبهم لعبد مناف

قرنوا الغداء الى العشاء وقربوا * زاداً لعمر أبيك ليس بكاف

وكأنني لما حططت اليهم * رحلي نزلت بابرق العزاف

بينا كذاك أتاهم كبراؤهم * يلحون في التبذير والاسراف

وأنشدني المازني

سل الله ذا المن من فضله * ولا تسألن أبا وائله

فما سأل الله عبد له * فخاب ولو كان من باهله

(قال أبو الحسن وزادني بعض أصحابنا

ترى الباهلي على خبزه * اذا رامه آكل آكله)

وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس

أباهل ينبحني كلبكم * وأسدكم ككلاب العرب

ولو قيل للكلب يا باهلي * عوى الكلب من لؤم هذا النسب

وحدثني علي بن القاسم قال حدثني أبو قلابة الجرمي قال حججنا مرة مع أبي جزء بن عمرو بن سعيد قال وكنا في ذراه وهو اذ ذاك بهي وضي فجلسنا في المسجد الحرام الى أقوام من بني الحرث ابن كعب لم تر أفصح منهم فرأوا هيئة أبي جزء واعظامنا اياه مع جماله فقال قائل منهم له أمن أهل بيت الخليفة أنت قال لا ولكن رجل من العرب قال ممن الرجل قال رجل من مضر قال أعرض ثوب الملبس من أيها عافاك الله قال رجل من قيس قال أين يراد بك صر الى فصيلتك التي تؤويك قال رجل من بني سعد بن قيس قال اللهم غفرا من أيها عافاك الله قال رجل من بني يعصر قال من أيها قال رجل من باهلة قال قم عنا قال أبو قلابة فاقبلت على الحارثي فقلت أتعرف هذا قال ذكر انه باهلي فقلت هذا أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير قال حتى عددت خمسة ثم قلت هذا أبو جزء أمير ابن عمرو وكان أميرا ابن سعيد وكان أميرا ابن سلم وكان أميرا ابن قتيبة وكان أميرا فقال الحارثي الامير اعظم أم الخليفة فقلت بل الخليفة

قال أفالخليفة أعظم أم النبي قلت بل النبي قال والله لو عددت له في النبوة أضعاف ماعددت له في الامارة ثم كان باهليا ماعبأ الله به شيأ قال فكادت نفس أبي جزء تخرج فقلت انهض بنا فان هؤلاء أسوأ الناس آدابا (قال أبو الحسن يقال للرجل اذا سئل عن شئ فأجاب عن غيره أعرض ثوب الملبس أي أبدى غير ما اراد منه) وحدثت أن اعرابيا لقي رجلا من الحاج فقال له ممن الرجل قال باهلي قال أعيذك بالله من ذلك قال اي والله وأنا مع ذلك مولى لهم فأقبل الاعرابي يقبل يديه ويتمسح به قال له الرجل ولم تفعل ذاك قال لاني أثق بان الله عز وجل لم يبتلك بهذا في الدنيا الا وانت من أهل الجنة ويزعم الرقاشي أن قتيبة ابن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاث لم ير مثله والى آلات لم يسمع بمثلها فاراد أن يري الناس عظيم ما فتح الله عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور ترتقى بالسلالم فاذا ابا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا ترده فانه خبيث الجواب فأبى عبد الله الا ان يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا الى امرأة قبل ذاك فأقبل على الحضين فقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان قال أجل أسن عمك عن تسور الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو كان رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان قال له عبد الله يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول

عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل * تجر خصاها تبتغي من تحالف

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبة من يخيب على غني * وباهلة بن يعصر والركاب

(يريد يا خيبة من يخيب) قال أتعرف الذي يقول

كأنَّ فقاح الازد حول ابن مسمع * وقد عرقت أفواه بكر بن وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذى يقول

قوم قتيبة أمهم وأبوهم * لولا قتيبة أصبحوا فى مجهل

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيأ قال أقرأ منه الاكثر الاطيب هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال فأغضبه فقال والله لقد بلغنى أن امرأة الحضين حملت اليه وهى حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله ومايكون تلد غلاما على فراشى فيقال فلان بن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك هذا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وكان الحضين بيده لواء على بن أبى طالب رحمه الله على ربيعة وله يقول القائل

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حضين تقدما

والحرث بن وعلة يقول الاعشى وكان قصده فلم يحمده وعرج عنه الى هوذة بن على ذى التاج وهوذة من بنى حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل والحرث بن وعلة من بنى رقاش وهى امرأة وأبوهم مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر ابن وائل فقال الاعشى يذكر الحرث بن وعلة وهوذة بن على

أتيت حريثا زائرا عن جنابة * فكان حريث عن عطائى جامدا

اذا ما رأى ذا حاجة فكأنما * يرى أسدا فى بيته وأساودا

لعمرك ما أشبهت وعلة فى الندى * شمائله ولا أباه مجالدا

وان امرأ قد زرته قبل هذه * بجو لخير منك نفسا ووالدا

تضيفته يوما فقرب مجلسى * وأصفدنى على الزمانة قائدا

وأمتعنى على العشا بوليدة * فأبت بخير منك يا هوذ حامدا

فتى لو يبارى الشمس ألقت قناعها * أو القمر السارى لالقى المقالدا

يرى جمع مادون الثلاثين قصرة * ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

وهى كلمة قوله أبيت حريثا يريد الحرث وتصغيره على لفظه حويرث وهذا التصغير الآخر يقال له تصغير الترخيم وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغر حروفه الاصلية فتقول فى تصغير أحمد حميد لانه من الحمد وفى الحرث حريث لانه من الحرث وفى غضبان غضيب لانه من الغضب لان الالف والنون زائدتان وكذلك ذوات الاربعة تقول فى تصغير قنديل على لفظه قنيديل فان صغرته مرخما حذفت الياء فقلت قنيدل فعلى هذا يجرى الباب.

وقوله عن جنابة يقول عن غربة وبعد يقال هم نعم الحى لجارهم جار الجنابة أى الغربة يقال رجل جنب ورجل جانب أى غريب قال الله جل وعز والجار الجنب وقال الحطيئة

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا * فى آل لأى بن شماس بأكياس

وقال علقمة بن عبدة

فلا تحرمنى نائلا عن جنابة * فانى امرؤ وسط القباب غريب

فمن قال للواحد جنب قال للجميع أجناب كقولك عنق وأعناق وطنب وأطناب ومن قال للواحد جانب قال للجميع جناب كقولك راكب وركاب وضارب وضراب قالت الخنساء

أبكى أخاك لايتام وأرملة * وابكى أخاك اذا جاورت أجنابا

وان كان من الجنابة التى تصيب الرجل قلت رجل جنب ورجلان جنب وكذلك المرأة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جنبان وامرأة جنبة وقوم أجناب وقوله يرى آسدا فى بيته وأساودا يريد جمع أسود سالخ وأسود ههنا نعت ولكنه غالب فلذلك جرى ههنا مجرى الاسماء لانه يدل على الجنة وأفعل اذا كان نعتا بنفسه فجمعه فعل نحو أحمر وحمر وأسود وسود واذا كان نعتا فاجرى مجرى الاسماء فجمعه أفاعل نحو أساود وأجادل وأداهم اذا

أردت القَيْسَد لانه نعت غالب يجرى مجرى الاسماء وان أردت أدْهَم الذى هو نعت محض قلت دُهْم قال الاشهب بن رميلة

أسودُ شَرى لاقت أسود خفية * تساقوا على حَرد دماء الاساود

فاجراه مُجرى الاسماء نحو الأصاغر والاكابر والاحامد وقوله لعمرك ما أشبهت وعلة فى الندى شمائله فانه جعل شمائله بدلا من وعلة والتقدير ما أشبهت شمائلَ وعلةَ والبدل على أربعة أضرب فواحد منها أن يُبدَل أحدُ الاسمين من الآخر اذا رجعا الى واحد ولا تُبالى أمَعرفتَيْن كانا أم معرفة ونكرة وتقول مررتُ بأخيك زيد لان زيدا هو الاخ وكذلك مررت برجل عبد الله فهذا واحد وآخر أن يُبْدَل بعض الشئ منه نحو ضربت زيدا رأسَهُ لَمَّا قلت ضربت زيدا أردت أن تُبين موضع الضرب منه فمثلُ الاول قول الله تبارك وتعالى اهدنا الصراطَ المستقيم صراطَ الذين أنعمت عليهم وقوله وانك لتَهْدى الى صراط مستقيم صراط الله ولَنَسْفعًا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ومثلُ البدل الثانى قوله ولله على الناس حِجُّ البيت مَن استطاع اليه سبيلا مَنْ فى موضع خفض لانها بدل من الناس ومثلُه الا أنه أعيد حرف الخفض قال الذين استكبروا للذين استُضْعفوا لمَن آمن منهم والبَدَلُ الثالث مثلُ ما ذكرنا فى البيت أبدل شمائله منه وهى غيره لاشتمال المعنى عليها ونظير ذلك أسألتُك عن زيد أمْرِه لان السؤال عن الامر وتقول على هذا سُلب زيدٌ ثوبُه فالثوب غيره ولكن به وقع السَلْب كما وقعت المسئلة عن خبر زيد ونظير ذلك من القرآن يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه لان المسئلة انما كانت عن القتال هل يكون فى الشهر الحرام قال الشاعر (وهو الاخطل)

ان السُيوفَ غدوُّها ورواحُها * تَرَكَتْ هوازن مثلَ قرن الاعضب

وبَدَلٌ رابع لا يكون مثلُه فى القرآن ولا فى الشعر وهو أن يَغْلَطَ المتكلم فيَسْتدرِكَ غلطه أو ينسى فيذْكر فيرجع الى حقيقة ما يقصدُ له وذلك قولك مررتُ بالمسجد دار زيد أراد أن

يقول مررت بداود فقال زيد فأما ما نسي واما غلط فاستدرك فوضع الذي قصد له في موضع الذي غلط فيه وقوله بجوفه هي قصبة اليمامة وقوله تضيفته يوما انما هو تفعلته من الضيافة يقال ضفت الرجل أي نزلت به وأضافني أي أنزلني وقوله وأصفدني يقول أعطاني وهو الاصفاد والصفد الاسم والاصفاد المصدر قال النابغة * فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد * ويقال صفدت الرجل فهو مصفود من القيد ولا يقال في القيد أصفدت ولكن صفدته صفدا واسم القيد الصفد قال الله جل وعز مقرنين في الاصفاد كقولك جمل وأجمال وصنم وأصنام وقوله فتى لو يباري الشمس يقول يعارض يقال انبرى لي فلان أي اعترض لي في هذا المعنى وفلان يباري الريح من هذا أي يعارض الريح بجوده فهذا غير مهموز فاما بارأت الكرى فهو مهموز لانه من أبرأني وأبرأته ويقال برأ فلان من مرضه وبرئ يا فتى والمصدر منهما البرء فاعلم وبريت القلم غير مهموز والله البارئ المصور ويقال ما برأ الله مثل فلان مهموز وقولك البرية أصله من الهمز ويختار فيه تخفيف الهمز ولفظ التخفيف والبدل واحد وكذلك يختار في النبي التخفيف ومن جعل التخفيف لازما قال في جمعه أنبياء كما يفعل بذوات الياء والواو وتقول وصي وأوصياء وتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ومن همز الواحد قال في الجميع نبآء لانه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وقال العباس بن مرداس السلمي

يا خاتم النبآء انك مرسل * بالحق كل هدى السبيل هداكا

وقوله أو القمر الساري لالقى المقالدا فأسكن الياء ضرورة وانما جاز ذلك لان هذه الياء تسكن في الرفع والخفض فاذا احتاج الشاعر الى اسكانها في النصب قاس هذه الحركة على الحركتين الضمة والكسرة الساقطتين فشبهها بهما فجعلها كالالف التي في مثنى التي هي على هيئة واحدة في جميع الاعراب قال النابغة

رُدَّتْ عليه أقاصيه ولَبَّدَهُ * ضَرْبُ الوليدة بالمسحاة في الثَأَدِ

فأَسكَنَ الياء في أقاصيه وقال رُؤْبةُ

كأَنَّ أيديهنَّ بالقاع القَرِقْ * (أَيْدي جوارٍ يتعاطين الوَرِقْ)

وقال * سوَّى مَساحيهنَّ تَقْطيطُ الحُقَقْ * (ويروى تقطيط بالنصب وهو أجود لان

بعده * تَفْليلُ ما قارَعْنَ من سُمْرِ الطُرَقْ * والطُرُقُ جمع طُرْقة) وقال آخر

كَفَى بالنَأْيِ من أسماء كافِ * وليس لحبها ما عشتُ شافْ

وأما قوله وأَمنعني على العشا ولبدةٌ * فابت بخير منك يا هوذ حامدا

فانه كان يتحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المُخاطبةَ والعرب تَتْرُكُ مخاطبةَ

الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبةَ الشاهد الى مخاطبة الغائب قال الله جل وعز حتى

اذا كنتم في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بهم بريحٍ طَيِّبةٍ كانت المخاطبة للأُمَّةِ ثم انصرفتْ الى النبي صلى

الله عليه وسلم اخبارًا عنهم وقال عَنْترةُ

شَطَّتْ مَزارَ العاشقين فأصبحتْ * عَسِرًا عليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

فكان يتحدث عنها ثم خاطبها ومثل ذلك قول جرير

وتَرَى العَواذِلَ يبتدِرْنَ مَلامتي * فاذا أَرَدْنَ سوى هَواكِ عُصِينا

وقال الآخر

فدًى لكِ والدي وسَراةُ قومي * ومالي انَّهُ منه أتاني

وهذا كثير جدا وقوله يرى جمع ما دون الثلاثين قُصْرةً أي قليلا من الاقتصار ويروى

ويغمد ويعمد جميعا وكان هَوْذَةُ بن علي ذا قَدْرٍ عالٍ وكانت له خَرَزاتٌ تُنْظَمُ فتجعل على

رأسه تشبُّهًا بالملوك وحدثني التَوَّزِيُّ عن أبي عبيدة قال ما تَتَوَّجَ مَعَدِّيٌّ قطُّ انما كانت

التيجان لليمن قال فسألته عن قول الاعشى

مَن يرهودة يسجد غير متئب * اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

قال انما كانت خرزات تُنظَم له وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة كما كتب الى الملوك وكانت بنو حنيفة بن لُجَيم أصحاب اليمامة ويقول بعض النسابين ان عُبيد بن حنيفة كان أتى اليمامة وهى صحراء فاختطّها فجعل يركض حواليها ويخطّ برمحه فى الارض على ما أصاب من النخل وأنهم أكلوا ما أصابوا تحته من التمر فلما طلع لهم التمر بعد لم يهتدوا الصعود النخل فاقبلوا يجدونه حتى فكروا فاعدوا له السلالم فلما عمرت اليمامة جعلت العرب تنتجعهم لموضع التمر فيجاورون العزيز منهم وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقط ممن كانوا ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هنالك كانت لطسم وجديس والخبر فى ذلك مشهور بزرقاء اليمامة وقد ذكر ذلك الاعشى فى قوله

(ما نظرت ذات أشفار كنظرتها * حقا كما نطق الذئبى اذ سجعا)

قالت أرى رجلا فى كفه كتف * أو يخصف النعل لهفى أية صنعا

وكذبوها بما قالت فصبحهم * ذو آل غسان يزجى الموت والشرعا

وحدثنى التوزى عن أبى عبيدة والاصمعى عن أبى عمرو قال قال لى رجل من أهل القريتين أصبت ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس نخفت السلطان فاخفيتها وقد ذكر ذلك زهير فى قوله

عهدى بها يوم باب القريتين وقد * زال الهماليج بالفرسان واللجم

فاستبدلت بعد نادارا يمانية * ترعى الخريف فادنى دارها ظلم

وقال جرير يهجو بنى حنيفة

هجانى الناس من أحياء كلهم * حتى حنيفة تفسو فى مناحيها

(تعير بنو حنيفة بالفسولان بلادهم بلاد نخل فيأكلونه ويحدث فى أجوافهم الرياح

والقراقير)

أصحاب نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها

ذلت وأعطت يد السلم صاغرة * من بعدما كاد سيف الله يفنيها

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم * أضحوا عبيدا وثلث من مواليها

قوله مناحيها المنحاة مقام السانية على الحوض والحائط البستان وقوله من بعدما كاد سيف الله يفنيها يعني خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في وقعته بمسيلمة الكذاب وللنسابين بعد هذا قول منكر وقال جرير

أبني حنيفة نهنهوا سفهاءكم * اني أخاف عليكم أن أغضبا

أبني حنيفة انني ان أهجكم * أدع اليمامة لا توارى أرنبا

وقال عمارة بن عقيل

بل أيها الراكب الماضي لطيته * بلغ حنيفة وانشر فيهم الخبرا

أكان مسيلمة الكذاب قال لكم * لن تذركوا المجد حتى تغضبوا مضرا

مهلا حنيفة ان الحرب ان طرحت * عليكم بركها أمر عنهم الصبرا

البرك الصدر اذا فتحت الباء ذكرت وان أردت التانيث كسرت الباء قلت بركة قال الجعدي

ولو حاذرا عين في بركة * الى جؤجؤ رهل المنكب

وزعم الاصمعي أن زيادا كان يقال له أشعر بركا لانه كان أشعر الصدر وغير الاصمعي يزعم أن هذا كان يقال للوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وذكروا أن عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي قال يوما الا تعجبون لهذا أشعر بركا يولى مثل هذا المصر والله ما يحسن أن يقضي في تمرتين فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر أنشد الله رجلا سماني أشعر بركا الا قام فقام عدي بن حاتم فقال أيها الامير ان الذي يقوم فيقول أنا سميتك أشعر بركا لجرئ،

فقال اجلس يا أبا ظريف فقد برّأك الله منها فجلس وهو يقول والله ما برأني الله منها وكانت أمّ الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفانَ رحمهما الله وهي أرْوَى بنت كرَيز ابن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها البيضاء بنت عبد المطلب ابن هاشم ومن ثم قال الوليد لعلى بن أبي طالب رحمه الله أنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمي من حيث تلقاه بأبيك وكان يقال للبيضاء بنت عبد المطلب قُبّةُ الديباج واسمها أم حكيم ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أرْوَى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبنى هاشم لهذا السبب حين قُتِلَ عثمان رحمه الله :

بنى هاشم رُدُّوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوا ما لا تحلُّ مناهبه
بنى هاشم كيف الهوادة بيننا وعند علىّ دِرْعه ونجائبه
هم قتلوه كى يكونوا مكانه كما غدرَت يوما بكسرى مرازبه

وهذا القول باطل وكان عروة بن الزبير إذا ذكر مقتل عثمان يقول كان علىٌّ أتقى لله من أن يعين فى قتل عثمان وكان عثمان أتقى لله من أن يعين فى قتل على وقال الوليد بن عقبة :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثةٍ قتيل التجُوبى الذى جاء من مصر
ومالى لا أبكى وتبكى أقاربى وقد حجبت عنا فضول أبى عمرو

وقال ليلى الأخيَلية أنشدنيه الرياشى عن الأصمعى :

أبعد عثمان ترجو الخيرَ أمته وكان آمَنَ مَن يمشى على ساقِ
خليفة الله أعطاهم وخولهم ما كان من ذهب جم وأوراق
فلا تُكذّب بوعد الله وارضَ به ولا توكل على شىء بإشفاق
ولا تقولن لشىء سوف أفعله قد قدَّر الله ما كل امرئ لاق

وقال آخر :

ألا قل لقوم شاربى كأس عَلقمٍ بقتلِ إمام بالمدينة مُحرِم

قتلتم أمين الله فى غير ردة * ولا حد احصان ولا قتل مسلم
تعالوا فقفوا نوبا فان كان قتله * لواحدة منها تحل لكم دمى
والا فاعظم بالذى قد أتيتم * ومن يأت ما لم يرضه الله يظلم
فلا يهنئن الشامتين مصابه * تخطفهم من قتله حرب جرهم

وأنشد فى الرياشى عن الاصمعى (قال أبو الحسن هذا الشعر لابن الغريرة الضبى)

لعمر أبيك فلا تذهلن * لقد ذهب الخير الا قليلا
وقد فتن الناس فى دينهم * وخلى ابن عفان شرا طويلا

ومثله قول الراعى

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما * ودعا فلم أر مثله مخذولا
فتفرقت من بعد ذاك عصاهم * شققا وأصبح سيفهم مفلولا

قوله محرما يريد فى الشهر الحرام وكان قتل فى أيام التشريق رحمه الله وقال أيمن بن خريم بن فاتك الاسدى وكانت له صحبة

تفاقد الذابحو عثمان ضاحية * أى قتيل حرام ذبحوا ذبحوا
ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم * يخشوا على مطمح الكف الذى طمحوا
فاى سنة جور سن أولهم * وباب جور على سلطانهم فتحوا
ماذا أرادوا أضل الله سعيهم * من سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا
فاستوردتهم سيوف المسلمين على * تمام ظمء كما يستورد النضح
ان الذين تولوا قتله سفها * لاقوا أثاما وخسرانا فما ربحوا

الظمء ما بين الشربتين وقوله ضحوا بعثمان انما أصله فعل فى الضحى قال زهير

ضحوا قليلا على كثبان أسنمة * ومنهم بالقسوميات معترك

أى نزلوه ضحى و يقال بيّتوا إذا أتى فعلوه ليلا قال الله جل وعز إذ يبيّتون ما لا يرضى من القول وأنشد أبو عبيدة

أتوني فلم أرض ما بيّتوا * وكانوا أتوني بأمر نُكُر

لأنكح أيّمهم منذرا * وهل يُنكح العبدَ حُرٌّ لحر

وقوله فى سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحه أى فى صب ذاك الدم يقال سفحت دمه وسفكت دمه قال الله تبارك وتعالى إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا وقوله على تمام ظمء فهذا مثل وأصل الظمء أن تشرب الإبل يوما ثم تغب يوما لا ترد الماء فما بين الشرب يسمى ظمأ فيكون الظمء يومين فيقال له الربع كما يقال فى الحمى لأنهم يعتدون بيومى شربها والخمس أن تظمأ ثلاثة أيام والنضح الحوض والآثام الهلاك قال الله عز ذكره ومن يفعل ذلك يلق أثاما ثم فسر فقال يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا فجزم يضاعف لأنه بدل من قوله يلق أثاما إذ كان إياه فى المعنى وأنشدنى أبو عبيدة

جزى الله ابن عروة إذ لحقنا * عقوقا والعقوق من الأثام

وقوله على مطمح الكف يقول على رفعها وإبعادها يقال طمح بصره إذا ارتفع وأبعد النظر قال امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسنى من دائه ما تلبسا

٤٧ - باب

قال أبو العباس وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذى ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ما مر لامرئ القيس فى كلام مختصر أى بيت واحد من تشبيه شىء فى حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

فهذا مفهوم المعنى فان اعترض معترض فقال فهلا فصل فقال كأنه رطبا العناب وكأنه يابسا الحشف قيل له العربى الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهوما ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا قال الله جل وعز وله المثل الأعلى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله علما بان المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

ومن ذلك قوله

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقد أكثر الناس فى الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ ومن أعجب التشبيه قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وقوله خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

وقوله فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومن عجيب التشبيه قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها * على قمة الرأس ابن ماء محلق

وقوله لجاءت بنسج العنكبوت كأنه * على عصويها سابرى مشبرق

ونأو بل هذا أنه يصف ماء قديما لا عهد له بالواردة فقد اصفر واسود فقال

وماء قديم العهد بالانس آجن * كأن الدبى ماء الغضا فيه يبصق

وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل فى وصف الماء الآجن حيث يقول

اذا وردت ماء كأن جمامه * من الاجن حناء معا وصبيب

فقال ذو الرمة فى وصف هذا الماء فقرن بتغيره بعد مطلبه

فأدلى غلامى دلوه يبتغى بها * شفاء الصدى والليل أدهم أبلق

يريد أن الفجر قد نجم فيه فجاءت يعنى الدلو بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابرى مشبرق والسابرى الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق الممزق وأنشد أبو زيد

لهونا بسربال الشباب ملاوة * فأصبح سربال الشباب شبارقا

ومن التشبيه العجيب قول ذى الرمة فى صفة الظليم

شخت الجزارة مثل البيت سائره * من المسوح خدب شوقب خشب

الشخت الضئيل اليابس الضعيف والجزارة القوائم وقوله مثل البيت سائره من المسوح يعنى اذا مد جناحيه وانما أخذه من قول علقمة بن عبدة

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه * بيت أطافت به خرقاء مهجوم

الصعل الصغير الرأس والخرقاء التى لا تحسن شيأ فهى تفسد ما عرضت له قال الحطيئة

هم صنعوا لجارهم وليست * يد الخرقاء مثل يد الصناع

والمهجوم المهدوم وفى الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت فى بكر بن وائل الا هجم أى هدم والخدب الضخم والشوقب الطويل والخشب الذى ليس يلين على من نزل به ومن التشبيه المصيب قوله فى صفة روضة

قرحاء حواء أشراطية وكفت * فيها الذهاب وحفتها البراعيم

قرحاء يريد الأنوار وقوله حواء يقول تضرب الى السواد لشدة ريها وخضرتها وكذلك المفسرون يقولون فى قول الله جل وعز مدهامتان تضربان الى الدهمة لشدة خضرتهما وريهما وقوله أشراطية ليس مما قصد ناله ولكنه مما يجرى فيفسر ومعناه أنها مطرت

بنو الشرطين وحدثني الزيادي قال سمعت الاصمعي وسئل بحضرتي أو سألته عن قوله أشراطيه فقال بأسنه واستغرمه وذلك أن الاصمعي كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الانواء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرت النجوم فامسكوا الان الخبر في هذا بعينه مطرنا بنوء كذا وكذا وكان لا يفسر ولا ينشد شعرا فيه هجاء وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره شيأ من القرآن هكذا يقول أصحابه وسئل عن قول الشماخ

طوى ظمأها في بيضة الصيف بعدما * جرى في عنان الشعريين الاماعز

فأبى أن يفسر في عنان الشعريين وأما قوله الذهاب فهي الامطار الليّنة الدائمة ويقال انها أنجع المطر في النبت وكذلك العهاد وأنشد الاصمعي

أمير عم بالنعماء حتى * كأن الارض جللها العهاد

والبراعيم واحدتها برعومة وهي أكمة الروض قبل أن تتفتق يقال لواحدها كم وكمام فمن قال كمام فجمعه أكمة مثل صمام وأصمة وزمام وأزمة ومن قال كم فالجماع أكمام قال الله عز وجل والنخل ذات الاكمام ومن ذلك قول الآخر أحسبه توبة بن الحمير (قال أبو الحسن يقال انه لمجنون بني عامر وهو الصواب)

كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح

قطاة غرها شرك فباتت * تعالجه وقد علق الجناح

(لها فرخان قد غلقا بوكر * فعشهما تصفقه الرياح

فلا بالليل نالت ما ترجي * ولا بالصبح كان لها براح)

وبروى تجاذبه فهذا غاية الاضطراب وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار وقال الشيباني للعجاج

هلا برزت الى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر

فهذا يجوز أن يكون في الخفقان وفي الذهاب البتة ومن التشبيه المحمود قول الشاعر

طليق الله لم يَمْنُن عليه * أبو داود وابن أبي كثير
ولا الحجاج عيني بنت ماء * تُقلّب طرفها حذر الصقور

وهذا غاية في صفة الجبان ونصب عيني بنت ماء على الذم وتأويله أنه اذا قال جاءني عبد الله الفاسقَ الخبيثَ فليس يقول الا وقد عرفه بالخُبث والفسق فنصبه بأعني وما أشبهه من الافعال نحو أذكُر وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح وقول الله تبارك وتعالى والمقيمين الصلاة بعد قوله لكن الراسخون في العلم منهم انما هو على هذا ومن زعم أنه أراد ومن المقيمين الصلاة فخطئ في قول البصريين لانهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض ومن أجازه من غيرهم فعلى قُبح كالضرورة والقرآنُ انما يُحمَل على أشرف المذاهب وقرأ حمزة الذي تَسّاءلون به والأرحامِ وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يضطر اليه شاعرٌ كما قال

فاليوم قرّبتَ تهجونا وتشتمنا * فاذهب فما بك والايام من عجب

وقرأ عيسى بن عمر وامرأتُه حمّالةَ الحطب أراد وامرأته في جيدها حبلٌ من مسد فنصب حمّالةَ على الذم ومن قال ان امرأته مرتفعة بقوله سيصلى نارا ذات لهب فهو يجوز وليس بالوجه أن يعطف المُظهَر المرفوع على المضمر حتى يؤكد نحو اذهب أنت وربُّك فقاتلا واسكُن أنت وزوجُك الجنة فأما قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانه لما طال الكلام وزادت فيه لا احتمل الحذف وهذا على قبحه جائز أعني ذهبتُ وزيدٌ وأذهبُ وعمرٌو وقال جرير

ورجا الأُخَيطِلُ من سفاهة رأيه * ما لم يكن وأبٌ له لينالا

وقال ابن أبي ربيعة

قلت اذ أقبلت وزُهرٌ تهادى * كنعاج الملا تعسّفن رملا

ومما ينصب على الذم قول النابغة

لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بِهَيِّنٍ * لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأَقارعُ

أَقارعَ عوفٍ لا أُحاولُ غيرَها * وُجُوهَ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَن تُخادعُ

وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ العَبْسيُّ

سَقَوْنِي الخَمْرَ ثم تَكَنَّفُونِي * عُداةَ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ

والعربُ تُنْشِدُ قولَ حاتمٍ الطائيِّ رفعاً ونصباً

إن كنتِ كارهةً معيشتَنا * هاتا فَحُلِّي في بني بَدْرِ

الضاربينَ لدى أَعِنَّتِهِمْ * والطاعنينَ وخيلُهُم تَجْرِي

وإنما خفضوهما على النعت ورُبَّما رفعوهما على القطع والابتداء، وكذلك قول الخِرْنِقِ بنت

هَفَّانَ القَيْسِيَّةِ من بني قَيْسِ بن ثَعْلَبَة

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُ * سُمُّ العُداةِ وآفَةُ الجُزْرِ

النازلين بكلِّ مُعْتَرَكٍ * والطَّيِّبِينَ مَعاقِدَ الأُزُرِ

وكلُّ ما كان من هذا فعلى هذا أكثرُ إنشاده وإن لم يُرِدْ مَدْحاً ولا ذَمّاً قد استقرَّ له فوجهه النعت

وقرأ بعض القراء فتبارك اللهُ أحسنَ الخالقين وأكثرُ ما تُنْشِدُ العربُ بيتَ ذي الرُّمَّةِ نصباً

لأنه لما ذكر ما يَحِنُّ إليه ويَصْبُو إلى قُرْبِه أشاد بذكر ما قد كان يَبْغِي فقال

ديارَ مَيَّةَ إذ مَيٌّ تُساعِفُنا * ولا يَرَى مِثْلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله

بيضاءُ في دَعَجٍ صفراءُ في نَعَجٍ * كأنها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

وفيها من التشبيه المصيب

تشكو الخشاشُ ومجرى النَّسْعَتَيْنِ كما * أَنَّ المريضُ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ

الخشاشُ ما كان في عَظمِ الانف وما كان في المارن فهو بُرَةٌ يقال أَبرَيْتُ الناقة فهي مُبراة
قال الشمّاخ وهذا من التشبيه العجيب

فقربت مبراةً تخال ضلوعها * من الماسخيات القسيَّ الموتَّرا

وماسخة من بني نصر من الأزد واليهم نُسبت القسيُّ الماسخيّةُ وأحسن ما قيل في صفة
الضلوع واشباكها قول الراعي

وكأنما انتطحت على أثباجها * قُدُرٌ بشابة قد تممن وعولا

القادر المسن من الوعول وذو الرمة أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدي

اذا ما قمت أرحلها بليل * تأوّه آهة الرجل الحزين

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة

كأنّ ابريقهم ظبيٌ على شرفٍ * مفدّم بسبا الكتّان ملثوم

فهذا حسن جدا وقال أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدّوس بن شبث بن ربعي الرياحيّ
من بني رياح بن يربوع وكان شبث سيد بني يربوع بالكوفة

مُفَدَّمة قزّا كأنّ رقابها * رقابُ بنات الماء أفزعها الرعدُ

وكان أبو الهندي قد غلب عليه الشراب على كرم منصبه وشرف أُسرته حتى كاد يبطله
وكان عجيب الجواب فجلس اليه رجل مرة يعرف ببرزين المناقير وكان أبوه صُلب في خرابة
والخرابة عندهم سَرِقُ الابل خاصة فأقبل يُعرِّضُ لابي الهنديّ بالشراب فلما أكثر عليه
قال أبو الهندي أحدهم يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع في است أبيه وفي الخرابة
يقول الراجز

والخاربُ اللصُّ يحبُّ الخاربا * وتلك قربى مثل أن تناسبا

* أن تشبه الضرائبُ الضرائبا *

وقال الآخر

انْتِ الطريقَ واجتنبْ أرماما * انَّ بها أكتلَ أو رزاما

* خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفانِ الهاما *

(زاد أبو الحسن * لم يتركا لمسلم طعاما *) نصبَ خويربين على أعني لا يكون غير ذلك لانه انما أثبت أحدهما بقوله أو ومرَّ نصر بن سيَّار الليثي بأبي الهندي وهو يميل سُكْرا فقال له أفسدتَ شرفك فقال أبو الهندي لولم أفسد شرفي لم تكن أنت والي خراسان وحجَّ به نصرُ بن سيار مرة فلما وردا الحرمَ قال له نصر انك بفناء بيت الله وبمحلِّ وفوده فدَعْ لي الشرابَ حتى ينفر الناس واحتكمْ عليَّ ففعل فلما كان يوم النفر أخذ الشراب فوضعه بين يديه وأقبل يشرب ويبكي ويقول

رضيعُ مُدامٍ فارقَ الراحَ روحُهُ * فظلَّ عليها مُسْتَهِلَّ المَدامعِ

أديرا على الكاسَ اني فقدتُها * كما فقدَ المفطومُ درَّ المَراضعِ

وكان يشربُ مع قيس بن أبي الوليد الكناني وكان أبو الوليد ناسكًا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه وقال أبو الهندي

قل للسَّرِي أبي قيس أتُوعِدُنا * ودارُنا أصبحتْ من داركم صَدَدا

أبا الوليد أما والله لو عَمِلَتْ * فيكَ الشمولُ لما حرَّمْتَها أبدا

ولا نسيتَ حُمَيَّاها ولذَّتَها * ولا عدلْتَ بها مالا ولا ولدا

ثم نرجع الى التشبيه وربما عرضَ الشيءُ والمقصودُ غيره فيُذكر للفائدة تقع فيه ثم يعاد الى أصل الباب قال أبو العباس وقال عُروةُ بن حزام العُذْريُّ

كأنَّ قطاةً عُلِّقتْ بجناحها * على كبدي من شدة الخفقانِ

ويقال ان المرأة اذا كانت مُبغِضةً لزوجها فآيةُ ذلك أن تكون عند قُربه منها مُرَتَدَّةَ النظر

عنه كأنما تنظر الى انسان من ورائه واذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه واذا نهض نظرت من ورائه الى شخصه حتى يزول عنها فقال رجل أردت أن أعلم كيف حالى عند امرأتى فالتفت وقد نهضت من بين يديها فاذا هى تكلح فى قفاى وقال الفرزدق فى هذا المعنى والنوار تخاصمه عند عبد الله بن الزبير

فدونكها يا ابن الزبير فانها * مولعة توهى الحجارة قيلها

اذا جلست عند الامام كأنها * ترى رفقة من خلفها تستحيلها

قوله مولعة يقول مولعة بالنظر مرة ههنا ومرة ههنا وقوله ترى رفقة يقال رفقة ورفقة ومعنى تستحيلها تتبين حالاتها قال حميد بن ثور

مروعة تستحيل الشخوص * من الخوف تسمع ما لا ترى

(قوله مروعة يقول كل شئ يدنيني من الظفر بها يروعها وينفرها)

ومن عجيب التشبيه قول جرير فيما يكنى عن ذكره

ترى الصيبان عاكفة عليها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويقال ان الفرزدق حين أنشد النصف الاول ضرب بيده الى عنفقته توقعا لعجز البيت ومن التشبيه الحسن قول جرير فى صفة الخيل

يشتفن للنظر البعيد كأنما * ارنانها ببوائن الأشطان

قوله يشتفن ويتشوفن فى معنى واحد وقوله كأنما ارنانها ببوائن الأشطان أراد شدة صهيلها يقول كأنما يصهلن فى آبار واسعة تبين أشطانها عن نواحيها ونظير ذلك قول النابغة الجعدى

ويصهل فى مثل جوف الطوى * صهيلا يبين للمعرب

المعرب العالم بالخيل العراب ومن حسن التشبيه قول عنترة

غادرت نضلة في معرك * يجر الاسنة كالمحتطب

يقول طعن وغودرت الرماح فيه فظل يجرها كأنه حامل حطب ومن التشبيه المتجاوز المفرط قول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فجعلت المهتدي يأتم به وجعلته كنار في رأس علم والعلم الجبل قال جرير

* اذا قطعن علما بدا علم * وقال الله جل ثناؤه وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام

ومن هذا الضرب من التشبيه قول العجاج * تقضي البازي اذا البازي كسر *

والتقضي الانقضاض وانما أراد سرعتها والعرب تبدل كثيرا الياء من أحد التضعيفين فيقولون تظنيت والاصل تظننت لانه تفعلت من الظن وكذلك تقضيت من الانقضاض أي تقضضت وكذلك تسريت ومثل هذا كثير ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار

كأن فؤاده كرة تنزى * حذار البين ان نفع الحذار

(يروعه السرار بكل أمر * مخافة أن يكون به السرار)

وفي هذه القصيدة

جفت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصار

أقول وليلتي تزداد طولا * أما لليل بعدهم نهار

وقال الحسن بن هاني في صفة الخمر

فاذا ما لمستها فهباء * تمنع اللمس ماتبيح العيونا

درس الدهر ما تجسم منها * وتبقى لبابها المكنونا

فهي بكر كأنها كل شيء * يتمنى مخير أن يكونا

في كؤوس كأنهن نجوم * جاريات بروجها أيدينا

طالعات مع السقاة علينا * فاذا ماغربن يغربن فينا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على سخف كلام المحدثين وقال الحنفى وهو اسحق بن خلف فى صفة السيف

ألقى بجانب خصره * أمضى من الأجل المتاح

فكانما ذر الهبا * عليه أنفاس الرياح

وقال مسلم بن الوليد الانصارى فى مدحه يزيد بن مزيد

تمضى المنايا كما تمضى أسنته * كان فى سرجه بدرا وضرغاما

وقال دعبل بن على فى صفة مصلوب

لم أر صفا مثل صف الزط * تسعين منهم صلبوا فى خط

من كل عال جذعه بالشط * كانه فى جذعه المشتط

أخو نعاس جد فى التمطى * قد خامر النوم ولم يغط

(وقال آخر فى صفة مصلوب وهو يزيد المهلبى

قام ولما يستعن بساقه * آلف مثواه على فراقه

* كانما يضحك فى أشداقه *

أراد بياض الشريط فى فيه) وقال أعرابى فى صفة مصلوب (وهو الاخطل قال أبو الحسن الاخطل الذى يعنى رجل محدث من أهل البصرة و يعرف بالأخيطل و يلقب برقوقا وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يدلس به)

كانه عاشق قد مد صفحته * يوم الفراق الى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

(وقال مسلم بن الوليد

وضعته حيث ترتاب الرياح به * ويحسد الطير فيه أضبع البلد

وقال حبيب بن أوس (قال أبو الحسن يعني به اسحق بن ابراهيم الطاهري)

قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

وقال أيضا في رجل ينسبه الى الدعوة (وهو اسحق بن ابراهيم الطاهري)

وتنقل من معشر في معشر * فكأن أمك أو أباك الزئبق

يقال زئبق وزئبر مهموزان ودرهم مزأبق وثوب مزأبر ومن افراط التشبيه قول أبي خراش الهذلي يصف سرعة ابنه في العدو

كأنهم يسعون في اثر طائر * خفيف المشاش عظمه غير ذي نحض

يبادر جنح الليل فهو مهابذ * يحث الجناح بالتبسط والقبض

وقال أوس بن حجر (قال أبو الحسن أهل الكوفة يروونها لعبيد بن الأبرص)

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت * من ماء أدكن في الحانوت نضاح

أو من معتقة ورهاء نشوتها * أو من أنابيب رمان وتفاح

وقال ابن عبدل يهجو رجلا بالبخر

نكهت على نكهة أخدري * شتيم شابك الأنياب ورد

وفي هذا الشعر

فما يدنو الى فيه ذباب * ولو طليت مشافره بقند

يرين حلاوة ويخفن موتا * وشيكا ان هممن له بورد

الذباب الواحد من الذبان وأدنى العدد فيه أذبة والكثير الذبان ولكنه ذكر واحدا ثم خبر عن سائر الجنس والاسد أنتن السباع فما كان الصقر أنتن الطير فما قال بعض المحدثين في رجل يهجوه والمهجو داود بن بكر وكان ولي الأهواز وفارس والشعر لأبي الشمقمق

وله لحيــة تيسٍ   وله منقـــار نسر

وله نكهـــةُ ليث   خالطت نكهة صقر

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن ابن عائشة :

من يكن ابطه كآباط ذا الخلــقِ فإبطاى فى عـداد الفِقاحِ

لِىَ إبطانَ يرميان جليسى   بشبيه السلاح أو بالسلاح

فكأنى من ذا وهـذا وهـذا   جالسٌ بين مصعب وصباح

يعنى مصعبَ بن عبد الله الزبيرى وصباح بن خاقان المنقرى وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان فحدثت أن أحمد ابن هشام لقيهما يوم فقال أما سمعتما ماقال فيكما هذا يعنى إسحق بن الموصلى فقالا ماقال فينا إلا خيراً قال قال :

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصباح   فعصينا مُصْعباً وصباحا

وأبينا غـير سعى إليها   فاسترحنا منهما واستراحا

قالا ما قال إلا خيراً والمكروه ماقال فيك إذ يقول :

وصافية تعشى العيون رقيقة   رهينةِ عامٍ فى الدنان وعام

أدرنا بها الكأسَ الرويةَ موهنا   من الليل حتى انجابَ كل الظلام

فما ذر قرن الشمس حتى كأننا   من العى نحكى أحمد بن هشام

واعلم أن للتشبيه حداً فالأشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقعَ فإذا شبه الوجه بالشمس فإنما يراد الضياء والرونق ولا يراد العظم والإحراق قال الله عز وجل كأنهنّ بيض مكنون والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاء ونعمة لونه قال الراعى :

كأن بيضَ نعام فى ملاحِفِها   إذا اجتلاهنّ قيظٌ ليله ومِدُ

وقيل للاوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله أىّ منظر أحسن فقالت قصور بيض فى حدائق خضر فأنشد عمر بن الخطاب لعدى بن زيد

كدمى العاج فى المحاريب أو كالبيض فى الروض زهره مستنير

وقال الآخر

كالبيض فى الأدحى يلمع بالضحى * فالحسن حسن والنعيم نعيم

وقال جرير

ما استوصف الناس عن شئ يروقهم * الا رأوا أم نوح فوق ما وصفوا

كأنها مزنة غراء رائحة * أو درة لا يوارى لونها الصدف

المزنة السحابة البيضاء خاصة وجمعها مزن قال الله جل وعز أأنتم أنزلتموه من المزن فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرّها قال الأعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها * مرّ السحابة لا ريث ولا عجل

الريث الابطاء فهذا ما تلحقه العين منها فأما الحقيقة فهى كاسرع مار وان خفى ذلك على البصر قال الله جل وعز وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مرّ السحاب والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرة والبيضة وانما تقصد من كل شئ الى شئ قال ذو الرمة

ومية أحسن الثقلين جيدا * وسالفة وأحسنهم قذالا

فلم أر مثلها نظرا وعينا * ولا أم الغزال ولا الغزالا

زيلك بياض غرتها ووجها * كقرن الشمس أفتق ثم زالا

أصاب خصاصة فبدا كليلا * كلا وانغلّ سائره انغلالا

الجيد العنق والسالفة ناحية العنق والقذال ناحيتا القفا من الرأس وقوله أفتق ثم

زالا يقال أفتق السحاب اذا انكشف انكشافة فكانت فيه فرجة يسيرة بين السحابتين تقول العرب دام علينا الغيم ثم أفتقنا واذا نظر الى الشمس والقمر من فتق السحاب فهو أحسن مايكون وأشده استنارة وقوله كلاً بريد فى مرعى مابدا ثم غاب وقال الله عز وجل كأنهن الياقوت والمرجان وقال تبارك وتعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون والمكنون المصون يقال كننت الشئ اذا صنته وأكننته اذا أخفيته فهذا المعروف قال الله تبارك وتعالى أو أكننتم فى أنفسكم وقد يقال كننته أخفيته وقد قال جرير فى يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد ابن معاوية بن أبى سفيان

الحزم والجود والايمان قد نزلوا * على يزيد أمين الله فاحتلفوا

ضخم الدسيعة والايمان غرته * كالبدر ليلة كاد الشهر ينتصف

وقال ذو الرمة

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آأنت أم أم سالم

وقال ابن أبى ربيعة

أبصرتها ليلة ونسوتها * يمشين بين المقام والحجر

يرفلن فى الريط والمروط كما * تمشى الهوينا سواكن البقر

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة وقال أبو عبد الرحمن العطوى

قد رأينا الغزال والغصن والنجـمين شمس الضحى وبدر الظلام

فوحق البيان يعضده البر * هان فى مأقط ألد الخصام

مارأينا سوى المليحة شيأ * جمع الحسن كله فى نظام

فهى تجرى مجرى الأصالة فى الرأ * ى ومجرى الأرواح فى الأجسام

البرهان الحجة قال الله عز وجل قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أى حجتكم والمأقط موضع

الحرب فضرب به مثلا لموضع المناظرة والمحاجة والالدّ الشديد الخصومة قال الله تبارك وتعالى لتنذر به قوما لدًّا وقال وهو ألدّ الخصام وقالت ليلى الاخيلية

كان فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يقدع الخصم الالدّ ويملأ الـ * ـشيفان سديفا يوم نكباء صرصر

السديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين لان الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهي ثمان في المعنى فما بين مطلع سهيل الى مطلع الفجر جنوب وانما تأتي الجنوب من قبل اليمن قال جرير

وحبذا نفحات من يمانية * تأتيك من قبل الريان احيانا

واذا هبّت من تلقاء الفجر فهي الصبا تقابل القبلة فالعرب تسميها القبول قال الشاعر

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجني * نسيم الصبا من حيث يطّلع الفجر

واذا أتت من قبل الشام فهي شمال قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور

وهي تقابل الجنوب وكذلك قال امرؤ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

واذا جاءت من دبر البيت الحرام فهي الدبور وهي تهب بشدة والعرب تسميها محوة عن أبي زيد لانها تمحو السحاب ومحوة معرفة لا تنصرف فاما الاصمعي فزعم ان محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعا

قد بكرت محوة بالعجاج * فدمرت بقية الرجاج

الرجاج حاشية الابل وضعافها وقال الاعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

ولهذه الرياح أسماء كثيرة وأحكام في العربية لان بعضهم يجعلها نعوتا وبعضهم يجعلها أسماء وكذلك مصادرها تحتاج الى الشرح والتفسير ونحن ذاكرون ذلك في عقب هذا الباب ان شاء الله يقال جنبت الريح جنوبا وشملت شمولا ودبرت دبورا وصبت صبوا وسمت سموما وحرت حرورا مضمومات الاوائل فاذا أردت الاسماء فتحت أوائلها فقلت جنوب وشمول وسموم ودبور وحرور ولم يأت من المصادر شئ مفتوح الاول الا أشياء يسيرة قالوا توضأت وضوءا حسنا وتطهرت طهورا وأولعت بالشئ ولوعا وان عليه لقبولا ووقدت النار وقودا وأكثرهم يجعل الوقود الحطب والوقود المصدر ويقال الشمال على لغات ست يقال شمال وشأمل وشمأل وشمل وشمل وشامل غير مهموز ويقال للشمال الجربياء قال ابن أحمر

بهجر من قساذفر الخزامى * تداعى الجربياء به الحنينا

ويقال للجنوب الازيب ويقال للصبا القبول وبعضهم يجعله للجنوب وهو في الصبا أشهر بل هو القول الصحيح والاير والهير والاير والهير قال الشاعر

* مطاعيم أيسار اذا الهير هبت * فهذا يدل على أنه الصبا وذلك أنهم انما يتمدحون بالاطعام في المشتاة وشدة الزمان كما قال طرفة

نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر

الجفلى العامة والنقرى الخاصة والآدب صاحب المأدبة يقال مأدبة ومأدبة للدعوة وفي الحديث ان القرآن مأدبة الله قال أهل العلم معناه مدعاة الله وليس من الادب وأكثر المفسرين قالوا القول الاول وكلاهما في العربية جائز ويدل على القول الاول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا الجفنة الغراء أي التي يجتمع الناس عليها ويدعون اليها ويقال في الدعوة أدبه يأدبه أدبا اذا دعاه قال الشاعر

وما أصبح الضحاك الا كثالع * عصا نا فأرسلنا المنية تأدبه

وقولنا فى الرياح انها تكون أسماء ونعوتا نفسره ان شاء الله يقول أكثر العرب هذه ريح جنوب وريح شمال وريح دبور فتجعل جنوبا وشمالا ودبورا وسائر الرياح نعوتا قال الاعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

وقال زهير

مكلل باصول النبت تنسجه * ريح شمال لضاحي مائه حبك

وقال جرير * ريح خريق شمال أو يمانية * فهذا يكون على النعت أجود لانه أوضحه بيمانية ولا تكون اليمانية الا نعتا الا انها منسوبة فاما الخريق فهى الشديدة من كل ريح قال حميد بن ثور

يمشي حرام والمطي كأنه * قنا مسند هبت لهن خريق

والبليل الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال قال جرير يعير بني مجاشع بخذلانهم الزبير بن العوام فى كلمة يقول فيها

انى تذكرنى الزبير حمامة * تدعو بأعلى الايكتين هديلا

يالهف نفسى اذ يغرك حبلهم * هلا اتخذت على القيون كفيلا

قالت قريش ما أذل مجاشعا * جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا

أفبعد متركهم خليل محمد * ترجو القيون مع الرسول سبيلا

أفتى الندى وفتى الطعان غررتم * وأخا الشمال اذا تهب بليلا

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الانصارى وكان يبخل اذا هبت الصبا طلع من أطمه فنظر الى ناحية هبوبها ثم يقول لها هبي هبوبك فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعا من عجوة أدفع الى الوليد منها خمس تمرات فيرد على منها ثلاثا أى لصلابتها بعد جهد ما يلوك منها اثنتين وكان لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب شريفا فى الجاهلية والاسلام قد

نذر أن لا تهب الصبا الا نحر وأطعم حتى تنقضي فهبت بالاسلام وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان واليها لعثمان بن عفان وكان أخاه لامه وأمهما أروى ابنة كريز بن حبيب بن ربيعة ابن عبد شمس وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب فخطب الناس وقال انكم قد عرفتم نذر أبي عقيل وما وكّد على نفسه فأعينوا أخاكم ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها

أرى الجزار تشحذ مديتاه * اذا هبت رياح أبي عقيل

طويل الباع أبيض جعفري * كريم الجد كالسيف الصقيل

وفى ابن الجعفري بما لديه * على العلات والمال القليل

فلما أتته قال جزى الله الامير خيرا قد عرف الامير أني لا أقول شعرا ولكن اخرجي يا بنيتي فخرجت خماسية فقال لها أجيبي الامير فأقبلت وأدبرت) وبعث الناس فقضى نذره ففي ذلك تقول ابنة لبيد

اذا هبت رياح أبي عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا

(طويل الباع أبيض عبشميا * أعان على مروءته لبيدا

بامثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بني حام قعودا

أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد ان الكريم له معاد * وظني بابن أروى أن يعودا

قال لها لبيد أحسنت يا بنيتي لولا أنك سألت فقالت ان الملوك لا يستحيى من مسئلتهم فقال لها يا بنيتي وأنت في هذا أشعر) ومن جعل الشمال والجنوب أسماء لم يصرفها اذا سمى بشيء منها رجل لانك اذا اسميت رجلا مذكرا باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعدا لاعلامة للتأنيث

فيه لم تصرفه فى المعرفة وصرفته فى النكرة نحو عناق وأتان وعقرب وان كان نعتا انصرف لانك اذا سميت رجلا مذكرا بنعت مؤنث لا علامة فيه صرفته لانه مذكر نعت به المؤنث نحو حائض وطالق ومتئم ومرضع واذا ذكرنا من الباب شيئا فلم نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه قال الشاعر فجعل ما وصفنا أسماء

حالت وحيل بها وغير آيها * طول البلى تجرى به الريحان

ريح الشمال مع الجنوب وتارة * رهم الربيع وصائب التهتان

وقد أنشدوا بيت زهير * ريح الجنوب لضاحى مائه حبك * وقولنا لا علامة فيه للتأنيث لتعرف كيف حكم علامات التأنيث لان ذلك انما يكون على ضربين فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف فى معرفة ولا نكرة لمذكر كان أو مؤنث فالمقصور نحو حبلى وسكرى وما أشبه ذلك والممدود نحو حمراء وصفراء وصحراء وما أشبه ذلك فان كانت ممدودة لغير التأنيث انصرف اذا كان لمذكر فى المعرفة والنكرة زائدا كان أو أصليا فالاصلى نحو سقاء وغذاء وحذاء ورداء والزائدة نحو علباء وحرباء وقوباء يافتى ومن قال قوباء يافتى أنث ولم يصرف لان الاولى ملحقة وهذه للتأنيث فأما الالف المقصورة التى لغير التأنيث فان كانت أصلية انصرفت فى المذكر نحو ملهى ومغزى ومشترى وان كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت فى النكرة ولم تنصرف فى المعرفة نحو أرطى وعلقى فيمن جعل الواحدة علقاة وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف فى النكرة وغير منصرف فى المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربيا كان أو أعجميا فهذه جملة هذا الباب فاما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه فى الكتاب المقتضب وتقول فى أكثر الكلام هبت جنوبا وهبت شمالا فتستغنى عن ذكر الريح وهذا مما يؤكد أنها نعوت لان الحال انما بابها أن تقع فيما يكون نعتا قال جرير

هبت شمالا فذكرى ما ذكرتكم * عند الصفاة الى شرقي حورانا

وقال الآخر

فأي حي اذا هبت شآمية * واستدفأ الكلب بالمأسور ذي الذئب

المأسور يعني قتبا وانما الاسر الشد بالقد حتى يحكم وانما قيل الاسير من ذا لانه كان يشد بالقد ثم قالت العرب لكل محكم شديد الاسر قال الله تبارك وتعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وقوله ذي الذئب يعني الفضول التي وسعته وأسبغته يقال غبيط مذأب أي ذو ذئب أي موسع والغبيط مركب من مراكب النساء وقال أوس بن حجر في شدة البرد وغلبة الشمال يرثي فضالة بن كلدة الاسدي

والحافظ الناس في تحوط اذا * لم يرسلوا تحت عائذ ربعا

وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وكانت الكاعب المنعمة الحسناء في زاد أهلها سبعا

تحوط وقحوط وكحل وجحرة أسماء للسنة المجدبة والعائذ الحديثة النتاج فتنحر أولادها في السنة المجدبة ابقاء على ألبانها وشحومها والربع الذي ينتج في الربيع والهبع الذي ينتج في الصيف يقال ماله هبع ولا ربع وانما سمي هبعا لان الربع أسن منه فيمشي مع أمهاتها ولا يلحقهن الهبع الا باجتهاد فيستعين بعنقه في المشي يقال اذا فعل ذلك هبع يهبع ويقال للريح الشمال نسع ومسع قال الهذلي

قد حال دون دريسيه مؤوبة * نسع لها بعضاه الارض تهزيز

الدريسان ثوبان خلقان ومؤوبة مفعلة من التأويب وهو سير النهار لا تعريج فيه قال أبو عبيدة هو سير النهار والاسآد سير الليل لا تعريس فيه وأنشد لسلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

وانما يعنى ريحا وقوله نسع أى شمال والعضاة شجرة ضخمة فبعض العرب يقول للواحدة عضاهة وللجميع عضاه على وزن دجاجة ودجاج وبعضهم يقول للواحدة عضة فيقول فى الجمع عضوات وعضهات فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر

هذا طريق يأزم المآزما * وعضوات تقطع اللهازما

ونظير عضة سنة على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب والواو فى قول بعضهم تقول فى جمعها سنوات وسانيت الرجل وبعضهم يقول سنهات وأكريته مسانهة وهذا الحرف فى القرآن يقرأ على ضروب فمن قرأ لم يتسنه وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سانهت التى هى سنيهة ومن جعله من الواو وقال فى الوصل لم يتسن وانظر فاذا وقف قال لم يتسنه فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء فى قوله فبهداهم اقتده وكتابيه وحسابيه والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السنون ومن لم يقصد الى السنة قال لم يتأسن والآسن المتغير قال الله جل وعز فيها أنهار من ماء غير آسن ويقال أسن فى هذا المعنى كما يقال رجل حاذر وحذر ويقال للريح الجنوب النعامى قال أبو ذؤيب

مرته النعامى فلم يعترف * خلاف النعامى من الشأم ريحا

ومعنى مرته استدرته وفى الحديث ماهبت الريح الجنوب الا أسال الله بها واديا وقال رجل يمدح رجلا

فتى خلقت أخلاقه مطمئنة * له نفحات ريحهن جنوب

يريد أن الجنوب تأتى بالمطر والندى والعرب تكره الدبور وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقلما يكون بالدبور المطر لانها تجفل السحاب ويكون فيها الرهج والغبرة ولا تهب الا أقل ذلك الا بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتى على الزروع وقال رجل يهجو رجلا

لو كنتَ ريحاً كانت الدَّبورا * أو كنتَ غيماً لم تكن مطيرا
أو كنتَ ماءً لم تكن طَهورا * أو كنتَ مُخّاً كنتَ مُخّاً رارا
* أو كنتَ بَرداً كنتَ زَمهريرا *

الرار المخ الرقيق يقال مخ رير ورار في معنى واحد وقال السُّليك

* يَصيدكَ قافلاً والمخُّ رارُ * والشيء يذكر بالشيء وقال آخر

لو كنتَ ماءً لم تكن بعَذب * أو كنتَ سيفاً كنتَ غير عضب
أو كنتَ لحماً كنتَ لحم كلب * أو كنتَ عيراً كنتَ غير ندب

فأما قول السُّليك فانه يرثي فرسه وكان يقال له النَّحامُ فقال

كأنّ قوائم النَّحام لمّا * تحمّل صحبتي أُصلاً محارُ
على قرماء عالية شَواهُ * كأنَّ بياضَ غُرّتِه خمارُ
وما يدريك ما فقري اليه * اذا ما القوم ولّوا أو أغاروا
ويحضرُ فوق جهد الحُضرِ نصّاً * يَصيدكَ قافلاً والمخُّ رارُ

قوله كأنّ قوائم النحام محار المحارة الصدفة يريد الملاسة وانه قد ارتفعت قوائمه للموت والاصُلُ جمع أصيل والاصيل العشيّ يقال أصيل وأُصُل مثل قضيب وقُضُب وجمع أُصُل آصال وهو جمع الجمع وتقديره عنق وأعناق وطُنُب وأطناب ويقال في جمع أصيلة أصائل مثل خليفة وخلائف قال الاعشى * ولا بأحسنَ منها اذ دنا الاصُلُ * وقال أبو ذؤيب

لعمري لأنت البيتُ أُكرِمُ أهلَه * وأقعدُ في أفيائه بالاصائل

وقرماء ممدودة اسم موضع وشواه قوائمه وقد فسرناه قبل هذا وقوله ولوا أو أغاروا اذا طلبوا أو هربوا وقوله يصيدك أي يصيد لك يقال صِدتُك ظبياً قال الله عز وجل واذا كالوهم أو

وزنوهم يخسرون أى كالوا لهم أو وزنوا لهم يقال كلتك ووزنتك لانه قد قال تعالى أولا اذا اكتالوا على الناس يستوفون فاما ما جاء فى الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فان العرب تقول لا تلقح السحاب الا من رياح وتصديق ذلك قول الله عز وجل الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا وقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا هبت بحرية ثم تذاءبت قال الشاعر * تسح اذا تذاءبت الرياح * يقول اذا تقابلت يقال تذاءبت الرياح وتناوحت أى تقابلت وتناوح الشجر اذا قابل بعضه بعضا وانما سميت النائحة نائحة لانها تقابل صاحبتها فاذا اخلصت الريح عندهم دبورا فهى من جنس البوار واذا اخلصت شمالا لا تشوبه فهى من آيات الجدب ومن ثم تقول العرب فلان يطعم فى الشمال كما تقول يطعم فى المحل قال أوس بن حجر * وعزت الشمال الرياح * أى غلبتها فكانت أقوى منها فلم تدع لها موضعا وقوله تعالى وعزنى فى الخطاب أى غلبنى فى المخاطبة والخصومة ومن أمثال العرب من عز بز وتأويله من غلب سلب قالت الخنساء

كان لم يكونوا حمى يتقى * اذ الناس اذ ذاك من عز بزا

قال أبو العباس وحدثنى عمرو بن بحر الجاحظ قال رأيت رجلا من غنى يفاخر رجلا من بنى فزارة ثم أحد بنى بدر بن عمرو وكان الغنوى متمكنا من لسانه وكان الفزارى بكيا فقال الغنوى مائنا ما بين الرقم الى كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رشاء وأعذب منهم ماء لنا ريف السهول ومعاقل الجبال وأرضهم سبخة ومياههم أملاح وأرشيتهم طوال والعرب اذ ذاك من عز بز فبعزنا ما تخيرنا عليهم وبذلهم ما رضوا عنا بالضيم قوله كان الفزارى بكيا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك فى الحلب يقال ناقة غزيرة وناقة بكى وهى ضد الغزيرة أى قليلة اللبن ودهين وصمرد فى معنى يقال بكأت الشاة والناقة وبكؤت قال الشاعر

فاذا اما ماردت أو بكؤت * فض عن خاتم أخرى طينها

وقال سلامة بن جندل الطهوى

يقول محبسها أدنى لمرتعها * وان تداعى بيتل كل محلوب

يقول ان محبس الابل على ضر ونقاتل عنها فهو أدنى بأن تعز فترتع فيما نستقبل وان ذهبت ألبانها الاناان طردناها وهو بنا طمع فينا واستذللنا ويقال فى الكلام رجل عيى بكى قال أبو العباس وهذا الغنوى اذا حاول بقبيلته آل بدر فقد أعظم الفرية وبلغ فى البهت وأشمت العدو بجمهور قيس وصار بهم الى ما قال الأخطل

وقد سرنى من قيس عيلان أننى * رأيت بنى العجلان سادوا بنى بدر

وكان زياد يقول وهو الغاية فى السياسة أرصيكم بثلاثة بالعالم والشريف والشيخ فوالله لا أوتى بوضيع سب شريفا أو شاب وثب بشيخ أو جاهل امتهن عالما الا عاقبت وبالغت وقال عمارة لبنى أسد بن خزيمة

يا أيها السائلى عمدا الأخبره * بذات نفسى وأيدى الله فوق يدى

ان تستقم أسد ترشدوان شغبت * فلا يلم لائم الا بنى أسد

انى رأيتكم يعصى كبيركم * وتكنعون الى ذى الفجرة النكد

فباعد الله كل البعد داركم * ولا شفاكم من الأضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وأدله على ضغن بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضا والوضيع ينقلب الى الشريف لانه يرى مقاولته فخرا والاجتراء عليه ربما كان مقاولة الشريف للئيم ذل وضعة وقال الشاعر

اذا أنت قاولت اللئيم فانما * يكون عليك العتب حين تقاوله

ولست كمن يرضى بما غيره الرضا * ويمسح رأس الذئب والذئب آكله

وسنشبع فى هذا المعنى ان شاء الله وفى هذا الشعر بيت يقدم فى باب الفند وهو

فلا تقربن أمر الصريمة بامرئ * اذا رام أمرا عوقته عواذله

(وقـل للفؤاد ان نزى بك نزوة * من الروع أفرخ أكثر الروع باطله)

الصريمة العزيمة وقد امتنع قوم من الجواب تنبلا ومواضعهم تنبئ عن ذلك وامتنع قوم عيا بلا اعتلال وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكراهة السفه وبعضهم معتل برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يسبه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض ويسب سيد قومه وكانت الجاهلية ربما فعلته فى الذحول قال الراجز

ان بجيلا كلما هجانى * ملت على الاغطش اوأبان

أوطلحة الخير فتى الفتيان * أولاك قوم شأنهم كشانى

ما نلت من أعراضهم كفانى * وان سكت عرفوا احسانى

وقال أحد المحدثين

انى اذا اهركلب الحى قلت له * اسلم وربك مخنوق على الجرر

قوله اسلم فاستأنف بألف الوصل لان النصف الاول موقوف عليه قال الشاعر

ولا يبادر فى الشتاء وليدنا * القدر ينزلها بغير جعال

الجعال الذى يوضع فيه البرمة وربما توقيت به حرارتها قال الراجز

لانسب اليوم ولا خلة * اتسع الخرق على الراقع

وهذا كثير غير معيب وفى مثل اختيار التبيل لتتكافأ الاعراض قول الاخطل

شفى النفس قتلى من سليم وعامر * ولم يشفها قتلى غنى ولا جسر

ولا جشم شر القبائل انها * كبيض القطا ليسوا بسود ولا حمر

ولو ببنى ذبيان بلت رماحنا * لقرت بهم عينى وباء بهم وترى

وقال رجل من المحدثين وهو حماد بن أبان اللاحقى

أليسَ من الكبائرِ أن وغدًا * لآلِ معذَّلٍ يهجو سدوسا
هجاءً عرضًا لهم غضًّا جديدًا * وأهدفَ عرضَ والدهِ اللبيسا

وقال آخر

اللؤمُ أكرمُ من وبرٍ ووالدهِ * واللؤمُ أكرمُ من وبرٍ وما ولدا
قومٌ اذا جرّ جانٍ قومهم أمنوا * من لؤمِ أحسابهم أن يقتلوا قودا
اللؤمُ داءٌ لوبرٍ يقتلونَ به * لا يقتلونَ بداءٍ غيرهِ أبدا

وقال أحد المحدثين (هو دعبل)

أما الهجاءُ فدقَّ عرضُكَ دونه * والمدحُ عنكَ كما علمتَ جليلُ
فاذهب فأنتَ عتيقُ عرضِكَ انه * عرضٌ عززتَ به وأنت ذليلُ

وقال آخر

نُبِّئتُ كلبًا هابَ رميي له * ينبحني من موضعٍ نائي
لو كنتَ من شيءٍ هجوناكَ أو * لو نلتَ للشاتمِ والرائي
فعد عن شتمي فاني امرؤٌ * حلَّمني قلةُ أكفائي

وقال آخر (هو دعبل)

فلو أني بُليتُ بهاشميٍّ * خُؤولتهُ بنو عبدِ المدانِ
صبرتُ على عداوتهِ ولكن * تعالَي فانظري بمن ابتلاني

ووقف رجل عليه مقطّعات على الاحنف بن قيس يسبه وكان عمرو بن الأهتم جعل له ألف درهم على أن يسفّه الاحنف فجعل لا يألو أن يسبه سبا يغضب والاحنف مطرق صامت فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعض ابهاميه و يقول ياسوأتاه والله ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه وفعل ذلك آخر فأمسك عنه الاحنف فأكثر الرجل الى أن أراد الاحنف القيام

للغداء فاقبل على الرجل فقال له يا هذا ان غداءنا قد حضر فانهض بنا اليه ان شئت فانك مذ اليوم تحمد و بجمل ثقال والثقال من الابل البطيء الثقيل الذي لا يكاد ينبعث وعدّت على الاحنف سقطة في هذا الباب وهو أن عمرو بن الاهتم دسّ اليه رجلا ليسفهه فقال له أبا بحر ما كان أبوك في قومه قال كان من أوسطهم لم يسدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانية ففطن الاحنف أنه من قبل عمرو فقال ما كان مال أبيك فقال كانت له صرمة يمنح منها و يقري ولم يك أهتم سلاحا وجعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه ولم تكن في موضع مرضي فأتاه الرجل وهو بمصر أمير عليها فقال أردت أن أعرف أم الامير فقال نعم كانت من عنزة ثم من بني جلان تسمى ليلى وتلقب النابغة اذهب وخذ ما جعل لك وقال له مرة المنذر بن الجارود أي رجل أنت لولا أمك قال فاني أحمد الله اليك اني فكرت في هذا البارحة فأقبلت أنقلها في قبائل العرب فما خطرت لي عبد القيس على بال ودخل عمرو مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم في شيء من ذكري قالوا أجل كنا نميل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام علي أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وأمي من قد عرفتم وكان أحب الى أبيه مني وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد وأسلم قبلي واستشهد وبقيت وقد أكثر الناس في الباب الذي ذكرناه وانما نذكر من الشيء وجوهه ونوادره قال رجل لرجل من آل الزبير كلاما أقذع له فيه فأعرض الزبيري عنه ثم دار كلام فسب الزبيري علي بن الحسين فأعرض عنه فقال له الزبيري ما يمنعك من جوابي فقال علي ما منعك من جواب الرجل وقد روي قول القائل لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال له الرجل ولكنك لو قلت عشرا ما سمعت واحدة وقال الشاعر

ولقد أمر على اللئيم يسبني * فأجوز ثم أقول لا يعنيني

وقال رجل لرجل وسبه فلم يلتفت اليه اياك أعني فقال له الرجل وعنك أعرض فأما قول

الشعبي للرجل ما قال فمن غير هذا الباب وانما تخرجه الديانة وذلك أن رجلا سب الشعبي بأمور قبيحة نسبه اليها فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال أبو العباس قال رجل لابي بكر الصديق رحمه الله لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لا معي (ويحدث ابن عائشة عن أبيه أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة فقال رأيت رجلا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا أحسن لباسا ولا أفره مركبا منه فسألت عنه فقيل لي الحسن بن علي بن أبي طالب فامتلأت له بغضا فصرت اليه فقلت أأنت ابن أبي طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت له فيك وبك وبأبيك أسبهما فقال أحسبك غريبا قلت أجل فقال ان لنا منزلا واسعا ومعونة على الحاجة ومالا نواسي منه فانطلقت وما أجد على وجه الارض أحب الي منه) ويتصل بهذا الباب ذكر من رغب برجل عن ارث رجل لا يشاكله وولاية رجل لا يشابهه قال الشاعر

بكت دار بشر شجوها أن تبدلت * هلال بن قعقاع بشر بن غالب
وماهي الا كالعروس تنقلت * على رغمها من هاشم في محارب

وقال الفرزدق حين ولي العراق عمر بن هبيرة الفزاري بعقب مسلمة بن عبد الملك

راحت بمسلمة البغال عشية * فارعي فزارة لا هناك المرتع
ولقد علمت اذا فزارة أمرت * أن سوف يطمع في الامارة أشجع
فأرى الامور تنكرت أعلامها * حتى أمية عن فزارة تنزع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله * وأخو هراة لمثلها يتوقع

فلما ولي خالد بن عبد الله القسري على عمر بن هبيرة قال رجل من بني أسد يجيب الفرزدق

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى * عنها أمية بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجبا وأحدث بعده * أمر تضج له القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارة شجوها * فاليوم من قسر تذوب وتجزع

وملوك خندف أسلموا للعدى * لله در ملوككنا ما تصنع

كانوا كتاركة بنيها جانبا * سفها وغيرهم تصون وترضع

قال أبو العباس وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق وفي ذلك يقول ليزيد ابن عبد الملك بن مروان

أمير المؤمنين وأنت بر * أمين لست بالطبع الحريص

أأطعمت العراق ورافديه * فزاريا أحذ يد القميص

تفهق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص

ولم يك قبلها راعي مخاض * ليأمنه على وركي قلوص

قوله لست بالطبع الحريص فالطبع الشديد الطمع الذي لا يفهم لشدة طمعه وإنما أخذ هذا من طبع السيف يقال طبع السيف يا فتى وهو سيف طبع إذا ركبه الصدأ حتى يغطي عليه والمثل من هذا في الذي طبع على قلبه إنما هو تغطيه وحجاب يقال طبع الله على قلب فلان كما قال جل وعز طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم هذا الوقف ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة وكذلك رين على قلبه وغين على قلبه فالرين يكون من أشياء تألف عليه فتغطيه قال الله جل وعز كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأما غين على قلبه فهي غشاوة تعتريه والغينة القطعة من الشجر الملتف تغطي ما تحتها قال الشاعر

كأني بين خافيتي عقاب * أصاب حمامة في يوم غين

وقال بعضهم أراد في التفاف من الظلمة وقال آخرون أراد في يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون في الغنة كما يقال للحية أيم وأين واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون في القوافي لما ذكرت لك من اجتماعهما في الغنة قال الراجز

بُنَيّان البرش هَيْن * المَنطِقُ اللَيّن والطُعَيِّم

وقال آخر

ما تنقم الحربُ العوانُ مني * بازلُ عامين حديثٌ سني

* لمثل هذا ولدتني أمي *

والعراقان البصرة والكوفة والرافدان دجلة والفرات وقوله أحذ يدا القميص الاحذ الخفيف قال طرفة * وأنلع نهاض أحذ ململم * وانما نسبه بالخفة في يده الى السرق وقوله تفهق أي امتلأ ماء يقال بئر تفهق وغدير يفهق اذا امتلأ ماء قال الراجز

لا ذنب لي قد قلت للقوم استقوا * والقوم في عرض غدير يفهق

وقال الاعشى في مدحه المحلق بن حنتم أحد بني أبي بكر بن كلاب

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقي تفهق

هكذا رواية أبي عبيدة وقوله

ولم يك قبلها راعي مخاض * ليأمنه على وركي قلوص

كانت بنو فزارة ترمى بغشيان الابل ولذلك قال ابن دارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار

فلما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسري قال الفرزدق

لعمري لئن نابت فزارة نوبة * لمن حدث الايام تحسبها قسر

لقد حبس القسري في سجن واسط * فتى شيظميا ما ينهنهه الزجر

فتى لم تربيه النصارى ولم يكن * غذاءً له لحم الخنازير والخمر

الشيظمي الطويل قال ذو الرمة

اذا مار منبارمية في مفازة * صراقيبها بالشيظمي المواشك

يريد حاديا يسوقها وقوله ما ينهنهه الزجر يقول ما يحركه وقوله فتى لم تربه النصارى ينبه به على
أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه استلبها فى يوم عيد للروم فأولدها خالدا وأسدا
ولذلك يقول الفرزدق

ألا قطع الرحمن ظهر مطية * أتتنا تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من كانت امه * تدين بان الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لامه * ويهدم من كفر منار المساجد
وقال عليك أمير المؤمنين بخالد * وأصحابه لا طهر الله خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لامه * ويهدم من بغض الصلاة المساجدا

وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالى
موالى الانصار وهو

ليتنى فى المؤذنين حياتى * انهم يبصرون من فى السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فحطها عن دور الناس ويروى عنه فيما روى من عتوه أنه استغنى من بيعة بناها لامه فقال
ملا من المسلمين قبح الله دينهم ان كان شرا من دينكم وقال الفرزدق لابن هبيرة حيث نقب له
السجن وهرب وسار تحت الارض هو وابنه حتى نفذا

لما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت سيرة * وما سار سار مثلها حيث أدلجا
خرجت ولم يمنن عليك طلاقة * سوى ربذ التقريب من آل أعوجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا قوله حيث أدلجا

تقول أدلجت اذا سرت من أول الليل وادّلجت اذا سرت من آخره في السحر قال زهير

بكرن بكوراً وادّلجن بسحرة * فهن لوادى الرس كاليد للفم

وأعوج فرس كان لغني وقالوا كان لبني كلاب ولا ينكر هذا لان حبيبة بنت رياح الغنوية

ولدت بني جعفر بن كلاب فلعله أن يكون صار الى بني جعفر بن كلاب من غني والعرب

تنسب الخيل الجياد الى أعوج والى الوجيه ولاحق والغراب واليحموم وما أشبه هذه الخيل

من المتقدمات قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجإ وسلمى * تخب نزائعاً خبب الذئاب

جلبنا كل طرف أعوجي * وسلهبة كخافية العقاب

ثم نرجع الى التشبيه المصيب قال امرؤ القيس في طول الليل

كأن الثريا علقت في مصامها * بأمراس كتان الى صم جندل

فهذا في ثبات الليل واقامته والمصام المقام وقيل للممسك عن الطعام صائم لثباته على ذلك

ويقال صام النهار اذا قامت الشمس قال امرؤ القيس

فدعها وسل الهم عنك بجسرة * ذمول اذا صام النهار وهجرا

وقال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والأمراس جمع مرس وهو الحبل قال أبو زبيد في غلامه وتعرض للعرب فقتل

اما تعلق بك الرماح فلا * أبكيك الا للدلو والمرس

وقال في ثبات الليل

فيا لك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

المغار الشديد الفتل يقال أغرت الحبل اذا شددت فتله ويذبل جبل بعينه وقال أيضا

كأنَّ أباناً في أفانينِ وَدْقِه * كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ

أبانٌ جبلٌ وهما أبانان أبان الاسود وأبان الابيض قال مُهَلهِلٌ وكان نزل في آخر حربهم حرب البسوس في جنب بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مالك وهو مَذحِجٌ وجَنْبٌ حي من أحيائهم وضيعٌ فخُطِبَتْ ابنته ومُهِرَتْ أدماً فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال

أَنكَحَها فقدُها الاراقمَ في * جَنْبٍ وكان الحِباءُ من أَدَمِ

لو بأبانَينِ جاء يخطبها * ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدمِ

وقوله في أفانين ودقه يريد ضروباً من ودقه والوَدْقُ المطر قال الله تبارك وتعالى فترى الودقَ يخرج من خلاله وقال عامر بن جُوَين الطائيُّ

فلا مُزنةٌ ودقتْ ودقَها * ولا أرضَ أبقلَ إبقالَها

وقوله كبير أناس في بجاد مزمل يريد مزملاً بثيابه قال الله تبارك وتعالى يا أيها المُزَّمِّلُ قُمِ الليلَ الا قليلا وهو المُتَزَمِّلُ والتاء مدغمة في الزاي وانما وصف امرؤ القيس الغيث فقال قوم أراد أن المطر قد خَنَّقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل وقال آخرون انما أراد ما كساه المطرُ من خضرة النبت وكلاهما حَسَنٌ وذكر الودق لان تلك الخضرة من عمله وقال الراجز يصف غيثا

أقبل في المُستَنِّ من ربابِه * أسنِمةُ الآبالِ في سَحابِه

أراد أن ذلك السحابَ يُنبِتُ ما تأكله الابل فتصير شحومها في أسنمتها والرَّباب سحابٌ دُوَيْنَ المُعظَمِ من السحاب قال المازنيُّ

كأنَّ الرَّبابَ دُوَينَ السَّحابِ * نَعامٌ تَعَلَّقُ بالأرجُلِ

وقوله جل وعز اني أراني أعصر خمراً أي أعصر عنباً فيصير الى هذه الحال وقال زهير

كأنَّ فُتاتَ العِهنِ في كل منزلٍ * نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ

الفنا شجر بعينه يثمر ثمراً أحمر ثم يتفرق في هيئة النبق الصغار فهذا من أحسن التشبيه وانما وصف ما سقط من أنماطهن اذا نزلن والعهن الصوف الملون في قول أكثر أهل اللغة وأما الاصمعي فقال كل صوف عهن وكذلك قال أهل اللغة الحنتم الخزف الاخضر وقال الاصمعي كل خزف حنتم قال القرشي

من مبلغ الحسناء أن حليلها * بميسان يسقى في زجاج وحنتم

وقال جرير

ما في مقام ديار تغلب مسجد * وبها كنائس حنتم ودنان

والتشبيه جار كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد قال الله عز وجل وله المثل الاعلى الزجاجة كأنها كوكب دري وقال طلعها كأنه رؤس الشياطين وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين في هذه الآية فقال انما يمثل الغائب بالحاضر ورؤس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء في هذا القول كما قال الله جل وعز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهذه الآية قد جاء تفسيرها في ضربين أحدهما أن شجراً يقال له الأستن منكر الصورة يقال لثمره رؤس الشياطين وهو الذي ذكره النابغة في قوله * تحيد من أستن سود أسافله * وزعم الاصمعي أن هذا الشجر يسمى الصوم والقول الآخر وهو الذي يسبق الى القلب أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد وكان ذلك أبلغ من المعاينة ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس وحدثت في اسناد متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشام بن عبد الملك * والشمس قد صارت كعين الاحول * لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام فأغضبه فأمر بطرده فأمل أبو النجم رجعته وكان يأوي المساجد فأرق هشام ليلة فقال لحاجبه ابغني رجلاً عربياً فصيحاً يحادثني وينشدني فطلب له ما طلب فوقع على أبي النجم فأتى به فلما دخل به البيت قال أين تكون منذ

أقصيناك قال بحيث ألفتني رسلك قال فمن كان أبا مثواك قال رجلين كلبيا وتغلبيا أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر فقال له مالك من الولد قال ابنتان قال أزوجتهما قال زوجت احداهما قال فبم أوصيتها قال قلت لها ليلة أهديتها

سبي الحماة وابهتي عليها * وان أبت فازدلفي اليها
ثم اقرعي بالود مرفقيها * وجددي الحلف به عليها
* لا تخبري الدهر بذاك ابنيها *

قال أفما أوصيتها بغير هذا قال نعم قلت

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي نهكا لها وضرا * والحي عميهم بشر طرا
وان كسوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلو الحياة مرا

فقال هشام ما هكذا أوصى يعقوب ولده قال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولا بنتي كولده قال فما حال الاخرى قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة قال فما قلت فيها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الرجلين الا خيطان
* فهي التي يذعر منها الشيطان *

قال فقال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها قال ها هي عندي ووزنها خمسمائة قال فادفعها الى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين أفلا تراه قال * فهي التي يذعر منها الشيطان * وان لم يره لما قرر في القلوب من نكارته وشناعته وقال آخر

وفي البقل ان لم يدفع الله شره * شياطين يعدو بعضهن على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرد من جن أو انس يقال له شيطان وأن قولهم تشيطن انما معناه تخبث وتنكر وقد قال الله جل وعز شياطين الانس والجن قال الراجز

أبصرتها تلتهم الثعبانا * شيطانة تزوجت شيطانا

وقال امرؤ القيس

أيوعدني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والغول لم يخبر صادق قط أنه رآها ثم نرجع الى تفسير قول أبي النجم قوله سبي الحماة وابهتي عليها انما يريد ابهتيها فوضع ابهتي في موضع اكذبي فمن ثم وصلها بعلى والذي يستعمل في صلة الفعل اللام لانها لام الاضافة تقول لزيد ضربت ولعمرو أكرمت والمعنى عمرا أكرمت فانما تقديره اكرامي لعمرو وضربي لزيد فأجرى الفعل مجرى المصدر وأحسن ما يكون ذلك اذا تقدم المفعول لان الفعل انما يجيء وقد عملت اللام كما قال الله جل وعز ان كنتم للرؤيا تعبرون وان أخر المفعول فعربي حسن والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال الله جل وعز وأمرت لان أكون أول المسلمين والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه قل عسى أن يكون ردف لكم انما هو ردفكم وقال كثير

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض اذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع قال الله جل ذكره ولاصلبنكم في جذوع النخل أي على ولكن الجذوع اذا أحاطت دخلت في لانها للوعاء يقال فلان في النخل أي قد أحاط به قال الشاعر

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وقال الله جل وعز أم لهم سلم يستمعون فيه أي عليه وقال تبارك وتعالى له معقبات من بين

يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أى بأمر الله وقال ابن الطثرية

غدت من عليه تنفض الطل بعدما * رأت حاجب الشمس استوى فترفعا

وقال الآخر

غدت من عليه بعدما تم خمسها * تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

أى من عنده وقال العامرى

اذا رضيت على بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها

وهذا كثير جدا وقوله وان أبت فازدلفى اليها يقول تقربى ومن ذا سميت المزدلفة قال العجاج

ناج طواه الأين مما وجفا * طى الليالى زلفا فزلفا

* سماوة الهلال حتى احقوقفا *

تقول زلفة وزلف كقولك غرفة وغرف وقوله بالكلب خيرا والحماة شرا كلام معيب عند النحويين وبعضهم لا يجيزه وذلك أنه عطف على عاملين بالباء وعلى الفعل ومن قال هذا قال ضربت زيدا فى الدار والحجرة عمرا وكان أبو الحسن الاخفش يراه ويقرأ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات فعطف على ان وعلى فى وقال عدى بن زيد

أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

فعطف على كل وعلى الفعل وأما قوله غدت من عليه بعد ما تم خمسها فالخمس ظمء من أظمائها وهو أن ترد ثم تغب ثلاثا ثم ترد فيعتد بيومى وردها مع ظمئها فيقال خمس والربع كذلك الربع وقوله تصل أى تسمع لاجوافها صليلا من يبس العطش يقال المسمار يصل فى الباب اذا أكره فيه قال جرير يخاطب الزبير بمرثيته فى هجائه الفرزدق

لو كنت حين غررت بين بيوتنا * لسمعت من وقع الحديد صليلا

ويقال للحمار المُصَلْصِلُ اذا أخرج صوته من جوفه حادًّا خفيا قال الاعشى

عَنْتَرِيسٌ تَعْدو اذا حُرِّكَ السو * طُ كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ

وقال المفسرون فى قول الله عزوجل من صَلْصالٍ من حَمَأٍ مَسْنُونٍ قالوا هو الطين الذى قد جَفَّ فاذا قرعه شىٌ كان له صَلِيلٌ وتفسير ذلك عند العرب الثَّقْنُ الذى يذهب عنه الماءُ فى الغُدْران فيتشقق ثم ييبس والقَيْضُ قشر البيضة الاعلى والذى يلبس البيضة فيكون ما بينها وبين قشرها الاعلى يقال له الغِرْقِئُ يقال ثوب كأنه غِرْقِئُ بيض والزَّبْراءُ ما ارتفع من الارض وهو ممدود منصرف فى المعرفة والنكرة اذا كان لمذكر كالعِلْباء والحِرْباء وسنذكر هذا فى غير هذا الموضع مُفَسَّرًا ان شاء الله تعالى على أنا قد استقصيناه فى الكتاب المُقْتَضَب والمَجْهَلُ الصحراء التى يُجْهَلُ فيها فلا يُهْتَدى لسبيلها ويقال للشىء اذا غَبَّ وتغيرت رائحته صَلَّ وأَصَلَّ فهو صالٌّ ومُصِلٌّ ويقال نَتَنَ وأَنْتَنَ ويقال خَمَّ وأَخَمَّ وذلك اذا كان مستورا حتى يفسد ويقال اذا عتق اللحم فتغير خَنِزَ وخَزِنَ وبيت طرفة أحسن ما ينشد عليه

ثم لا يَخْنَزُ فينا لَحْمُها * انما يَخْنَزُ لحم المُدَّخَر

ويقال لرب البيت وربَّة البيت اللذين ينزل بهما الضيف هى أم مثواه وهو أبو مثواه وأنشد أبو عبيدة

من أمِّ مثوى كريمٍ قد نزلتُ بها * انَّ الكريم على علاته يَسَعُ

وفى كتاب الله جل وعز أَكْرِمى مَثْواهُ معناه عند العرب اضافته ومن التشبيه المُطَّرِد على ألسنة العرب ما ذكروا فى سير الناقة وحركة قوائمها قال الراجز

كأنها ليلة غِبِّ الأزْرَقِ * وقد مَدَدْنا باعَها للسُّوَّقِ

* خرقاءُ بين السلمين ترتقى *

قوله ليلة غب الازرق انما يعنى موضعا أو شبهه ماء لانهم يقولون نطفة زرقاء وهى الصافية

قال زهير

فلما وردنا الماء زرقا جمامه * وضعن عصي الحاضر المتخيم

وقال آخر

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زرق محافره

وقوله وقد مدد نا باعها اللسوق يقول استفرغنا ما عندها من السير يقال تبوعت وانباعت اذا مدت باعها وقوله خرقاء بين السلمين ترتقى يقول لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذقها بالصعود

وقال الآخر

كأنها نائحة تفجع * تبكي لشجو وسواها الموجع

وقال الشماخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة * بعيد السباب حاولت أن تعذرا

من البيض أعطافا اذا اتصلت دعت * فراس بن غنم أو لقيط بن يعمرا

بها شرق من زعفران وعنبر * أطارت من الحسن الرداء المحبرا

تقول وقد بل الدموع خمارها * أبى عفتى ومنصبي أن أعيرا

كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

كأن ابن آوى موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

شبه يديها بيدى مدلة بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر وتشير بيديها فوصف جمالها الذى به تدل ومنصبها المتصل عن ذكرته وقوله أطارت من الحسن الرداء المحبرا يقول هى مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيأ عن الناظر لانها تبتهج بكل ما فى وجهها ورأسها وقد كشف هذا المعنى عمر بن أبى ربيعة المخزومى حيث يقول

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفتني * وقلن امرؤ باغ أكل فأوضعا

وقرّبن أسباب الهوى لمقتّل * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا

(فقلت لمطريهن ويحك انما * ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا)

قوله كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

يقول لسواد الذفرى وهذا من كرمها قال أوس بن حجر

كأن كحيلا معقدا أو عنية * على رجع ذفراها من الليت واكف

(الكحيل القطران والعنية ضرب منه) وهذا معنى يسئل عنه لان الليتين صفحتا العنق والذفرى في أعلى القفا فكيف يكف على الذفرى من الليت والمعنى انما هو كأن كحيلا معقدا أو عنية واكف على رجع ذفراها وقوله من الليت كقولك كموضع دجلة من بغداد انما هو للحد بينهما لا أنه وكف من شيء على شيء وأما قوله

كأن ابن آوى موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

يقول ليست تستقر فكأن ابن آوى يكلمها بنابيه أو يخلبها بظفره فهي لا تستقر وقال أوس بن حجر

كأن هرا جنيبا تحت غرضتها * والتف ديك بحقويها وخنزير

والغرض والغرضة واحد وهو حزام الرحل وقال آخر

كأن ذراعيها ذراعا بذية * مفجعة لاقت حلائل عن عفر

سمعن لها واستفرغت في حديثها * فلا شيء يفري باليدين كما تفري

(قال أبو العباس أنشدنيها عبد الصمد بن المعذل وأنشدنيها سعيد بن سلم) ولو قيل ان هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصف ما كان ذلك بعيدا وصفها بأنها بذية وقد فجعت بما أجمعت ونيل منها ولقيت حلائلها بعد زمان وتلك الشكوى كامنة فيها وأصغين اليها يسمعن والفري

الشق يقال فرى أوداجه أى قطع وفريت الاديم واذا قلت أفريت فمعناه أصلحت وقول الحجاج انى والله ما أهم الا مضيت ولا أخلق الا فريت يقول اذا قدرت قطعت يقال فريت الفرية والمزادة فهما مفريتان قال ذو الرمة * كأنه من كلى مفرية سرب * وقال امرؤ القيس

كأن الحصى من خلفها وأمامها * اذا نجلته رجلها خذف أعسرا

كأن صليل المرو حين تشذه * صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

قوله خذف أعسر يريد أنه يذهب على غير قصد وقوله صليل زيوف يقال ان الزيف شديد الصوت صافيه وقال آخر

كأن يديها يدا ماتح * أتى يوم ورد لغب زرودا

يخاف العقاب وفى نفسه * اذا هو أنهل الا يعودا

يقول هذا الساقى يخاف العقاب ان قصر ولا عودة له اليه ثانية فهى تسقى سقية فى مرة واحدة وقد أكثروا فى هذا فى الافراط فى السرعة قول ذى الرمة

كأنه كوكب فى اثر عفرية * مسوم فى سواد الليل منقضب

يقال عفريت وعفرية فى معنى واحد والتاء فى عفريت زائدة وهو ملحق بقنديل يقال فلان (عفرية زبنية والزبنية المنكر وجمعه زبانية وأصله من الحركة يقال زبنه اذا دفعه ويقال) عفرية نفرية على التوكيد (وعفريت نفريت ويقال عفاريت لم يتبع بنفارية) ومن الافراط قول الحطيئة

وان نظرت يوما بمؤخر عينها * الى علم بالغور قالت له ابعد

ومن الافراط قوله

بأرض ترى فرخ الحبارى كأنه * بها راكب موف على ظهر قردد

ومن ذلك قوله

وكادت على الأطواء أطواء ضارج * تساقطني والرحل من صوت هدهد

وقال آخر

مروح برجليها اذا هي هجرت * ويمنعها من أن تطير زمامها

وقال الشماخ

مروح تغتلي في البيد حرف * تكاد تطير من رأي القطيع

وكذلك الاعرابي الذي يقول * لو ترسل الريح لجئنا قبلها * وقد مضى خبره وأملح ماقيل في هذا المعنى وأجوده قول امرئ القيس

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

فجعله للوحش كالقيد وحدثت أن رجلا نظر الى ظبية ترود فقال له اعرابي أتحب أن تكون لك قال نعم قال فأعطني أربعة دراهم حتى أردها اليك ففعل فخرج يمحص في اثرها فجدت وجد حتى أخذ بقرنيها فجاء بها وهو يقول

وهي على البعد تلوي خدها * تريغ شدي وأريغ شدها

* كيف ترى عدو غلام ردها *

قال أبو العباس ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح الكلام قول ذي الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

الحندس اشتداد الظلمة وهو توكيد لها يقال ليل حندس وليل أليل مظلم وقال الشماخ في صفة الفرس

مفج الحوامي عن نسور كأنها * نوى القسب ترت عن جريم ململج

قوله مفج الحوامي يريد مفرق الحوامي فالحوامي نواحي الحافر والنسور واحدها النسر وهي

نكبةً في داخل الحافر ويُحمَدُ الفرس اذا صَلُبَ ذلك منه ولذلك شُبِّه بنوى القسب وترّت سقطت والجريم المصرود والملجلج الذي قد لُجلج مضغاً في الفم ثم قُذِف لصلابته وقوله مفج ليس يريد الذي هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن النسر فانه ان اتسع واستوى أسفله فذلك الرَّحَحُ وهو مذموم في الخيل وكذلك ان ضاق وصَغُر قيل له مُصْطَرٌّ وكان عيبا قبيحا قال حُمَيْدٌ الأرقط

لا رَحَحٌ فيها ولا اصطِرارُ * ولم يُقلِّم أرضَها البيطارُ

(* ولا لحبليه بها حبارُ *

الحبار الأثر) ويروى ولم يُقلِّب وتأويل ذلك أن حوافرها لا تتشعث فيقلمها البيطار لانها اذا كانت كذلك ذهب منها شيء بعد شيء فحقها وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة

لا في شَظاها ولا أرساغها عَنَتٌ * ولا السنابكُ أفناهن تقليمُ

وانما يُحمَدُ الحافر المقعَّب وهو الذي هيئته كهيئة القعب وان كان كذلك قيل حافر وأْبٌ قال ابن الخرع

لها حافر مثل قعب الوليـ * ـد يتّخذ الفأرُ فيه مغارا

يريد لو دخل الفأرُ فيه لصلح كقول القائل فأتى بجفنة يقعد عليها عشرةٌ أي لو قعد عليها عشرة لصلح وقال الراجز * وأبَّحت نسورُه الأوقارا * (يقال حافر موقور وهو أن يصيبه داء يشبه الرَّهْصة) وفي كل حافر حاميتان وهما حرفاه عن يمين وشمال ومُقدَّمه السُّنبُكُ ومؤخَّرُه الدابرةُ ومثل قوله عن جريم ملجلج قول علقمة بن عبدة

سُلاءةٌ كعصا النهديّ غُلَّ بها * ذو فيئةٍ من نوى قُرّان معجومُ

شبهها بالشوكة من شوك النخل لان الفرس الانثى يُحمَدُ منها أن يدقّ صدرُها ثم ينخرط على امتلاء الى مؤخرها والحام يحمد منهن أن يعرض الصدر ثم ينخرط الى ذنبه ضمورا فيقال في

صفقته كأنه جلم وقوله كعصا النهدى يريد فى الصلابة كما قال * وكل كميت كالهراوة صلدم *

وقوله ذو فيئة من نوى قران يقول ذو رجعة يقول مضغته الابل فلم تكسره ثم بعرته صحاحا

ومعجوم ممضوغ يقال عجمته أعجمه اذا مضغته فالعجم المضغ ويقال للنوى من كل شئ العجم

متحرك العين قال الاعشى * وجذعانها كلقيط العجم * وقال النابغة

وظل يعجم أعلى الروق منقبضا * فى حالك اللون صدق غير ذى أود

ومثل البيت الاول قول عقبة بن سابق العنبرى

له بين حواميه * نسور كنوى القسب

فهذا تشبيه مقارب جدا ومن التشبيه الحسن قول الشاعر (هو الشماخ)

كأن المتن والشرخين منه * خلاف النصل سيط به مشيج

يريد سهما رمى به فأنفذ الرمية وقد اتصل به دمها والمتن متن السهم وشرخ كل شئ حده فأراد

شرخى الفوق وهما حرفاه والمشيج اختلاط الدم بالنطفة هذا أصله قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

وقال الله جل وعز من نطفة أمشاج نبتليه وفى الحديث اقتلوا مسان المشركين واستبقوا

شرخهم أى الشباب لان الشرخ الحد قال حسان

ان شرخ الشباب والشعر الاسود مالم يعاص كان جنونا

وأنشدنا عمرو بن مرزوق قال أنشدنا شعبة قال أنشدنا سماك بن حرب فى هذا الحديث

ان شرخ الشباب تألفه البيض وشيب القذال شئ زهيد

فأما قول الشنفرى

كأن لها فى الارض نسيا تقصه * على أمها وان تحدثك تبلت

فانما أراد شدة استحيائها يقول لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيأ فى الارض والنسى على

ضرب بين أحدهما ما تقادم عهده حتى يَنسى والآخر ما أصله أهله فيطلب ويطمع فيه وتقصه تتبعه قال الله جل وعز وقالت لأخته قُصِّيه أي اتبعي أثره والأمّ القصد وقوله وان تحدثك تبلت تقطع الحديث لاستحيائها وأنشد بشار بن برد الاعمى قول كثير

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالأكف تلين

قال فقال الله أبو صخر جعلها عصا ثم يعتذر لها والله لو جعلها عصا من مخ أو زبد لكان قد هجنها بالعصا ألا قال كما قلت

وبيضاء المحاجر من معدّ * كأن حديثها قطع الجنان

اذا قامت لسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

والخيزرانة كل غصن لين يتثنى ويقال للمردي خيزرانة اذا كان يتثنى اذا اعتمد عليه قال النابغة

يظل من خوفه الملاح معتصما * بالخيزرانة بعد الأين والنجد

الأين الاعياء والنجد العرق وقد عاب بعض الناس قول كثير

فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بمنخرق من بطن واد كأنما * تلاقت به عطارة وتجارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

وحكى الزبيريون أن امرأة مدينية عرضت لكثير فقالت أأنت القائل هذين البيتين قال نعم قالت فض الله فاك أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

قوله جثجاثها وعرارها الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل قال جرير يهجو

خالد عبد بن العبدى

كم عمة لك يا خليد وخالة * خضر نواجذها من الكراث

نبتت عنيته فطاب لريحها * ونأت من القيصوم والجثجاث

وانما هجاه بالكراث لان عبد القيس يسكنون البحرين والكراث من أطعمتهم والعامة يسمونه الركل والركال قال أحد العبديين

ألا حبذا الاحساء وطيب ترابها * وركالها غادٍ علينا ورائح

وقوله كثير وعرارها فالعرار البهار البرى وهو حسن الصفرة طيب الريح قال الاعشى

بيضاء ضحوتها وصفـ * ـراء العشية كالعراره

وقوله موهنا يريد بعد هدء يقال أتانا بعد هدء من الليل وبعد وهن أى بعد دخولنا فى الليل وأنشد أبو زيد

هبت تلومك بعد وهن فى الندى * بسل عليك ملامتى وعتابى

والمندل العود يقال له المندل والمندلى قال الشاعر

أمن زينب ذى النار * قبيل الصبح ما تخبو

اذا ما خمدت يلقى * عليها المندل الرطب

قال أبو العباس ذى معناه ذه يقال ذا عبد الله وذى أمة الله وذه أمة الله وته أمة الله وتا أمة الله فاذا قلت هذا عبد الله فالاسم ذا وها للتنبيه وعلى هذا تقول هذى أمة الله وان شئت أسكنت فى الوصل فقلت هذه أمة الله واذا قلت هذهى أمة الله فالياء زائدة لان هذه الهاء لما كانت فى لفظ المضمر شبهوها به فى زيادة الياء فجو مررت بهى يافتى لا يجوز أن تضم الهاء فى هذه على قول من قال مررت بهو لان هاء الاضمار أصلها الضم تقول رأيتهو يافتى ورأيتهم يافتى وهذه الهاء ليست من هذه انما هى مشبهة وتقول هاته هند وهاتى هند وها تا هند على

زيادة ها التنبيه قال جرير

هذي التي جدعت تيما معاطسها * ثم اقعدي بعدها يا تيم أو قومي

وقال عمران بن حطان

وليس لعيشنا هذا مهاهٌ * وليست دارنا هاتا بدار

قال أبو العباس النحويون يثبتون الهاء في الوصل فيقولون مهاهٌ وتقديره فعالٌ ومعناه اللمع والبهاء يقال وجه له مهاه يا فتى والاصمعي يقول مهاة تقديرها حصاة يجعل الهاء زائدة وتقديرها في قوله فعلة والمهاة البلورة والمهاة البقرة الوحشية وجمعها المها (حكى يعقوب بن السكيت مهاة من أسماء الشمس وأنشد

ثم يجلوا الظلام رب رحيم * بمهاة ضياؤها منشور).

واذا صغرت ذه قلت تيّا كانك صغرت تا ولا تصغر ذه على لفظها الا انك اذا صغرت ذا قلت ذيّا فلو صغرت ذي فقلت ذيّا لالتبس المؤنث بالمذكر فصغروا ما يخالف فيه المؤنث المذكر وهذه المبهمة يخالف تصغيرها تصغير سائر الاسماء وسنذكر ذلك في باب نفرده له ان شاء الله تعالى ۞ عاد القول الى التشبيه أنشدتني أم الهيثم في صفة جمل

كأن صوت نابه بنابه * صرير خطاف على كلابه

أرادت الصريف وهو أن يحك أحد نابيه بالآخر وقوله صرير خطاف على كلابه فالخطاف ما تدور عليه البكرة والكلاب ماوليه وقد قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسد

القعو ما تدور عليه البكرة اذا كان من خشب فان كان من حديد فهو خطاف وان دارت على حبل فذلك الحبل يسمى الدرك وقوله مقذوفة يقول مرمية باللحم والدخيس الذي قد ركب بعضه بعضا والنحض اللحم وبازلها نابها ومعنى بزل وفطر واحد وهو أن ينشق الناب

قال

قال ذو الرمة

كأنّ على أنيابها كلّ سُدفة * صياحَ البوازي من صريف اللوائك

يقول مما تلوكه ويقال في الغضب تركت فلانا يصرفُ نابه عليك ويحرق ويحرُق وإنه يعض عليك الأُرّمَ قال زهير في مدحه حصن بن حُذيفة (بن بدر الفزاري)

أبى الضيمَ والنعمانُ يحرُقُ نابه * عليه فأفضى والسيوفُ مَعاقلُه

وقال آخر

نُبِّئتُ أحماءَ سليمى إنما * ظلّوا غضابا يعلُكون الأُرَّما

وقال بعض النحويين يعني الشفاه وقال بعضهم يعني الاصابع فأما قولهم عض على ناجذه وهو آخر الاسنان فيكون على وجهين أحدهما انه قال قد احتنك وبلغ والآخر ان يكون للاطراق والتشدد وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه كان يقول اذا لقيتم القوم فاجمعوا القلوب وعضّوا على النواجذ فان ذلك ينبي السيوف عن الهام ❁ ثم نعود الى التشبيه قال الراجز (وهو أبو النجم)

كأنها حين تناهى الباسُ * جنّيةٌ في رأسها أمراسُ

بها سكون وبها شماسُ * يخرج منها الحجرُ الكُباسُ

يمرّ لا يحبسه حبّاسُ * لا نافذُ الطعن ولا ترّاس

يصف المنجنيق والامراس الحبال الواحد مَرَسة والكُباس الضخم يقال هامة كُبّاء يافتى ورأس أكبس والحبّاس الذي من شأنه ان يحبس يقال رجل ضارب للذي يضرب كثيرا كان منه ذلك أو قليلا فاذا قلت ضرّاب وقتّال فانما يكثر الفعل ولا يكون للقليل قال الراجز

أخضر من معدن ذي قساس * كأنه في الحيد ذي الاضراس

* يرمى به في البلد الدهاس *

يصف معولاً وذو فساس معدن للحديد الجيد وهو يقرب من بلاد بني أسد والجيد ما أشرف من الجبل أو غير ذلك يقال للطنف جيد وهو الذي يسميه أهل الحضر الافريز يقال طنف حائطك ويقال للنانئ وسط الكتف جيد وعير وكذا النانئ في القدم وقوله ذي الاضراس يريد الموضع الضرس الخشن ذا الحجارة فيقول هذا المعول لحدته يقع في الخشونة فيهدمها كما يهدم الدهاس والدهاس ما لان من الرمل قال دريد بن الصمة في يوم حنين اين مجتلد القوم فقالوا بأوطاس فقال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا لين دهس وقال العجاج يصف حمارا

كأن في فيه اذا ما شحجا * عوداً دوين اللهوات مولجا

هذا يوصف به العير الوحشي اذ أسن تراه لا يشتد نهيقه وكأنه يعالجه علاجا قال الشماخ

اذا رجع التعشير ثجا كأنه * بناجذه من خلف قارحه شجي

فأما قول عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

فانما يصف الناقة ويذكر حنينها يقال انه يخرج منها كأنه صوت فانما شبهه بالزمير وأراد القصب الذي يزمر به قال الاصمعي هو الذي يقال له بالفارسية ناي قال الراعي يصف الحادي

زجل الحداء كأن في حيزومه * قصباً ومقنعة الحنين عجولا

المقنع الرافع رأسه في هذا الموضع ويقال في غيره الذي يحط رأسه استخذاء وندما قال الله جل وعز مقنعي رؤسهم ومن قال هو الرافع رأسه فتأويله عندنا أنه يتطاول فينظر ثم يطأطئ رأسه فهو بعد يرجع الى الاغضاء والانكسار والبعير يحن كأشد الحنين الى الآفه اذا أخذ من القطيع قال وأكثر ما يحن عند العطش قال الشاعر

(وتفرقوا بعد الجميع لنية * لا بد أن يتفرق الجيران)

لا تصبر الابل الجلاد تفرقت * بعد الجميع ويصبر الانسان

وقال آخر

وهل ريبة في أن تحن نجيبة * الى الفها أو أن يحن نجيب

واذا رجعت الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون كما يهتاجون لنوح الحمام ولالتياح البروق وقال عوف بن محلم وسمع نوح حمامة

ألا يا حمام الأيك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

أفق لا تنح من غير شئ فانني * بكيت زمانا والفؤاد صحيح

ولوعا فشطت غربة دار زينب * فها أنا أبكي والفؤاد قريح

وكل مطوقة عند العرب حمامة كالدبسي والقمري والورشان وما أشبه ذلك قال حميد بن ثور

وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما

اذا شئت غنتني بأجزاع بيشة * أو النخل من تثليث أو بيلملما

مطوقة خطباء تسجع كلما * دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما

محلاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

تغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة في شجوها متلوما

اذا حركته الريح أو مال ميلة * تغنت عليه مائلا ومقوما

عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما

فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

وقال ابن الرقاع وذكر حمامة

(ومما شجاني أنني كنت نائما * أعلل من برد الكرى بالتنسم

الى أن بكت ورقاء في غصن أيكة * تردد مبكاها بحسن الترنم)

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلى فهاج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

اما قول حميد دعت ساق حر وانما حكى صوتها ويقال للواحد ذكرا كان أو أنثى حمامة والجمع الحمام والحمامات فاذا كان ذكرا قلت هذا حمامة واذا كانت أنثى قلت هذه حمامة وكذلك هذا بطة وهذه بطة ويقال بقرة للذكر والانثى ودجاجة لهما فاذا قلت ثورا وديك بينت الذكر واستغنيت عن تقديم التذكير ويقال للحمامة تغنت وناحت وذلك أنه صوت حسن غير مفهوم فيشبه مرة بهذا ومرة بهذا قال قيس بن معاذ

ولو لم يشقنى الظاعنون لشاقنى * حمائم ورق فى الديار وقوع

تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح ما تجرى لهن دموع

وقوله وانجال الربيع يقال انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجم عنا وان قلت أنجم فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم وان قلت انجاب فمعناه انشق يقال المجوب للحديدة التى يثقب بها العيب ويقال جبت البلاد أى دخلتها وطوفتها وفى القرآن وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أى شقوه وقوله لم يكن من تميمة التميمة المعاذة وقد مضى هذا وقوله ولم تفغر عنطقها فما يقول لم تفتح يقال فغر فاه اذا فتحه (حكى ثعلب فغر فاه وفغر نفسه وكذلك شحا فاه وشحا نفسه) وقوله ولا عربيا شاقه صوت أعجما يقول لم أفهم ما قالت ولكنى استحسنت صوتها واستحزنته فحننت له وروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدرى ما تقول فيبكيه ذلك ويرققه ويذكر به غير ما قصدت له وحدثت أن بعض المحدثين سمع غناء بخراسان بالفارسية فلم يدر ما هو غير أنه شوقه لشجاه وحسنه فقال فى ذلك

حمدت لك ليلة شرفت وطابت * أقام سهادها ومضى كراها

سمعت بها غناء كان أولى * بأن يقتاد نفسى من غناها

الغناء الاول الممدود من الصوت والذي ذكره بعد في القافية من المال مقصور

ومُسْمِعَةٍ تَحارُ اسمعُ فيها * ولا تَصْمِمُه لا يُصمم صداها
مَرَتْ أوتارها فشفت وشاقت * فلو يستطيع حاسدُها فداها
ولم أفهم معانيها ولكن * وَرَتْ كبدي فلم أجهل شجاها
فكنتُ كأنني أعمى مُعنًّى * بحب الغانيات وما يراها

(وقال عبد بني الحسحاس

وراهنّ ربي مثل ما قد وَرَيْنَني * وأحمى على أكبادهنَّ المكاويا)

قال أبو العباس والشيء يذكر بالشيء وان كان دونه فيجري لاحتواء الباب والمعنى عليهما وفي شعر حميد هذا ما هو أحكم مما ذكرنا وأوعظ وأحرى ان يتمثل به الاشراف وتسود به الصحف وهو قوله

أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحسبك داءً أن تصح وتسلما
ولا يلبث العصران يوم وليلة * اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داء ﴿ ثم نرجع الى التشبيه والعرب تُشبِّهُ على أربعة أضرب فتشبيه مُفْرِطٌ وتشبيه مُصيب وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو أخشنُ الكلام فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي هو كالبحر وللشجاع هو كالاسد وللشريف سما حتى بلغ النجم ثم زادوا فوق ذلك فمن ذلك قول بعضهم (وهو بكر بن النطاح يقوله لابي دلف القاسم بن عيسى)

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجلّ من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها * على البر صار البر أندى من البحر
ولو أن خلق الله في مسك فارس * وبارزه كان الخلي من العمر

وقد قيل ان امرأة عمران بن حطان قالت له أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قط قال أو فعلت قالت أنت القائل

فهناك مجزأة بن ثو * ر كان أشجع من أسامه

أفيكون رجل أشجع من الاسد قال فقال انا رأيت مجزاة فتح مدينة والاسد لا يفتح مدينة

ومن عجيب التشبيه في افراط غير أنه خرج في كلام جيد وعني به رجل جليل فخرج من باب الاحتمال الى باب الاستحسان ثم جعل بجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه في غاية ما يستحسن قول النابغة يعني حصن بن حذيفة (بن بدر بن عمرو الفزاري)

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * وكيف بحصن والجبال جنوح

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل * نجوم السماء والاديم صحيح

فعما قليل ثم جاء نعيه * فظل ندى الحي وهو ينوح

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما ذكرناه وهو قول أبي الطمحان

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ويروى عن الاصمعي أنه رأى رجلا يختال في أزير في يوم قر في مشيته فقال له ممن أنت يا مقرور فقال أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلى ويدفئني حسبي وقيل لآخر في هذه الحال أما يوجعك البرد فقال بلى والله ولكني أذكر حسبي فأدفأ وأصوب منهما قول العريان الذي سئل في يوم قر عما يجد فقال ما علي منه كبير مؤنة وقيل وكيف فقال دام بي العزى فاعتادته بي ما تعتاده وجوهكم ومن التشبيه الفاسد الصحيح قول النابغة

وعيد أبي قابوس في غير كنهه * أتاني ودوني راكس فالضواجع

فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

يسهد من نوم العشاء سليمها * لحلي النساء في يديه قعاقع

تُنَاذِرُها الراقون من سوء سُمِّها * تُطَلِّقُهُ طَوراً وطَوراً تُراجِعُ

فهذه صفة الخائف المهموم ومثل ذلك قول الآخر

تَبِيتُ الهُمومُ الطارِقاتُ يَعُدْنَني * كما تَعْتَرِي الأَوْصابُ رأسَ المُطَلَّقِ

والمطلق هو الذي ذكره النابغة في قوله * تطلقه طورا وطورا تراجع * وذلك أن المنهوش اذا أَلَحَّ الوجع به تارة وأَمسكَ عنه تارة فقد قارب أن يوأس من بُرْئه وأعاذَ كَرَّ خوفه من النعمان وما يعتريه من لَوْعة في أثر لوعة والفترة بينهما والخائف لا ينام الا غِراراً فلذلك شبهه بالملدوغ المُسَهَّدِ وقوله لحلي النساء في يديه قعاقع لانهم كانوا يعلقون حُلِيَّ النساء على الملدوغ يزعمون أن ذلك من أسباب البرء لانه يسمع تَقَعْقُعَها فيمنعه النوم فلا ينام فيَدِبُّ فيه السمُّ ويُسَهَّدُ لذلك وقال الآخر

كأنَّ فِجاجَ الارض وهي عريضةٌ * على الخائف المطلوب كِفَّةُ حابِلِ

يُؤَدَّى اليــه أن كــل ثَنِيَّةٍ * تَيَمَّمَها تَرمي اليــه بقاتــل

يقال لكل مستطيل كُفَّةٌ يقال كُفَّةُ الثوب لحاشيته وكُفَّةُ الحابل اذا كانت مستطيلة ويقال لكل شيء مستدير كِفَّةٌ ويقال ضعه في كِفَّةِ الميزان فهذه جملة هذا وكُفَّةُ الحابل يعني صاحب الحبالة التي ينصبها للصيد وأما التشبيه البعيد الذي لا يقوم بنفسه فكقوله

بل لو رأتني أُختُ جِيرانِنا * اذ أنا في الدار كأني حمار

فانما أراد الصحة فهذا بعيد لان السامع انما يستدل عليه بغيره وقال الله جل وعز وهذا البين الواضح كَمَثَلِ الحمار يحمل أسفارا والسِّفْرُ الكتاب وقال مَثَلُ الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كَمَثَلِ الحمار في أنهم قد تعاموا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة قوما من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته فقال

زوامل للاشعار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا * بأوساقه أوراح ما فى الغرائر

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبى أو البقرة الوحشية والانف بحد السيف والفم بالخاتم والشعر بالعناقيد والعنق بابريق فضة والساق بالجمار فهذا كلام جار على الألسن وقد قال سراقة بن مالك بن جعشم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه باديتان فى غرزه كأنهما جماران فاردته فوقعت فى مقنب من خيل الانصار فقرعونى بالرماح وقالوا أين تريد وقال كعب بن مالك الانصارى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر تبلج وجهه فصار كأنه البدر وعين الانسان مشبهة بعين الظبى والبقرة فى كلامهم المنثور وشعرهم المنظوم من جارى ما تكلمت به العرب وكثر فى أشعارها قال

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

(وقال ذو الرمة

أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللوى * مشابه جنبت اعتلاق الحبائل
فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولونك الا انها غير عاطل)

وقال الآخر

فلم ترعينى مثل سرب رأيته * خرجن علينا من زقاق ابن واقف
طلعن بأعناق الظباء وأعين الـ * ـجآذر وامتدت بهن الروادف

ويقال للخطيب كأن لسانه مبرد فهذا الجارى فى الكلام كما يقال للطويل كأنه رمح ويقال للمهتز للكرم كأنه غصن تحت بارح ومن مليح التشبيه قول القائل

لعينيك يوم البين أسرع واكفا * من الفنن الممطور وهو مروح

وذالك أن الغصن يقع المطر في ورقه فيصير منها في مثل المداهن فاذا هبت به الريح لم تلبثه ان تقطره ۞ ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المحدثين وملاحاتهم فقد شرطناه في أول الباب ان شاء الله قال أبو العباس ومن أكثرهم تشبيها لاتساعه في القول وكثرة تفننه واتساع مذاهبه الحسن بن هانئ قال في مديحه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك

وكنا اذا ما الحائن الجد غره * سنى برق غاو وضجيج رعاد

تردى له الفضل بن يحيى بن خالد * بماضى الظبى أزهاه طول نجاد

امام خميس أرجوان كانه * قميص محوك من قنا وجياد

فما هو الا الدهر يأتى بصرفه * على كل من يشقى به ويعادى

قوله الحائن الجد يقال حان الرجل اذا دنا موته ويقال رجل حائن والمصدر الحين والجد الحظ والجد والجدة مفتوحان فاذا أردت المصدر من جددت في الامر قلت أجد جدا مكسور الجيم ويقال جددت النخل أجده جدا اذا صرمته ويقال جذذته جذا وتركت الشئ جذاذا اذا قطعته قطعا ويروى هذا البيت لجرير على وجهين

آل المهلب جد الله دابرهم * أضحوا رمادا فلا أصل ولا طرف

ويروى جذ وقرأ بعض القراء عطاء غير مجذوذ فأما قوله فجعلهم جذاذا فلم يقرأ بغيره ويقال كم جذاذ نخلك أى كم تصرم منها ويروى في قول الله جل وعز وأنه تعالى جد ربنا عن أنس بن مالك غنى ربنا وقرأ سعيد بن جبير جدا ربنا ولو قرأ قارئ جدا ربنا على معنى جد ربنا لم يقرأ به لتغير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط وهذا الشعر ينشد بالكسر

أجدك لم تغمض ليلة * فترقدها مع رقادها

ومثله (قول الاعشى)

أجدك لم تسمع وصاة محمد * رسول الاله حين أوصى وأشهدا

لان معناه أجدّا منك على التوقيف وتقديره فى النصب أتجد جدّا ويقال امرأة جدّاء اذا كانت لاتدى لها فكأنه قطع منها لان أصل الجدّ القطع ويقال بلدة جدّاء اذا لم تكن بها مياه قال الشاعر

وجدّاء ما يرجى بها ذو هوادة * لعرف ولا يخشى السماة ربيبها

(القرابة والهوادة فى المعنى واحد قال أبو الحسن السماة هم الصادة نصف النهار وروى عن بعض أصحابنا عن المازنى قال انما سمى ساميا بالسماة وهو خف يلبسه لئلا يسمع الوحش وطأه وهو عندى من سما الصيد) وينشد هذا البيت

أبى حبى سلمى أن يبيدا * وأصبح حبلها خلقا جديدا

يقول أصبح خلقا مقطوعا لان جديدا فى معنى مجدود أى مقطوع كما تقول قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال فى غير هذا المعنى رجل مجدود اذا كان ذا خطر أى حظ وفى الدعاء ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ أى من كان له حظ فى دنياه لم يدفع ذلك عنه ما يريد الله به ولو قال قائل ولا ينفع ذا الجِدّ منك الجدّ يريد الاجتهاد لكان وجها وقوله سنى برق غاو والسنى من الضياء مقصور قال الله جل وعز يكاد سنى برقه يذهب بالابصار والسناء من المجد ممدود وقال الشاعر

وهم قوم كرام الحى طرا * لهم خول اذا ذكر السناء

وضربه الحسن ههنا مثلا وجمع الرصد فقال رصاد كقولك كلب وكلاب وكعب وكعاب وقوله بماضى الظبى ظبة كل شئ حده يقال وخزه بظبة السيف يراد بذلك حدّ طرفه وقوله أزهاه طول نجاد النجاد حمائل السيف وأزهاه رفعه وأعلاه والرجل يمدح بالطول فلذلك يذكر طول حمائله قال مروان بن أبى حفصة يمدح المهدى

قصرت حمائله عليه فقلصت * ولقد تأنق فيها فأطالها

وقال الحسن بن هانئ يمدح محمدا الامين

سَبِطُ البَنانِ اذا احتَبَى بِنِجادِهِ * غَمَرَ الجَماجِمَ والسِماطُ قِيامُ

وقال جرير للفرزدق

تعالَوْا فَفاتُونا فِي الحكمِ مُقْنِعٌ * الى الغُرِّ من أَهْلِ البِطاحِ الأَكارِمِ

فاني لأَرْضَى عَبْدَ شمسٍ وماقَضَتْ * وأَرْضَى الطِوالَ البِيضَ من آلِ هاشِمِ

وقال الآخر

لما التَقَى الصَفّانِ واختلفَ القَنا * نِهالاً وأَسبابُ المَنايا نِهالُها

تَبَيَّنَ لِي أنّ القَماءةَ ذِلَّةٌ * وأنّ أَشِدّاءَ الرِجالِ طِوالُها

وقوله أمام خميس الخميسُ ههنا الجيش وكذلك قال ربيئة أهل خيبر لما أطلّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليهم محمدٌ والخميسُ أى والجيش وقال الشاعر وهو طَرَفةُ

وأيُّ خميسٍ لا أَفَأْنا نِهابَهُ * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من كَبْشِهِ دَما

افأنا رددنا يقال أفاء مَنْ فيه اذا ردّوا الأُرجوانُ الاحمر قال الشاعر

عَشِيَّةَ غادَرْتُ خَيْلِي حُيَيْدا * كأنّ عليه حُلّةَ أُرْجُوانِ

والجياد الخيلُ وفى القرآن اذ عُرِضَ عليه بالعَشِيِّ الصافناتُ الجيادُ ومن تشبيهه الجيد فى هذا الشعر الذى ذكرنا قوله

تَرَى الناسَ أفواجا الى باب داره * كأنّهم رِجْلا دَبًى وجَرادِ

فيومٌ لالحاق الفقير بذى الغنى * ويومٌ رِقابٍ بُوكِرَتْ لِحَصادِ

ومن التشبيه الجيد قوله (أى أبى نواس الحسن بن هانئ)

فكأنّى بما أُزَيِّنُ منها * قَعَدِيٌّ يُزَيِّنُ التَحكيما

وكان سبب هذا الشعر ان الخليفة تشدّد عليه فى شرب الخمر وحبسه من أجل ذلك حبسا طويلا فقال

أيها الراشحان باللوم لوما * لا أذوق المدام الا شميما

نالني بالملام فيها امام * لا أرى لي خلافه مستقيما

فاصرفاها الى سواي فانى * لست الا على الحديث نديما

كبر حظي منها اذا هي دارت * أن أراها وأن أشم النسيما

فكأني بما أزين منها * قعدى يزين التحكيما

لم يطق حمله السلاح الى الحر * ب فأوصى المطيق الا يقيما

فهذا المعنى لم يسبقه اليه أحد قال وحدثت ان العماني الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس

كأن أذنيه اذا تشوفا * قادمة أو قلما محرفا

فعلم القوم كلهم انه قد لحن ولم يهتد منهم أحد لاصلاح البيت الا الرشيد فانه قال له قل

* تخال أذنيه اذا تشوفا * والراجز وان كان لحن فقد أحسن التشبيه وروى أن جريرا

دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده ينشده القصيدة التي يقول فيها

غلب المسامح الوليد سماحة * وكفي قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية

* تزجي أغن كأن ابرة روقه * قال فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به

قال فقال * قلم أصاب من الدواة مدادها * قال فما قدرت حسدا له أن أقيم حتى انصرفت

ومن تشبيهه الحسن الذي نستطرفه قوله

تعاطيكها كف كأن بنانها * اذا اعترضتها العين صف مداري

ومن التشبيه المليح قوله

وكأن سعدى اذ تودعنا * وقد اشرأب الدمع أن يكفا

رشأ تواصين القيان به * حتى عقدن بأذنه شنفا

(يقال اشرأبت لان بكلمتي اذا تهيأ للكلام وأشرأبّ الدمع اذا تهيأ للوكف) وفي هذا الشعر من التشبيه

خبر فؤادك أو ستخبره * قسما لتنتهين أو حلفا
الحبّ ظهر أنت راكبه * فاذا صرفت عنانه انصرفا

ومن التشبيه الجيد قوله

اليك رمت بالقوم خوص كأنما * جماجمها فوق الحجاج قبور

وله أيضا

سأرحل من قود المهارى شملّة * مسخّرة ما تستحث بحادى
مع الريح ما راحت فان هي أعصفت * تهزّ برأس كالعلاة وهادى

العلاة السندان قال جرير

أيفخر بالمحمم قين ليلى * وبالكير المرقّع والعلاة

وقال الحسن بن هانئ في صفة السفينة

بنيت على قدر ولاءم بينها * طبقان من قير ومن ألواح
فكأنها والماء ينطح صدرها * والخيزرانة في يد الملاح
جون من العقبان يبتدر الدجى * يهوى بصوت واصطفاق جناح

وقال في شعر آخر يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقتها وضياءها واشراقها

اذا عبّ فيها شارب القوم خلته * يقبّل في داج من الليل كوكبا

فأما قوله

بنينا على كسرى سماء مدامة * جوانبها محفوفة بنجوم
فلو ردّ في كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفاني دون كل نديم

فانما كانت صورة كسرى فى الاناء وقوله جوانبها محفوفة بنجوم فانما يريد ما تطوق به من الزبد وقد قال فى أخرى (أول الشعر من غير الام

ودار ندامى خلفوها وادلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنى ويابس

حبست بها صحبى فألفت شملهم * وانى على أمثال تلك لحابس)

أقمنا بها يوما ويوما وليلة * ويوما له يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفى جنباتها * مها تدريها بالقسى الفوارس

فللخمر ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

العسجدية منسوبة الى العسجد وهو الذهب وقال المثقب العبدى

قالت ألا لا تشترى ذاكم * الا بما شئنا ولم يوجد

الا بيدرى ذهب خالص * كل صباح آخر المسند

من مال من يجبي ويجبى له * سبعون قنطارا من العسجد

وقوله تدريها أى تختلها يقال دريت الصيد اذا ختلته قال الاخطل

وان كنت قد أقصدتني اذ رميتني * بسهميك والرامى يصيد وما يدرى

وقال الحسن بن هانئ

ما حطك الواشون من رتبة * عندى ولا ضرك ما اغتابوا

كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندى بالذى عابوا

وهذا المعنى عندى مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لخلى بن نضلة وقد ذكر معاوية بن شكل فقال أبيت اللعن انه لقعو الاليتين مقبل النعلين فج الفخذين مشاء بأقراء تباع اماء قتال

ظباء فقال النعمان أردت أن تذعه فذهته قوله مقبل النعلين يقول لنعله قبال ينسبه الى الترفه وتباع اماء وقبال ظباء من ذلك والقعو ما تدور فيه البكرة اذا كان من خشب وقوله تذعه معناه تذمه يقال ذمه يذمه ذما وذامه يذيمه ذيما وذأمه يذأمه ذأما والمعنى واحد قال الله تبارك وتعالى اخرج منها مذؤما مدحورا وقال الحرث بن خالد المخزومى لعبد الملك

صحبتك اذ عينى عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسى أذيمها

وقوله فذهته يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم كذلك تقول ولهم ومن قاربها قال رؤبة

لله در الغانيات المده * سبحن واسترجعن من تألهى

يريد المدح وفى هذه الأرجوزة * براق أصلاد الجبين الأجله * يريد الأجلح والعرب تقول جلح الرجل يجلح جلحا وجله يجله جلها وجلى يجلى جلى والمعنى واحد قال العجاج

* مع الجلا ولائح القتير * ومثل بيت الحسن وكلام النعمان قول عمرو بن معديكرب

كأن محرشا فى بيت سعدى * يعل بعيبها عندى شفيع

وفى قصيدة الحسن هذه

ان جئت لم تأت وان لم أجئ * جئت فهذا منك لى داب

كأنما أنت وان كنت لا * تكذب فى الميعاد كذاب

وهذا كلام طريف ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار

وكأن تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ما جمعت عليه * بنانها ذهبا وعطرا

وهذا التشبيه الجامع ونظيره فى جمع شيئين لمعنيين ما ذكرت لك من قول مسلم بن الوليد

* كأن فى سرجه بدرا وضرغاما * ومن حسن التشبيه من قول المحدثين قول عباس

ابن الاحنف

أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأني ذبالة نصبت * تضيء للناس وهي تحترق

فهذا حسن في هذا جدا ومن حسن ما قالوا في التشبيه قول اسمعيل بن القاسم أبي العتاهية للرشيد

أمين الله أمنك خير أمن * عليك من التقى فيه لباس

تساس من السماء بكل فضل * وأنت به تسوس كما تساس

كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه راس

وقد أخذ هذا المعنى علي بن جبلة فقال في مدحه حميد بن عبد الحميد وزاد في الشرح والترتيب فقال

يرتق ما يفتق أعداؤه * وليس يأسو فتقه آسي

فالناس جسم وامام الهدى * رأس وأنت العين في الراس

والعرب تختصر في التشبيه وربما أومأت به ايماء قال أحد الرجاز

بتنا بحسان ومعزاه تئط * مازلت أسعى بينهم وألتبط

حتى اذا كان الظلام يختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

يقول في لون الذئب واللبن اذا جهد وخلط بالماء ضرب الى الغبرة وأنشد الاصمعي

وتشرب به محضا وتسقى عيالها * سجاجا كأقراب الثعالب أورقا

السجاج الرقيق الممذوق والقربان الجنبان والواحد قرب ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شاور في رجل جنى جناية وجاء قومه يشفعون له فشفع له قوم آخرون فقال له عمر يا رسول الله أرى أن توجع قربه فقال القوم يا رسول الله

انك لن تشتد على أمتك بقول عمر فنزل اليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثا يا محمد القول قول عمر شد الاسلام بعمر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الرجل والاورق لون بين الخضرة والسواد يقال جمل أورق بين الورقة وهو ألأم ألوان الابل عند العرب وأطيبها لحما ومن مليح التشبيه قول عبد الصمد بن المعذل فى صفة العقرب

تبرز كالقرنين حين تطلعه * ترحله هرا وهرا ترجعه
فى مثل صدر السبت خلق تقطعه * أعصل خطار تلوح شنعه
أسود كالسبجة فيه مبضعه * لا تصنع الرقشاء ما لا يصنعه

وفى هذه الارجوزة أيضا

بات بها حسين حبيش يتبعه * وبات جذلان وثيرا مضجعه
ذا سنة آمن ما يروعه * حتى دنت منه لحتف ترمعه
فاطنت تحجم عنها وتجمعه * يا بؤس للمودعه ما تودعه
فشرعت أم الحمام اصبعه * أنحت عليه كالشهاب تلذعه
عطلت سربال حرير تخلعه * فكل خيل ظاهر تقعقعه
يزداد من بغت الحمام جزعه * واليأس من تبشيره توقعه

وكذلك قال يزيد بن ضبة (أو العرجي قال أبو الحسن شك أبو العباس فى أنه لاحدهما أعنى هذا البيت)

ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة * وأفظع شئ حين يفجؤك البغت

ومن أحسن التشبيه ومليحه قول رجل يهجو رجلا رثاثة الحال

يا أيها ذا فى جبة مخرقة * أطول أعمار مثلها يوم
وطيلسان كالآل يلبسه * على قميص كأنه غيم

والتشبيه كثير وهو باب كأنه لا آخر له وانما ذكرنا منه شيأ لئلا يخلو هذا الكتاب من شئ من المعانى ونختم ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد ثم نأخذ فى غير هذا الباب ان شاء الله قال طُفَيْلٌ

تَقْرِيبُهُ المَرَطَى والجَوْزُ مُعْتَدِلٌ * كأنه سُبَدٌ بالماء مَغْسُولُ

السُّبَدُ طائر بعينه وقد قالوا الخصفة التى توضع عند البئر وهو بالطائر أشبه وانما أراد العَرَقَ فى هذا الوقت وخيرُ الخيل ما لم يُسْرِعْ عَرَقُهُ ولم يُبْطِئْ فاذا جاء فى وقته شَمِلَهُ قال الراجز

كأنه والطَّرْقُ منه سام * مشتمِلٌ جاء من الحَمَّام

وقال الأعشى

يُبادى النحوصَ ومِسْحَلَها * وعِفْوَهُما قبل أن يَسْتَحِمْ

النحوص جاءها نُحُصٌ وهى التى لم تحمل فى عامها والمسحل العير والعفو الولد وجمعه عفاء وأعلم وهو أسعى له اذا لم يكن لعامه ويستحم يعرق وفى حديث أمّ زرع مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ الشَّطْبَةِ وتكفيه ذِراعُ الجَفْرَةِ ومعناه أنه خميص البطن وهذا تَمَدَّحُ به العربُ وتستحسنه فأما قول مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ * فتى غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أرْوَعا * فانما أراد انه لا يَسْتَعْجِلُ بالعَشاء لانتظاره الضيف كما قال

وضَيْفٍ اذا أرْغَى طُرُوقًا بعيرُهُ * وعانٍ ثَناهُ الوفدُ حتى تَكَنَّما

وقالوا فى قول الخنساء

يُذَكِّرُنى طلوعُ الشمس صَخْرًا * وأذكُرُهُ لكلِّ غروبِ شمس

قالوا أرادت بطلوع الشمس وقتَ الغارة وبغروب الشمس وقتَ الاضياف وقال رجل لابن له والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدًا ولا بأرْسَحَ فتكونَ فارسا وقال رجل من بنى أسد لرجل من قيس والله ما فُتِقْتَ فَتْقَ السادة ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسان فهذه كلها نعوت قد

عرفت لقوم حتى كأنها سماب لهم ينبغي للفارس أن يكون مهفهف الخصرين متوقد العينين خش الذراعين وأنشد الاصمعي * كأنما ساعداه ساعدا ذيب * قالوا ومن نعت السيد ان يكون لحيما ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعد واذا تؤمل ملأ العين لان حقه أن يكون في صدر مجلس او ذروة منبر أو منفردا في موكب وكانوا يقولون في نعت السيد يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال أبو علي دعبل في رجل نسبه الى السودد بقوله لمعاذ بن جبل بن سعيد الحميري وهو من ولد حميد بن عبد الرحمن الفقيه

فاذا جالسته صدرته * وتنحيت له في الحاشيه
واذا سايرته قدمته * وتأخرت مع المستأنيه
واذا يا سرته صادقته * سلس الخلق سليم الناحيه
واذا عاسرته صادقته * شرس الرأي أبيا داهيه
فاحمد الله على صحبته * واسأل الرحمن منه العافيه

وهذا المعنى قد أجمله جرير في قوله

بشر أبو مروان ان عاسرته * عسر وعند يساره ميسور

٤٨ - باب

تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الامثال ومأثور الاخبار ان شاء الله * كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكي فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد بن عمرو يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه ولزياد يقول ابن قيس الرقيات في معاتبته المهلب بن أبي صفرة

أبلغا جاري المهلب عني * كل جار مفارق لا محاله
ان جاراتك اللواتي بشكر * بت لتنبيذ رحلهن مقاله
لو تعلقن من زياد بن عمرو * بحبال لما ذممن سباله
غلبت أمه أباه عليه * فهو كالكابلي أشبه خاله
ولقد غالني يزيد وكانت * في يزيد خيانة ومقاله
عنكي كأنه ضوء بدر * يحمد الناس قوله وفعاله

وقال أسماء بن خارجة الفزاري لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا فانما هو كريم أسد خلته أو لئيم أشتري عرضي منه وقال سهل بن هرون يجب على كل ذي مقالة أن يبتدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكان يقول عند التعزية التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وأراد رجل الحج فأتى شعبة بن الحجاج يودعه فقال له شعبة أما انك ان لم ترا الحلم ذلا والسفه أنفا سلم لك حجك وقال أوس المزني ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما وقال دعبل بن علي الخزاعي يذم رجلا

رأيت أبا عمران يبذل عرضه * وخبز أبي عمران في أحرز الحرز
يحن الى جاراته بعد شبعه * وجاراته غرثى تحن الى الخبز

وقال آخر

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكف يد عن حرمة الجار

(أظن تمامه

حتى اذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولي على النار
قامت بأحمرها تندى مشافره * كأنه زنة في كف جزار)

وقال رجل من طيئ وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلا من بني أسد يقال له زيد ثم أقيد به بعد

علا زيدنا يوم الحمى رأس زيدكم * بأبيض مصقول الغرار يمان

فان تقتلوا زيدا بزيد فانما * أقادكم السلطان بعد زمان

(قال أبو الحسن وأنشدنا غيره

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم * بأبيض من ماء الحديد يمان)

قال كلم شمعل التغلبي عبد الملك كلاما لم يرضه فرماه عبد الملك بالجرز فخدش وهشم فقال شمعل

أمن جذبة بالرجل مني تباشرت * عداتي فلا عيب علي ولا سخر

فان أمير المؤمنين وسيفه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقال الحجاج البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد وقال زياد كفى بالبخيل عارا ان اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجواد مجدا ان اسمه لم يقع في ذم قط وقال آخر

ألا ترين وقد قطعتني عذلا * ماذا من الفضل بين البخل والجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله * اما نوالا واما حسن مردود

الا يكن ورق يوما أراح به * للخابطين فاني لين العود

قوله الا يكن ورق يريد المال وضربه مثلا ويقال أتى فلان فلانا يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق فجعل الخابط الطالب والورق المال كما قال زهير

وليس مانع ذي قربى ولا رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفي يده عصا فقال الضيف يا راعي الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال عجراء من سلم فقال الرجل اني ضيف فقال الحطيئة للضيفان

أعده تهاوقال دعبل

وابن عمران يبتغي عربيا * ليس يرضى البنات للاكفاء
ان بدت حاجة له ذكر الضيف وبنساء عند وقت الغداء

وقال أيضا

أضياف سالم في خفض وفي دعة * وفي شراب ولحم غير ممنوع
وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

وقال دعبل

ما يرحل الضيف عني بعد تكرمة * الا برفد وتشييع ومعذرة

وقال أيضا

لم يطيقوا أن يسمعوا وسمعنا * وصبرنا على رحى الاسنان
صوت مضغ الضيوف أحسن عندي * من غناء القيان بالعيدان

وقال القرشي من بني أمية

اذا ما وترنا لم ننم عن تراتنا * ولم نك أوغالا نقيم البواكيا
ولكننا نغضي الجياد شوازبا * فنرمي بها نحو الترات المراميا

وقال جرير

ان الذي حرم الخلافة تغلبا * جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا
ان الفرزدق اذ تحنف كارها * أضحى لتغلب والصليب خدينا
ولقد جزعت الى النصارى بعدما * لقي الصليب من العذاب مهينا

هل تشهدون من المشاعر مشعرا * أو تسمعون من الأذان أذينا

قال أبو العباس حدثني عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال لما بلغ الوليد قوله

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

قال الوليد أما والله لو قال لو شاء ساقكم لفعلت ذاك به ولكنه قال لو شئت فجعلنى شرطيا له

ويروى أن بلالا قعد يوما ينظر بين الخصوم ورجل منهم ناحية يتمثل قول الأخطل على غير معرفة

وابن المراغة حابس أعياره * مرمى القصية ما يذقن بلالا

فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه قال له بلال أعد انشادك فغمزه بعض الجلساء فقال الرجل انى والله ما أدرى من قاله ولا فيمن قيل فقال بلال أجل هو أشعر من ذاك هلما فاخصما

وقال جرير

مررت على الديار فما رأينا * كدار بين تلعة والنظيم

عرفت المنتأى وعرفت منها * مطايا القدر كالحدإ الجثوم

وقال آخر

لقد نبلت فؤادك اذ تولت * ولم تخش العقوبة فى التولى

عرفت الدار يوم وقفت فيها * بريح المسك تنفح فى المحل

٤٩ ﴿باب من أخبار الخوارج﴾

قال أبو العباس ذكر أهل العلم من الصفرية أن الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى من الأزد تكره ذلك فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استبيتوا الرأى أى دعوه يغب وكان يقول نعوذ بالله من الرأى الدبرى قوله استبيتوا الرأى

يقول دعوا رأيكم ثم تأتى عليه ليلة ثم تعقبوه يقال بيّت فلان كذا وكذا اذا فعله ليلا وفى القرآن اذ يبيّتون ما لا يرضى من القول أى اداروا ذلك ليلا بينهم وأنشد أبو عبيدة

أتونى فلم أرض ما بيّتوا * وكانوا أتونى بأمر نُكُر

لأنكح أيّمهم منذرا * وهل يُنكح العبدَ حُرٌّ لِحُر

والرأى الدبرى الذى يعرض من بعد وقوع الشئ كما قال جرير

ولا يعرفون الشرّ حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر الا تدبّرا

وكان عبد الله بن وهب ذا رأى وفهم ولسان وشجاعة وانما لجؤا اليه وخلعوا مَعدانَ الايادىّ لقول معدان

سلامٌ على من بايع الله شاريا * وليس على الحزب المقيم سلامُ

فبرئت منه الصفرية وقالوا اخالفت لانك برئت من القعد قال أبو العباس والخوارج فى جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة وحُدثتُ ان واصل بن عطاء أبا حُذيفة أقبل فى رُفقة فأحسّوا الخوارج فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى واياهم وكانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنك فخرج اليهم فقالوا ما أنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلّمونا فجعلوا يعلّمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معى قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى وان أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا بأجمعهم حتى بلّغوهم المأمن وذكر أهل العلم من غير وجه ان عليا رضى الله تعالى عنه لما وجّه اليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه ليناظرهم قال لهم ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكّم فى دين الله خرج من الايمان فليتب بعد اقراره

بالكفر نعدله فقال ابن عباس لا ينبغي لمؤمن لم يشب ايمانه شك ان يقر على نفسه بالكفر قالوا انه قد حكم قال ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد فقال عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم فكيف في امامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا انه قد حكم عليه فلم يرض فقال ان الحكومة كالامامة ومتى فسق الامام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فان هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم بل هم قوم خصمون وقال عز وجل وتنذر به قوما لدا والشئ يذكر بالشئ وجاء في الحديث ان رجلا اعرابيا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انى أصبت ظبيا وأنا محرم فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف فقال قل فقال عبد الرحمن يهدى شاة فقال عمر أهد شاة فقال الاعرابي والله ما درى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره فخفقه عمر رضوان الله عليه بالدرة وقال أتقتل في الحرم وتغمص الفتيا ان الله عز وجل قال يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف وفي هذا الحديث ضروب من الفقه منها ما ذكروا ان عبد الرحمن بن عوف قال أولا ليكون قول الامام حكما قاطعا ومنها انه رأى ان الشاة مثل الظبية كما قال الله عز وجل فجزاء مثل ما قتل من النعم وانه لم يسأله أخطأ قتله أم عمدا وجعل الامرين واحدا ومنها انه لم يسأله أقتلت صيدا قبله وأنت محرم لان قوما يقولون اذا أصاب ثانية لم يحكم عليه ولكنا نقول اذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى ومن عاد فينتقم الله منه قال أبو العباس ومن طريف أخبار الخوارج قول قطرى ابن الفجاءة المازنى لابي خالد القنانى وكان ممن قعد من الخوارج

أبا خالد يا انفر فلست بخالد * وما جعل الرحمن عذرا لقاعد

أتزعم ان الخارجى على الهدى * وأنت مقيم بين لص وجاحد

فكتب اليه أبو خالد

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتى انهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدى * وأن يشربن رنقا بعد صاف
وان يعرين ان كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سومت مهرى * وفى الرحمن للضعفاء كاف
(أبانا من لنا ان غبت عنا * وصار الحى بعدك فى اختلاف)

وهذا خلاف ما قال عمران بن حطان أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل وقد كان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم قال لما قتل أبو بلال وهو مرداس ابن أدية وهى جدته وأبوه حدير وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال عمران بن حطان

لقد زاد الحياة الى بغضا * وحبا للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراشى * وأرجو الموت تحت ذرا العوالى
ولو أنى علمت بأن حتفى * كحتف أبى بلال لم أبال
فمن يك همه الدنيا فانى * لها والله رب البيت قال

وفيه يقول أيضا

ياعين بكى لمرداس ومصرعه * يارب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتنى هائما أبكى لمرزئتى * فى منزل موحش من بعد ايناس
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
اما شربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا * منها بانفاس ورد بعد انفاس

قال أبو العباس وكان من حديث عمران بن حطان فيما حدثنى العباس بن الفرج الرياشى

عن محمد بن سلّام انه لما أطرده الحجاج كان ينتقل فى القبائل فكان اذا نزل فى حىّ انتسب نسبا يقرب منه ففى ذلك يقول

نزلنا فى بنى سعد بن زيد * وفى علّ وعامر عوبثان
وفى لخم وفى أُدد بن عمرو * وفى بكر وحىّ بنى العدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامى وكان روح يقرى الاضياف وكان مسامر العبد الملك بن مروان أسيرا عنده فانتمى له من الازد وفى غير هذا الحديث ان عبد الملك ذكروها فقال من أعطى مثل ما أعطى أبو زرعة أعطى فقه أهل الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشام رجع الحديث وكان روح بن زنباع لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريبا عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطّان الاعرفه وزاد فيه فذكر ذلك لعبد الملك فقال ان لى جارا من الازد ما أسمع من أمير المؤمنين خبرا ولا شعرا الا عرفه وزاد فيه فقال خبّرنى ببعض أخباره فخبره وأنشده فقال ان اللغة عدنانية وانى لأحسبه عمران بن حطان حتى تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله

يا ضربة من تقىّ ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لأذكره حينا فأحسبه * أوفى البريّة عند الله ميزانا

(قلبه الفقيه الطبرىّ فقال

يا ضربة من شقىّ ما أراد بها * الا ليهدم من ذى العرش بنيانا
انى لأذكره يوما فألعنه * ايها وألعن عمران بن حطانا

قال محمد بن أحمد الطيب يردّ على عمران بن حطان

يا ضربة من غدور صار ضاربها * أشقى البريّة عند الله انسانا
اذا تفكرت فيه ظلت ألعنه * وألعن الكلب عمران بن حطانا)

فلم يدر عبدالملك لمن هو فرجع روح الى عمران بن حطان فسأله عنه فقال عمران هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبدالرحمن بن ملجم قاتل على بن أبي طالب فرجع روح الى عبدالملك فأخبره فقال له عبدالملك ضيفك عمران بن حطان اذهب فجئني به فرجع اليه فقال ان أمير المؤمنين قد أحب أن يراك قال عمران قد أردت أن أسألك ذلك فاستحييت منك فامض فانى بالأثر فرجع روح الى عبدالملك فأخبره فقال عبدالملك أما انك سترجع فلا تجده فرجع وقد ارتحل عمران وخلف رقعة فيها

يا روح كم من أخي مثوى نزلت به * قد ظن ظنك من لخم وغسان
حتى اذا خفته فارقت منزله * من بعد ما قيل عمران بن حطان
قد كنت جارك حولا ما تروعني * فيه روائع من انس ومن جان
حتى أردت بي العظمى فأدركني * ما أدرك الناس من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ابن زنباع فان له * فى النائبات خطوبا ذات ألوان
يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدناني
لو كنت مستغفرا يوما لطاغية * كنت المقدم فى سري واعلاني
لكن أبت لى آيات مطهرة * عند الولاية فى طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحرث الكلابي أحد بني عمرو بن كلاب فانتسب له أوزاعيا وكان عمران يطيل الصلاة وكان غلمان من بني عامر يضحكون منه فأتاه رجل يوما ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه زفر فقال من هذا فقال رجل من الازد رأيته ضيفا لروح بن زنباع فقال له زفر يا هذا أزديا مرة وأوزاعيا مرة ان كنت خائفا آمناك وان كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى هرب وخلف فى منزله رقعة فيها

ان التى أصبحت يعيى بها زفر * أعيت عياء على روح بن زنباع

قال أبو العباس أنشدنيه الرياشي * أعباعبا ها على روح بن زنباع * وأنكره كما أنكرناه لانه قصر الممدود وذلك في الشعر جائز ولا يجوز مد المقصور

مازال يسألني حولا لاخبره * والناس من بين مخدوع وخداع
حتى اذا انقطعت عني وسائله * كف السؤال ولم يولع باهلاع
فاكفف كما كف عني انني رجل * اما صميم واما فقعة القاع
واكفف لسانك عن لومي ومسئلتي * ماذا تريد الى شيخ لاوزاع
أما الصلاة فاني غير تاركها * كل امرئ للذي يعنى به ساع
أكرم بروح بن زنباع واسرته * قوم دعا أوليهم للعلى داع
جاورتهم سنة فيما أسر به * عرضي صحيح ونومي غير تهجاع
فاعمل فانك منعي بواحدة * حسب اللبيب بهذا الشيب من ناع

ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم يعظمون أمر أبي بلال و يظهرونه فأظهر أمره فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى أهل عمان فارتحل عمران هاربا حتى أتى قوما من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات وفي نزوله بهم يقول

نزلنا بحمد الله في خير منزل * نسر بما فيه من الانس والخفر
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم * وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
من الازد ان الازد أكرم معشر * يمانية طابوا اذا نسب البشر
فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر * أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر
أم الحي قحطان فتلكم سفاهة * كما قال لي روح وصاحبه زفر
وما منهما الا يسر بنسبة * تقربني منه وان كان ذا نفر
فنحن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

قوله يا روح كم من أخي مثوى نزلت به قدمي تفسيره يقال هذا أبو مثواي وللانثى هذه أم مثواي ومنزل الضيافة وما أشبهها المثوى وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل أكرمي مثواه أي اضافته ويقال من هذا أوى يثوي ثويا كقولك مضى يمضي مضيا ويقال ثواء ومضاء كما قال

طال الثواء على رسم بيمؤود * أودى وكل جديد مرة مودي

وقوله فيه روائع من انس ومن جان الواحدة رائعة يقال راعني يروعني روعا أي أفزعني قال الله تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الروع ويكون الرائع الجميل يقال جمال رائع يكون ذلك في الرجل والفرس وغيرهما وأحسب الاصل فيهما واحدا أنه يفرط حتى يروع كما قال الله جل ثناؤه يكاد سنى برقه يذهب بالابصار للافراط في ضيائه والرائع مهموز وكذلك كل فعل من الثلاثة مما عينه واو أو ياء اذا كانت معتلة ساكنة تقول قال يقول وباع يبيع وخاف يخاف وهاب يهاب يعتل اسم الفاعل فيهمز موضع العين نحو قائل وبائع وخائف وهائب فان صحت العين في الفعل صحت في اسم الفاعل نحو عور الرجل فهو عاور وصيد فهو صايد والصيد داء يأخذ في الرأس والعينين والشؤن وانما صحت في عور وحول وصيد لانه منقول من احول واعور وقد أحكمنا تفسير هذا في الكتاب المقتضب وقوله

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدناني

يريد أنا يوما يمان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزا على معنى أنتقل يوما كذا ويوما كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر ينشد نصبا

أفي السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفي الحرب أمثال النساء العوارك

العوارك هن الحوائض وكذلك قوله

أفي الولائم أولادا لواحدة * وفي المحافل أولادا لعلات

قال الصلاتُ سميت لان الواحدة تُعلّ بعد صاحبتها وهو من العَلَل وهو الشرب الثانى أى يختلفون و يتحولون فى هذه الحالات ومن كلام العرب أتميما مرة وقيسيا أخرى وكذلك ان لم تستفهم وأخبرت قلت تميما مرة علم الله وقيسيا أخرى أى تتنقل ومن ثمَّ قال له زفر بن الحرث أزديا مرة وأوزاعيا أخرى والرفع على أنت جيدٌ بالغ وقوله

* لو كنتُ مستغفرا يوما لطاغية * يكون على وجهين لنفس طاغية والآخر للمذكر وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة كما يقال رجل راويةٌ وعلّامةٌ ونسّابةٌ وكلاهما وجه و يقال جاءت طاغية الروم يراد الجماعةُ الطاغيةُ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئةُ الباغيةُ وقوله عند الولاية اذا فتحت فهو مصدر الوَلِيّ وفى القرآن العظيم مالكم من وَلَايتهم من شئ والولايةُ مكسورة نحو السياسة والرياضة والايالة وهى الولايةُ واصله من الاصلاح يقال آله يؤوله أَولا اذا أصلحه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد أُلْنا وإيل علينا أو يل ذلك قد ولينا ووُلِيَ علينا وهذه كلمة جامعة يقول قد ولينا فعلمنا ما يُصلحُ الوالى ووُلِىَ علينا فعلمنا ما يصلح الرَّعيَّةَ وقوله * حتى اذا ما انقضت منى وسائله * الوسائل واحدها وسيلة وهى الذريعة والسبب يقال قد توسّلت الى فلان قال رؤبةُ بن العجّاج

والناس ان فصّلتهم فصائلا * كلٌّ الينا يبتغى الوسائلا

وقوله ولم يولع باهلاعى أى بافزاعى وترويعى والهَلَعُ من الجُبن عند ملاقاة الاقران يقال نعوذ بالله من الهَلَع و يقال رجل هَلوعٌ اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فى كل واحد منهما غير الحق قال الله عز وجل ان الانسان خُلِق هلوعًا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقال الشاعر

ولى قلبُ سقيم ليس يصحو * ونفسٌ ما تُفيقُ من الهُلاع

وقوله * اما صميم واما فقعة القاع * الصميمُ الخالص من كل شئ يقال فلان من صميم

قومه أي من خالصهم وقال جرير لهشام بن عبد الملك

وتنزل من أمية حيث تلقى * شؤون الرأس مجتمع الصميم

وقوله وأما قفعة القاع يقال لمن لا أصل له هو قفعة بقاع وذلك لان القفعة لا عروق لها ولا أغصان والقفعة الكمأة البيضاء ويقال حمام قفيع لبياضه ومن ذا قول الشاعر

قوم اذا نسبوا يكون أبوهم * عند المناسب قفعة في قرقر

وقال بعض القرشيين

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تجعل خليلك من تميم

بلوت صميمهم والعبد منهم * فما أدنى العبيد من الصميم

وقوله نسر عاقبه من الانس والخفر وأصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خفرة اذا كانت مستترة لاستحيائها قال ابن نمير الثقفي

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت * به زينب في نسوة خفرات

وقوله ان الازد أكرم أسرة يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أي أسرة أنت وأصل هذا من الاجتماع يقال للقتب مأسور وقد مضى تفسيره وينشد * عمانية قربوا اذا نسب البشر * يريد قربوا وهذا جائز في كل شيء مضموم أو مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب تقول في الاسماء في فخذ فخذ وفي عضد عضد وتقول في الافعال كرم عبد الله أي كرم وقد علم الله أي علم الله قال الاخطل

فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الابل دبرت صفحتاه وكاهله

وقال آخر

عجبت لمولود وليس له أب * وذي ولد لم يلده أبوان

ولا يجوز في ضرب ولا في جمل ان يسكن لخفة الفتحة وقوله أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر

يقول أمن ربيعة أم من مضر ويجوز في الشعر حذف ألف الاستفهام لان أم التي جاءت بعدها تدل عليها قال ابن أبي ربيعة

لعمرك ما أدري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

يريد أبسبع وقال التميمي

لعمرك ما أدري وان كنت داريا * شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

الرواية على وجهين أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحي قحطان يريد أذا أم ذا والاصلح في الرواية من ربيعة أو مضر أم الحي قحطان لان ربيعة أخو مضر فأراد من أحد هذين أم الحي قحطان لانه اذا قال أزيد عندك أم عمرو فالجواب نعم أو لا لان أحد هذين عندك ومعنى الاول أيهما عندك وروى وحدثنيه المازني أن صفية بنت عبد المطلب أتاها رجل فقال لها أين الزبير قالت وما تريد اليه قال أريد أن أباطشه فقالت هاهو ذاك فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فمر بها مغلولا فقالت صفية

كيف رأيت زبرا * أأقطا أو تمرا * أم قرشيا صقرا

لم تشكك بين الاقط والتمر فتقول أيهما هو ولكنها أرادت أرأيته طعاما أم قرشيا صقرا أي أأحد هذين رأيته أم صقرا ولو قالت أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه وقوله وما منهما الا يسر بنسبة معناه وما منهما واحد فحذف لعلم المخاطب قال الله جل اسمه وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أي وان أحد ومعنى ان معنى ما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

يريد فمنهما تارة وقوله

فنحن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

يقول انقطعت الولاية الاولى ولاية الاسلام لان ولاية الاسلام قد قاربت بين الغرباء وقال الله

عز وجل انما المؤمنون اخوة وقال عز وجل فباعد به بين القرابة انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وقال نهار بن توسعة اليشكري

دعى القوم ينصر مدعيه * ليلحقه بذى الحسب الصميم
أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

ويقال فيما روى من الاخبار أن أول من حكم عروة ابن أدية وأدية جدة له جاهلية وهو عروة ابن حدير أحد بنى ربيعة بن حنظلة وقال قوم بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بنى محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولم يختلفوا فى اجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبى وأنه امتنع عليهم وأومأ الى غيره فلم يقنعوا الا به فكان امام القوم وكان يوصف بالرأى فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروة ابن أدية وذلك انه أقبل على الاشعث فقال ما هذه الدنية يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط أوثق من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والاشعث مول فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية وكانوا جل أصحاب على صلوات الله عليه فلما رأى ذلك الاحنف قصد هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدكى بن أعبد وشبث بن ربعى الرياحى الى الاشعث فسألوه الصفح ففعل وكان عروة ابن أدية نجا من حرب النهروان فلم يزل باقيا مدة من خلافة معاوية ثم أتى به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبى بكر وعمر فقال خيرا ثم سأله فقال ما تقول فى أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبى تراب على بن أبى طالب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل فى أمر على مثل ذلك الى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك ثم أمر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال صف لى أموره فقال أأطنب أم أختصر فقال بل اختصر فقال ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط وكان سبب تسميتهم الحرورية أن

عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله اياهم فكان مما قال لهم ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم ان هذه مكيدة ووهن وانهم لو قصدوا الى حكم المصاحف لم يأتوني ثم سألوني التحكيم أفعلمتم انه كان منكم أحد أكره لذلك مني قالوا اللهم نعم قال فهل علمتم انكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل فإن خالفاه فانا وأنتم من ذلك برآء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني قالوا اللهم نعم وفيهم في ذلك الوقت ابن الكواء وهذا من قبل أن تذبحوا عبد الله بن خباب فانما ذبحوه بكسكر في الفرقة الثالثة فقالوا حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرون بانا قد كفرنا ونحن تائبون فاقرر بمثل ما اقررنا وتب ننهض معك الى الشام فقال أما تعلمون ان الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأة فقال تبارك وتعالى فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وفي صيد أصيب في الحرم كأرنب يساوي ربع دينار فقال عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا ان عمر لما أبى عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبد الله علي أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت علي بن أبي طالب فقال لهم رضي الله عنه لي برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حيث أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكني أقدمك لفضلك ثم قال اكتب محمد بن عبد الله فقال لي يا علي امح رسول الله فقلت يا رسول الله لا تسخو نفسي بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام قفني عليه فمحاه بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم الي فقال يا علي أما انك ستسام مثلها فتعطي فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم علي صلوات الله عليه ما نسميكم ثم قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء والنسب الى مثل حروراء حروراوي فاعلم وكذلك كل ما كان في آخره ألف التأنيث الممدودة ولكنه نسب الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحروري

وقال الصلتان العبدي في كلمة له

أرى أمة شهرت سيفها * وقد زيد في سوطها الاصبحي
بنجدية وحرورية * وأزرق يدعو الى أزرقي
فلتنا أننا المسلمون * على دين صديقنا والنبي

وفي هذا الشعر مما يستحسن قوله

أشاب الصغير وأفنى الكبير * مرور الليالي وكر العشي
اذا ليلة هرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتي
نروح ونغدوا لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقي

قوله وقد زيد في سوطها الاصبحي فانه تسمى هذه السياط التي يعاقب بها السلطان الاصبحية وتنسب الى ذي أصبح الحميري وكان ملكا من ملوك حمير وهو أول من اتخذها وهو جد مالك ابن أنس الفقيه رضي الله عنه والنجدية تنسب الى نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفي وكان رأسا ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج وقد بقي من أهلها قوم كثير وكان نجدة يصلي بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير في جمعه في كل جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم قال الراعي يخاطب عبد الملك

اني حلفت على يمين برة * لا أكذب اليوم الخليفة قيلا
ما ان أتيت أبا خبيب وافدا * يوما أريد لبيعتي تبديلا
ولا أتيت نجيدة بن عويمر * أبغي الهدى فيزيدني تضليلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتي * اني أعد له على فضولا

وفي هذه القصيدة

أخذوا العريف فقطعوا حيزومه * بالاصيحية قائما مغلولا

قوله وأزرق يدعو الى أزرقي يريد من كان من أصحاب نافع بن الازرق الحنفي وكان نافع شجاعا مقدما في فقه الخوارج وله ولعبيد الله بن عباس مسائل كثيرة وسنذكر جملة منها في هذا الكتاب ان شاء الله وقوله على دين صديقنا والنبي فالعرب تفعل هذا وهو في الواو جائز أن تبدأ بالشيء وغيره المقدم قال الله عز اسمه هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال واسجدي واركعي مع الراكعين وقال حسان بن ثابت

بهاليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

يعني بني هاشم ومن كلام العرب ربيعة ومضر وقيس وخندف وسليم وعامر وأصحاب نافع ابن الازرق هم ذوو الحد والجد وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها وكان الباقون على الترحل فقلد المهلب حربهم فهزمهم الى الفرات ثم هزمهم الى الاهواز ثم أخرجهم عنها الى فارس ثم أخرجهم الى كرمان وفي ذلك يقول شاعر منهم في هذه الحرب التي صاحبها صاحب الزنج بالبصرة يرثي البلد ويذكر المنقبة التي كانت لهم (قال الاخفش أنشدنيه يزيد المهلبي لنفسه)

سقى الله مصرا خف أهلوه من مصر * وماذا الذي يبقى على عقب الدهر

ولو كنت فيه اذ أبيح حريمه * لمت كريما أو صدرت على عذر

أبيح فلم أملك له غير عبرة * تهيب بها أن حاردت لوعة الصدر

ونحن رددنا أهلها اذ ترحلوا * وقد نظمت خيل الازارق بالجسر

ومن تخشى أطراف المنايا فاننا * لبسنا لهن السابغات من الصبر

فان كريه الموت عذب مذاقه * اذا ما مزجناه بطيب من الذكر

وما رزق الانسان مثل منية * أراحت من الدنيا ولم تخز في القبر

وفى هذا الشعر

لِيَشْكُرْ بنو العباس نُعمى تجدَّدت * فقد وعدَ اللهُ المزيدَ على الشكر

لقد جنَّبتكم أُسرةٌ حسدتكُم * فسلَّت على الاسلام سيفاً من الكفر

وقد نغَّصتهم جولةٌ بعد جولة * يبيتون فيها المسلمين على ذُعر

وقال عبد الله بن قيس الرُّقيَّات

ألا طرقتْ من أهل بيبة طارقَه * على أنها معشوقةُ الدَّلِّ عاشقَه

تبيتُ وأرضُ السُّوس بيني وبينها * وسُولافُ رستاقٌ حمَته الأزارقه

اذا نحن شئنا صادفتنا عصابةٌ * حرورية أضحت من الدين مارقه

وكان مقدارُ مَن أصابَ عليٌّ صلوات الله عليه منهم بالنَّهروان ألفين وثمانيَ مائة فى أصح الاقاويل وكان عددُهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زُهاءُ ألفين ممن يُسرُّ أمرَه ولم يشهد الحرب فخرج منهم رجل بعد أن قال عليٌّ رضوان الله عليه ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خبَّاب فقالوا كُلُّنا قتله وشرِكَ فى دمه ثم حمل منهم رجل على صف عليٍّ وقد قال عليٌّ لا تبدؤهم بقتال فقتل من أصحاب عليٍّ ثلاثة وهو يقول

أَقتلُهم ولا أَرى عليا * ولو بدا أَوجرتُه الخطِيّا

فخرج اليه عليٌّ صلوات الله عليه فقتله فلما خالطه السيف قال حبَّذا الرَّوحةُ الى الجنة فقال عبد الله بن وهب ما أدرى أالى الجنة أم الى النار فقال رجل من سعد انما حضرتُ اغترارا بهذا وأراه قد شكَّ فانخزل بجماعة من أصحابه ومال ألفٌ الى ناحية أبي أيوب الانصارى وكان رحمه الله على ميمنة عليٍّ وجعل الناس يتسللون وقد قال عليٌّ وقيل له انهم يريدون الجسر فقال لن يبلغوا النُّطفة وجعل الناس يقولون له فى ذلك حتى كادوا يشكون ثم قالوا قد رجعوا يا أمير المؤمنين فقال والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ ثم خرج اليهم فى أصحابه وقد قال له

لهم انه والله ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة فقتل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية ﴿قال أبو العباس وقيل أول من حكم ولفظ بالحكومة ولم يشدّ بها رجل من بنى سعد ابن زيد مناة بن تميم بن مرّ من بنى صريم يقال له الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على أليته فانه لما سمع بذكر الحكمين قال أيحكم فى دين الله لا حكم الا لله فسمعه سامع فقال طعن والله فأنفذ وأول من حكم بين الصفين رجل من بنى يشكر بن بكر بن وائل فانه كان فى أصحاب على فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ثم مرق بين الصفين فحكم وحمل على أصحاب معاوية فكثروه فرجع الى ناحية على صلوات الله عليه فحمل على رجل منهم فخرج اليه رجل من همدان فقتله فقال شاعر همدان

ما كان أغنى اليشكرىّ عن التى * تصلّى بها جمرا من النار حاميا

غداة ينادى والرماح تنوشه * خلعت عليّا باديا ومعاويا

وجاء فى الحديث أن عليا رضى الله عنه تلى بحضرته قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقال علىّ أهل حروراء منهم وروى عن علىّ صلوات الله عليه أنه خرج فى غداة يوقظ الناس للصلاة فى المسجد فمرّ بجماعة تتحدث فسلّم وسلّموا عليه فقال وقبض على لحيته ظننت أن فيكم أشقاها الذى يخضب هذه من هذه وأومأ بيده الى هامته ولحيته ومن شعر على بن أبى طالب الذى لا اختلاف فيه أنه قاله وانه كان يردده أنهم لما ساموه أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه الى الشام فقال

أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه فى الدين أرجع كافرا

ياشاهد الله علىّ فاشهد * انى على دين النبى أحمد

* من شكّ فى الله فانى مهتدى *

ويروى * انى توليت ولىّ أحمد * ويروى أن رجلا اسود شديد بياض الثياب وقف على

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر ولم تكن الا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الاسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عدلت منذ اليوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤى الغضب في وجهه فقال عمر بن الخطاب ألا أقتله يا رسول الله فقال رسول الله انه سيكون لهذا ولاصحابه نبأ وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ويحك فمن يعدل اذا لم أعدل ثم قال لابي بكر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيته راكعا ثم قال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيته ساجدا ثم قال لعلي اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله لم أره فقال رسول الله لو قتل هذا ما اختلف اثنان في دين الله قال أبو العباس وحدثني ابراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة في اسناد ذكره أن عليا رضي الله عنه وجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة من اليمن فقسمها أرباعا فأعطى ربعا للاقرع بن حابس المجاشعي وربعا لزيد الخيل الطائي وربعا لعيينة بن حصن الفزاري وربعا لعلقمة بن علاثة الكلابي فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة فقال لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توردت خداه ثم قال أيأمنني الله عز وجل على أهل الارض ولا تأمنوني فقام اليه عمر فقال ألا أقتله يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا ترى شيأ وتنظر في الرصاف فلا ترى شيأ وتتمارى في الفوق قوله صلى الله عليه وسلم من ضئضئ هذا أي من جنس هذا يقال فلان من ضئضئ صدق ومن محتد صدق وفي مركب صدق وقال جرير الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو ابن عم الحجاج وكان عامله على البصرة

أقبلن من نهلان أو وادي خيم * على قلاص مثل خيطان السلم

اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم * في ضنضئ المجد وبحبوح الكرم

ويقال مرق السهم من الرمية اذا نفذ منها واكثر ما يكون ذلك أن لا يعلق به من دمها شئ وأقطع ما يكون السيف اذا سبق الدم قال امرؤ القيس بن عابس الكندي

وقد أختلس الضربة لا يدمي لها نصلي

فاما ما وضعه الاصمعي في كتاب الاختيار فعلى غلط وضع وذكر الاصمعي أن الشعر لاسحق ابن سويد الفقيه وهو لاعرابي لا يعرف المقالات التي يميل اليها أهل الاهواء أنشد الاصمعي

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي * وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا * به أرجو غدا حسن الثواب

فان قوله من الغزال منهم يعني واصل بن عطاء وكان يكنى أبا حذيفة وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن وكان طويل العنق ويروى عن عمرو بن عبيد أنه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لا يفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق وقال بشار بن برد يهجو واصل ابن عطاء

ماذا منيت بغزال له عنق * كنقنق الدو ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم * تكفرون رجالا أكفروا رجلا

ويروى لا بل كانه لا يشك فيه ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب رأي ابليس لعنه الله في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ويروى له

الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

فهذا امارويه المتكلمون وقتله المهدى على الالحاد وقد روى قوم أن كتبه فتشت فلم يصب فيها شئ مما كان يرمى به وأصيب له كتاب فيه انى أردت هجاء آل سليمان بن على فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكت منهم (الا انى قلت

دينار آل سليمان ودرهمهم * كالبابليين حفا بالعفاريت

لا يرجيان ولا يرجى نوالهما * كما سمعت بهاروت وماروت)

وحدثنى المازنى قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى أنه ثنوى قال فقال بشار ليسوا يدرون أن اللحم يدفع عنى شر هذه الظلمة وكان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة فى الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن بذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه ففى ذلك يقول شاعر من المعتزلة يمدحه باطالته الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام حتى كانها ليست فيه

عليم بابدال الحروف وقامع * لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال آخر

ويجعل البر قمحا فى تصرفه * وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه قوله وذكر بشارا أما لهذا الاعمى المكتنى بابى معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسيا أو عقيليا فقال هذا الاعمى ولم يقل بشارا ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت اليه ولم يقل لارسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا مرقده وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بنى عقيل لان

بشارا كان يتوالى اليهم وذكر بنى سدوس لانه كان نازلا فيهم واجتناب الحروف شديد قال ولما سقطت ثنايا عبد الملك قال والله لولا الخطبة والنساء ما حفلت بها قال وخطب الجمحى وكان منزوع احدى الثنيتين وكان يصفر اذا تكلم فأجاد الخطبة وكانت لنكاح فرد عليه زيد بن على بن الحسين كلاما جيدا الا انه فضله بتمكن الحروف وحسن مخارج الكلام فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك

صحت مخارجها وتم حروفها * فله بذاك مزية لا تنكر

المزية الفضيلة واما قوله وابن باب فانه عمرو بن عبيد بن باب وكان مولى بنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فهذان معتزليان وليسا من الخوارج ولكن قصد اسحق بن سويد الى أهل البدع والأهواء الا تراه ذكر الرافضة معهما فقال

ومن قوم اذا ذكروا عليا * أشاروا بالسلام على السحاب

ويروى * يردون السلام على السحاب * ثم رجع الى ذكر الخوارج قال فلما قتل على أهل النهروان وكان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب وقوم ممن استأمن الى أبى أيوب الانصارى فتجمعوا وأمروا عليهم رجلا من طيئ فوجه اليهم على صلوات الله عليه رجلا وهم بالنخيلة فدعاهم ورفق بهم فأبوا فعاودهم فأبوا فقتلوا جميعا فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجه معاوية من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بان يصلى بالناس رجل من بنى شيبة لئلا يفوت الناس الحج فلما انقضى نظرت الخوارج فى أمرها فقالوا ان عليا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الامة فلو قتلناهما لعاد الامر الى حقه وقال رجل من أشجع والله ما عمرو دونهما وانه لاصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن بن ملجم انا أقتل عليا فقالوا وكيف لك به قال أغتاله فقال الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك وأنا

أقتل معاوية وقال زاذويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم وأنا أقتل عمراً فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان فخرج كل واحد منهم الى ناحية فأتى ابن ملجم الكوفة فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأي الخوارج والاحاديث تختلف وانما نؤثر صحيحها ويروى في بعض الاحاديث أنها قالت لا أقنع منك الا بصداق أسميه لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل علياً فقال لها لك ما سألت فكيف لي به فقالت تروم ذلك غيلة فان سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع أهلك وان أصبت سرت الى الجنة ونعيم لا يزول فانعم لها وفي ذلك يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا * ولا قتل الا دون قتل ابن ملجم

وقد ذكروا أن القاصد الى معاوية يزيد بن ملجم والقاصد الى عمرو آخر من بني ملجم وأن أباهم نهاهم فلما عصوه قال استعدوا للموت وأن أمهم حضتهم على ذلك والخبر الصحيح ما ذكرت لك أول مرة فاقام ابن ملجم فيقال ان امرأته قطام لامته وقالت ألا تمضي لما قصدت لشد ما أحببت أهلك قال اني قد وعدت صاحبي وقتاً بعينه وكان هنالك رجل من أشجع يقال له شبيب فواطأه عبد الرحمن ويروى أن الاشعث نظر الى عبد الرحمن متقلداً سيفاً في بني كندة فقال يا عبد الرحمن أرني سيفك فاراه فرأى سيفاً حديداً فقال ما تقلدك السيف وليس بأوان حرب فقال اني أردت أن أنحر به جزور القرية فركب الاشعث بغلته وأتى علياً صلوات الله عليه فخبره وقال له قد عرفت بسالة ابن ملجم وفتكه فقال علي ما قتلني بعد ويروى أن علياً رضوان الله عليه كان يخطب مرة ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لاريحنهم منك فلما انصرف علي صلوات الله عليه الى بيته أتي به

ملبّيا فاشرف عليهم فقال ما تريدون تخبروه عا سمعوا فقال ما قتلني بعد فخلوا عنه ويروى أن عليا كان يتمثل اذا رآه ببيت عمرو بن معدى كرب فى قيس بن مكشوح المرادى والمكشوح هبيرة واغا سمى بذلك لانه ضرب على كشحه

أريد حباءه ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

فينتهى من ذلك حتى أكثر عليه فقال له المرادى ان قضى شئ كان فقيل لعلى كانك قد عرفته وعرفت ما يريد بك أفلا تقتله فقال كيف أقتل قاتلى فلما كان ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن ملجم وشبيب الأشجعى فاعتورا الباب الذى يدخل منه على رضى الله عنه وكان مغلسا ويوقظ الناس للصلاة فخرج كما كان يفعل فضربه شبيب فأخطأه وأصاب سيفه الباب وضربه ابن ملجم على صلعته فقال على فزت ورب الكعبة شأنكم بالرجل فيروى عن بعض من كان بالمسجد من الانصار قال سمعت كلمة على ورأيت بريق السيف فأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقاه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الارض وكان المغيرة أيدا فقعد على صدره وأما شبيب فانتزع السيف منه رجل من حضرموت وصرعه وقعد على صدره وكثر الناس فجعلوا يصيحون عليكم صاحب السيف فخاف الحضرمى أن يكبوا عليه ولا يسمعوا عذره فرمى بالسيف وانسل شبيب بين الناس فدخل على على رضوان الله عليه فأمر فيه فاختلف الناس فى جوابه فقال على ان أعش فالامر الى وان أصب فالامر لكم فان آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة وأن تعفوا أقرب للتقوى وقال قوم بل قال وان أصبت فاضربوه ضربة فى مقتله فأقام على يومين فسمع ابن ملجم الرنة من الدار فقال له من حضره أى عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين فقال أعلى من تبكى أم كلثوم أعلى أما والله لقد اشتريت سيفى بألف درهم ومازلت أعرضه فما يعيبه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد أسقيته السم حتى لفظه ولقد

ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ومات علىّ صلوات الله ورضوانه عليه ورحمته فى آخر اليوم الثالث فدعا به الحسن رضى الله عنه فقال ان لك عندى سرا فقال الحسن رضوان الله عليه أتدرون ما يريد أن يقرب من وجهى فيعض أذنى فيقطعها فقال أما والله لو أمكننى منها لاقتلعتها من أصلها فقال الحسن كلا والله لأضربنك ضربة تؤديك الى النار فقال لو علمت أن هذا فى يديك ما اتخذت الها غيرك فقال عبد الله بن جعفر يا أبا محمد ادفعه الى أشف نفسى منه فاختلفوا فى قتله فقال قوم أحمى له ميلين وكحله بهما فجعل يقول انك يا ابن أخى لتكحل بملمول مضاضين وقال قوم بل قطع يديه ورجليه وقال قوم بل قطع رجليه وهو فى ذلك يذكر الله عز وجل ثم عمد الى لسانه فشق ذلك عليه فقيل له لم تجزع من قطع يديك ورجليك وزالت قد جزعت من قطع لسانك فقال نعم أحببت أن لا يزال فى بذكر الله رطبا ثم قتله ويروى أن عليا رضى الله عنه أتى بابن ملجم وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما فلا تأمن قتله لك فقال ما أصنع به ثم قال علىّ رضوان الله عليه

اشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

والشعر انما يصح بأن تحذف اشدد فتقول

حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ويحذفون من الوزن علما بأن المخاطب يعلم ما يريدونه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر اشدد فأظهره ولم يعتد به قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فافرس حمر

وانما الشعر * لعمرى لسعد بن الضباب اذا غدا * وأما الحجاج بن عبد الله الصريعى

وهو البرك فانه ضرب معاوية مصليا فأصاب ما كمته وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرقا فقال عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد فلما أخذ قال الأمان والبشارة قتل علي في هذه الصبيحة فاستوثق به حتى جاء الخبر فقطع معاوية يده ورجله فأقام بالبصرة فبلغ زيادا أنه قد ولد له فقال أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله هذا أحد الخبرين ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك ما تأويل المقصورة فقال يخافون أن يبهظهم الناس وأما أذويه فانه أرصد لعمرو واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة وهو رجل من بني سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاصي فضربه أذويه فقتله فلما أدخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالامرة قال أوما قتلت عمرا قيل لا انما قتلت خارجة فقال أردت عمرا والله أراد خارجة وقال أبو زبيد الطائي يرثي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه

إن الكرام على ما كان من خلق * رهط امرئ خاره للدين مختار
طب بصير باضغان الرجال ولم * يعدل بحبر رسول الله أحبار
وفطرة فطرت اذحان موعدها * وكل شئ له وقت ومقدار
حتى تنصلها في مسجد طهر * على امام هدى ان معشر جاروا
حمت ليدخل جنات أبو حسن * وأوجبت بعده للقاتل النار

قوله خاره انما هو اختاره وهو فعله واختاره افتعله كما تقول قدر عليه واقتدر عليه وقوله بصير باضغان الرجال فهي أسرارها ومخبآتها قال الله تعالى فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم والحبر العالم ويروى أن عليا رضوان الله عليه مر بيهودي يسأل مسلما عن شئ من أمر الدين فقال له علي اسألني ودع الرجل فقال له يا أمير المؤمنين أنت حبر أي عالم قال علي أن تسأل عالما أجدى لك وقوله حتى تنصلها يريد استخرجها وقوله حمت معناه قدرت قال الكميت

والوصيُّ الذي أمالَ التجوبيُّ به عرشَ أُمَّةٍ لانهدام
قتلوا يوم ذاك اذ قتلوه * حكماً لا كغابر الحُكَّام
الامامَ الزكيَّ والفارسَ المُعْـ * ـتَلَمَ تحت العجاج غير الكهام
راعياً كان مُسْجِحاً ففقدنا * ه وفقدُ المسيم هُلْكُ السَّوام

قوله الوصي فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابن قيس الرُّقيَّات

نحن منا النبيُّ أحمدُ والصدّيقُ منا التقيُّ والحكماء
وعليٌّ وجعفرٌ ذو الجناحيـ * ـن هناك الوصيُّ والشهداء

وقال كُثَيِّر لما حبس عبدُ الله بن الزبير محمدَ بن الحنفيةِ في خمسة عشر رجلا من أهله في سجن عارم

تُخبِّر مَن لاقيت أنك عائذٌ * بل العائذُ المحبوسُ في سجن عارم
وصيُّ النبيِّ المصطفى وابن عمِّه * وفكّاكُ أعناقٍ وقاضي مغارم

أراد ابن وصيِّ النبيِّ والعربُ تُقيم المضاف اليه في هذا الباب مُقام المضاف كما قال الآخر

صبحن من كاظمة الخُصّ الخرب * يحملن عبّاس بن عبد المُطّلب

يريد ابن عباس رضي الله عنه وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك

ورثتم ثياب المجد فهي لَبُوسكم * عن ابني منافٍ عبد شمس وهاشم

يريد ابني عبد مناف وقال أبو الأسود

أُحبُّ محمداً حبّاً شديداً * وعبّاساً وحمزةَ والوصيّا
أُحبُّهمُ لحبِّ الله حتى * أجيء اذا بُعِثْتُ على هَوِيّا
هوىً أُعطيته منذ استدارت * رحى الاسلام لم يعدل سَوِيّا

(الهوى والسواء الذي قد سوّى الله خلقه لا زمانةَ به ولا داء وفي القرآن بشراً سويّاً وتقول

سا وبت ذاك بهذا الامر أى جعلته مثالاله)

يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر ماتنسى عليا

بنو عم النبي وأقربوه * أحب الناس كلهم اليا

فان يك حبهم رشدا أصبه * وليس بمخطئ ان كان غيا

(ويروى ولست) وكان بنو قشير عثمانية وكان أبو الاسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاه مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم والله لو كان الله يرميني لما أخطأني (قال وكان نقش خاتمه

يا قابلي حسبك من غالب * ارحم علي بن أبي طالب)

وقوله غير الكهام فالكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيف كهام وقوله

راعيا كان مسجحا ففقدنا * ه وفقد المسيم هلك السوام

فالمسيم الذي يسيم ابله أو غنمه ترعى وكذلك كل شيء من الماشية فجعل الراعي للناس كصاحب الماشية الذي يسيمها ويسوسها ويصلحها ومتى لم يرجع أمر الناس الى واحد فلا نظام لهم ولا اجتماع لامورهم قال ابن الرقيات

أيها المشتهي فناء قريش * بيد الله عمرها والفناء

ان تودع من البلاد قريش * لا يكن بعدهم لحي بقاء

لو تقفي ويترك الناس كانوا * غنم الذئب غاب عنها الرعاء

وقال الحميري يعني عليا رضوان الله عليه

كان المسيم ولم يكن الا لمن * لزم الطريقة واستقام مسيما

ولما سمع علي صلوات الله عليه نداءهم لا حكم الا لله قال كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة ورووا أن عليا رضي الله عنه لما أوصى الى الحسن في وقف

أمواله وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة وهذا غلط لأن وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته حدثنا أبو محلّم محمد بن هشام في إسناد ذكره آخره أبو نيزر وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم قال وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليه السلام قال أبو نيزر جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال لي هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعته بإهالة سنخة فقال عليّ به فقام إلى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيأً ثم رجع إلى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما إلى أختها وشرب بهما حساً من ماء الربيع ثم قال يا أبا نيزر إن الأكف أنظف الآنية ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه عرقاً فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعاً فقال أشهد الله أنها صدقة عليّ بدواة وصحيفة قال فعجلت بهما إليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله عليّ أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما قال محمد بن هشام فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع وقال إنما تصدق بها أبي ليقي الله بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة أما بعد فإن أمير المؤمنين

أحب أن يرد الالفة ويسل السخيمة ويصل الرحم فاذا وصل اليك كتابي فاخطب الى عبد الله ابن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق فوجه مروان الى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الالفة من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة فقال عبد الله ان خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر فأنظرني الى أن يقدم وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر فقام من عنده فدخل الى الجارية فقال يا بنية ان ابن عمك القاسم ابن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات فلما حضر القوم للاملاك تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة فتكلم الحسين فزوجها من القاسم فقال له مروان أغدرا يا حسين فقال أنت بدأت خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا لذلك فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الزبير فقال مروان ما كان ذلك فالتفت الحسين الى محمد بن حاطب فقال أنشدك الله أكان ذلك قال اللهم نعم فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك له فقال كلا هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردها الى ما كانت عليه ❊ قال أبو العباس رجع الحديث الى ذكر الخوارج وأمر علي بن أبي طالب قال يروى أن عليا في أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدي وقد كان وجهه اليهم وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس فقال لصعصعة بأي القوم رأيتهم أشد اطافة فقال بيزيد بن قيس الأرحبي فركب علي اليهم الى حروراء فجعل يتخللهم حتى صار الى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل على الناس ثم قال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة أنشدكم الله أعلمتم أحدا منكم كان

أكره للحكومة مني قالوا اللهم لا قال أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها قالوا اللهم نعم قال فعلام خالفتموني ونابذتموني قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله فتب الى الله منه واستغفره نعدلك فقال علي اني أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا انما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع ويجبى المال فينهض الى الشام فأتى الاشعث بن قيس عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا فخطب على الناس فقال من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت فقيل لعلي انهم خارجون عليك فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فوجه اليهم عبد الله بن العباس فلما صار اليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ما جاء بك يا أبا العباس فقال جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار قالوا انا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال ابن عباس نشدتكم الله الا ما صدقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم وفي شقاق رجل وامرأته فقالوا اللهم نعم فقال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية قالوا نعم ولكن عليا محا نفسه من امارة المسلمين قال ابن عباس ليس ذلك يزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة وقد أخذ علي على الحكمين أن لا يجوروا وان يجوروا فعلي أولى من معاوية وغيره قالوا ان معاوية يدعي مثل دعوى علي قال فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا صدقت قال ابن عباس متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما قال فاتبعه منهم

الفان وبقى أربعة آلاف فصلى بهم صلاتهم ابن الكواء وقال متى كانت حرب فرئيسكم شبث
ابن ربعى الرياحى فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى
قال ومضى القوم الى النهروان وكانوا أرادوا المضى الى المداين (قال الاخفش كذا كان
يقول المبرد النهروان بكسر النون والراء وانما هو النهروان بالفتح وأنشد للطرماح
* قتل فى شط نهروان * قاضى) قال أبو العباس فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلما
ونصرانيا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصرانى فقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب
وفى عنقه مصحف ومعه امرأته وهى حامل فقالوا ان هذا الذى فى عنقك ليأمرنا أن نقتلك
قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها فى فيه
فصاحوا به فلفظها تورعا وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله فقالوا هذا فساد فى
الارض فقال عبد الله بن خباب ما على منكم بأس انى لمسلم قالوا له حدثنا عن أبيك قال سمعت
أبى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما
يموت بدنه يمسى مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول فى
أبى بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا فما تقول فى على قبل التحكيم وفى عثمان ست سنين فأثنى خيرا
قالوا فما تقول فى الحكومة والتحكيم قال أقول ان عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقيا على
دينه وأنفذ بصيرة قالوا انك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على أسمائها ثم قربوه الى
شاطئ النهر فذبحوه فامذقر دمه أى جرى مستطيلا على دقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له
فقال هى لكم فقالوا ما كنا لنأخذها الا بثمن قال ما أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب
ولا تقبلون منا جنى نخلة ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خرشة الضبى سمر ليلة عند زياد
ومعه جماعة فتذاكروا أمر الخوارج فأثنى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل الى منزله فلقيه أبو
بلال مرداس ابن أدية فقال له يا غيلان قد بلغنى ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من

ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وباعوا آخرتهم بدنياهم ما يؤمنك أن يلقاك رجل
منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذ حضنيك برمحه فقال غيلان لن يبلغك
أني ذكرتهم بعد الليلة ومرداس تنتحله جماعة من أهل الأهواء لتقشفه وبصيرته وصحة
عبادته وظهور ديانته وبيانه تنتحله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكرا الجور السلطان داعيا الى
الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر
منكم بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الانسان وما
هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابراهيم عليه السلام اذ يقول وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة
وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأنت
تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي ثم خرج في عقب هذا اليوم والشيع تنتحله وتزعم أنه كتب
الى الحسين بن علي صلوات الله عليه اني لست أرى رأي الخوارج وما أنا الا على دين
أبيك وهذا رأي قد استهوى جماعة من الأشراف يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى
رأي الخوارج وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن
صاحب ديوان العراق يراه وكان عدة من الفقهاء ينسبون اليه منهم عكرمة مولى ابن عباس
وكان يقال ذلك في مالك بن أنس ويروي الزبيريون أن مالك بن أنس المدني كان يذكر
عثمان وعليا وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على الثريد الأعفر فأما أبو سعيد الحسن
البصري فانه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم وكان اذا جلس فتمكن في مجلسه ذكر
عثمان فترحم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا ويقول لو لم نلعنهم للعنا ثم يذكر عليا فيقول لم يزل
أمير المؤمنين علي رحمه الله يتعرفه النصر ويساعده الظفر حتى حكم فلم تحكم والحق معك
الا تمضي قدما لا أبا لك وأنت على الحق ۞ قال أبو العباس وهذه كلمة فيها جفاء والعرب
تستعملها عند الحث على أخذ الحق والاغراء وربما استعملها الجفاة من الأعراب عند

المسئلة والطلب فيقول القائل للامير والخليفة انظر فى أمر رعيتك لا أبا لك وسمع سليمان ابن عبد الملك رجلا من الاعراب فى سنة جديبة يقول

رَبَّ العبادِ ما لَنا وما لكا * قد كنتَ تسقينا فما بَدا لكا

* أنزِل علينا الغيثَ لا أبا لكا *

فأخرجه سليمان أحسن مخرج فقال أشهد أنه لا أبا له ولا ولد ولا صاحبة وأشهد أن الخلق جميعا عباده وقال رجل من بنى عامر بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة لبعض قومه

أبنى عُقَيلٍ لا أبا لابيكمُ * أيِّى وأىُّ بنى كلاب أكرمُ

وقال رجل من طيئ أنشده أبو زيد الانصارى

يا قُرطَ قُرطَ حُيَيٍّ لا أبا لكمُ * يا قُرطُ انى عليكم خائفٌ حذرُ

أأن روى من قش واصطاف أعنزه * من التلاع التى قد جادها المطر

قلتم له اهج تميما لا أبا لكمُ * فى كف عبدكمُ عن ذا كمُ قِصَرُ

فان بيت تميم ذو سمعت به * فيه تنمّت وأرست عزَّها مُضَرُ

قوله يا قرط قرط حيى نصبهما معا أكثر على ألسنة العرب وتأويلهما أنهم أرادوا يا قرط حيى ثم أقحموا قرطا الثانى توكيدا وكذلك لجرير

يا تيمَ تيمَ عدىٍّ لا أبا لكمُ * لا يلقينَّكمُ فى سوأةٍ عمرُ

ومثله لعمر بن لجأ

يا زيدَ زيدَ اليعملاتِ الذُبَّلِ * تطاولَ الليلُ عليك فانزِلِ

فان لم ترد التوكيد والتكرير لم يجز الا الرفع الاول يا زيدُ زيدَ اليعملات ويا تيمُ تيمَ عدى كما تقول يا زيدُ أخا عمرو على النعت ومثل الاول فى التوكيد يا بؤسَ للحرب أراد يا بؤسَ الحرب فأقحم اللام توكيدا لانها توجب الاضافة وعلى هذا جاء لا أبا لك ولا أبا لزيد ولولا الاضافة لم تثبت

الالف فى الاب لانك تقول رأيت أباك فاذا أفردت قلت هذا أب صالح وانما كانت لا أباك

كما قال الشاعر

أبالموت الذى لابدّ أنى * ملاقٍ لا أباكِ تخوّفينى

وقال آخر

وقد مات شمّاخ ومات مزرّد * وأىّ كريم لا أباك يخلّد

وقوله آن روى مرقّش من رحل وروى استقى لاهله يقال فلان راوية أهله اذا كان يستقى لاهله والتى على البعير والحمار مزادة فاذا كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهى المثلّثة وأصغرها السطيحة وأصغرهن الطبع وقوله واصطاف أعنزه يريدا قتملت من الصيف أى أصابت البقل فيه والتلعة ما ارتفع من الارض فى مستقر المسيل اذا تجافى السيل عن متنه وجمعه تلاع وقوله ذو سمعت به يريد الذى وكذلك تفعل طىّ تجعل ذو فى معنى الذى وقال زيد الخيل لبنى فزارة وذكر عامر بن الطفيل فقال

* انى أرى فى عامر ذو ترون * وقال عارق الطائى

فان لم تغيّر بعض ما قد فعلتم * لا نتحين للعظم ذو أنا عارقه

يريد الذى ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتمادا الايثار لغة قومه قال الحسن ابن هانئ الحكمى

حبّ المدامة ذو سمعت به * لم يبق فى لغيرها فضلا

وقال حبيب بن أوس الطائى

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة * فأنا المقيم قيامة العذّال

وقال الحسن بن وهب الحارثى

فهلا الذى يذكرها علّلانى * واسقيانى أولا فلن تسقيانى

أنا إذ لم يزل يهوت على النـد * مان أن عزّ جانب النـدمان
و يكون العزيز في ساعة الرّو * ع بصدق الطعان يوم الطعان

ۿ عاد الحديث الى ذكر الخوارج قال أبو العباس وكان في جملة الخوارج لدد واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت فمنهم الذي طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى فيه الى قاتله وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما وصفهم قال سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد وفي حديث عبد الله بن عمرو رجل يقال له عمرو ذو الخويصرة أو المخيصرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى رجل ساجد الى أن صلى النبي عليه السلام فقال ألا رجل يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أأقتل رجلا يقول لا اله الا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجل يفعل ففعل عمر مثل ذلك فلما كان في الثالثة قصد له علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتل لكان أول فتنة وآخرها وروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذكر المخدج عند النبي عليه السلام فقال أبو مريم والله ان كان معنا لفي المسجد وكان فقيرا وكان يحضر طعام علي اذا وضعه للمسلمين ولقد كسوته برنسا لي فلما خرج القوم الى حروراء قلت والله لا نظرن الى عسكرهم فجعلت أتخللهم حتى صرت الى ابن الكواء وشبث بن ربعي ورسول علي تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلي فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سرجه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلت أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد فرأيت المخدج وكان مني قريبا فقلت أكنت مع القوم فقال أخذت سلاحي أريدهم واذا الجماعة من الصبيان قد عرضوا لي فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي فلما كان يوم

النهر قال علىّ أطلبوا المُخْدَج فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك عليا وحتى قال رجل لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم فقال علىّ والله ما كذبتُ ولا كُذِبْتُ فجاء رجل فقال قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخرّ علىّ ساجدا وكان اذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوح سجد وقال لو أعلم شيأ أفضلَ منه لفعلته ثم قال سيماه أن يده كالثّدْى عليها شعرات كشارب السِّنَّوْر ايتونى بيده المُخْدَجه فأتَوْه بها فنصبها ويروى عن أبى الجَلْد أنه نظر الى نافع بن الازرق الحنفى والى نظره وتَوَغُّله وتعمّقه فقال انى لاجد لجهنم سبعةَ أبواب وانّ أشدّها حرًّا للخوارج فاحذَرْ أن تكون منهم قال وكان نافع بن الازرق يَنْتَجِعُ عبد الله بن العباس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع اليه فى تفسيرها فقبله وانتحله ثم غلبتْ عليه الشِّقْوةُ ونحن ذاكرون منها صدرًا ان شاء الله حدّثَ أبو عبيدة معمر بن المُثَنَّى التَّيْمىُّ النَّسّابةَ عن أسامة ابن زيد عن عكرمةَ قال رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه والليل وما وَسَقَ فقال ابن عباس وما جمع فقال أتعرفُ ذلك العربُ قال ابن عباس أما سمعتَ قول الراجز

انّ لنا قلائصًا حقائقا * مُسْتَوْسِقاتٍ لو يَجِدْنَ سائقا

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذى لا يَقْدَحُ فيه قادح ويَعْرِضُ القولُ فيحتاج المبتدئُ الى أن يزداد فى التفسير قوله حقائقا فبنى الحِقّةَ من الابل وهى التى قد استحقت أن يُحْمَلَ عليها على فعيلة مثل حَقيقة ولذلك جمعها على حَقائق ويقال اسْتَوْسَقَ القومُ اذا اجتمعوا وروى أبو عبيدة فى هذا الاسناد وروى ذلك غيره وسمعناه من غير وجه أنه سأله عن قوله عز وجل قد جَعَلَ ربُّكِ تحتكِ سَرِيًّا فقال ابن عباس هو الجَدْوَلُ فسأله عن الشاهد فأنشده

سَهْلًا ترى الدالجَ منها أَزْوَرا * اذا يَعُجُّ فى السَّرِىّ هَرْهَرا

السَّلْمُ الدلو الذى له عروةٌ واحدة وهو دلو السّقّائين وهو الذى ذكره طَرَفةُ فقال

لها فرقتان أقتلان كأنما * أمرا بسلمى دالج متشدد

والدالج الذي يمشي بالدلو بين البئر والحوض وأصحاب الحديث ينشدون ترى الدالي منه أزورا وهذا خطأ لا وجه له وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعا سأل ابن عباس عن قوله عتل بعد ذلك زنيم ما الزنيم قال هو الدعي الملزق أما سمعت قول حسان بن ثابت

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد في عرض الاديم الاكارع

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزنمة التي بحلق الشاة كما يقولون لمن دخل في قوم ليس منهم زعنفة (الام زعنفة بالكسر) والجمع زعانف والزعنفة الجناح من أجنحة السمك (قال أبو الحسن الاخفش كذا قال زعنفة والناس كلهم يقولون زعنفة بكسر الزاى وهو الوجه) ويروى عن غير أبي عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمه والتفت الساق بالساق قال الشدة بالشدة فسأله عن الشاهد فأنشده

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

قال أبو العباس وقرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التي يهجو فيها آل المهلب بن أبي صفرة ويمدح هلال بن أحوز المازني ويذكر الوقعة التي كانت لهم عليهم بالهند في سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه

أقول لها من ليلة ليس طولها * كطول الليالي ليت صبحك نورا

أخاف على نفس ابن أحوز انه * جلا حمما فوق الوجوه فأسفرا

(قال الشيخ أبو يعقوب الذي رويت في شعر جرير

حذارا على نفس ابن أحوز انه * جلا كل وجه من معد فأسفرا

وقوله عدى يعني عدى بن أرطاة الفزاري قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط وكان

عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله)

جعلت لقبر للخيار ومالك * وقبر عدي في المقابر أقبرا

(و يروى للخيار وواسط الخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المجاشعي وواسط بها قبر عدي بن أرطاة الفزاري)

وأطفأت نيران المزون وأهلها * وقد حاولوها فتنة أن تسعرا

(المزون عمان بالفارسية)

فلم تبق منهم راية يعرفونها * ولم تبق من آل المهلب عسكرا

ألا رب سامي الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

فهذا نظير ذلك والمزون عمان قال الكميت

فأما الأزد أزد أبي سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال آخر يعني الحرب

فان شمرت لك عن ساقها * فويها حذيف ولا تسأم

(تقول ويها لزيد اذا زجرته عن الشيء فأغريته به وواهاله اذا تعجبت منه وحذيف يريد حذيفة فرخم) و يروى عن أبي عبيدة من غير وجه أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس فقال أرأيت نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم مع ما خوله الله وأعطاه كيف عني بالهدهد على قلته وضؤولته فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد قناء الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك قال ابن الازرق قف يا وقاف كيف يبصر ما تحت الارض والفخ يغطى له بعقد اراصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس ويحك يا ابن الازرق أما علمت أنه اذا جاء القدر عشي البصر وما سأله عنه الى ذلك الكتاب فقال ابن عباس تاويله هذا القرآن هكذا جاء ولا أحفظ عليه شاهدا عن ابن عباس وأنا أحسبه أنه لم يقبله

الا بشاهد ونقديره عند النحويين اذا قال ذلك الكتاب أنهم قد كانوا وعدوا كتابا هكذا التفسير كما قال جل ثناؤه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به يعني بذلك اليهود وقال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فعناه هذا الكتاب الذي كنتم تتوقعونه وبيت خُفاف ابن نُدْبَةَ على ذلك يصح معناه وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو أخي خنساء مُرَّةَ وفزارة فعمدا بنا حرملة دريد وهاشم المريان عمدا معاوية فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا وكان صميم الخيل فلما تنادوا قتل معاوية قال خفاف ابن ندبة وهي أمه وكانت حبشية وأبوه عمير أحد بني سُلَيم بن منصور قتلني الله ان رمتُ حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فطعنه فقتله فقال خفاف ابن ندبة

ان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا
وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثار هالكا
أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

يريد أنا ذلك الذي سمعت به هذا تأويل هذا وقوله يأطر متنه أي يثني يقال أطرت القوس آطرها أطرا وهي مأطورة وعلوى فرسه ومما سأله عنه قوله عز وجل لهم أجر غير ممنون فقال ابن عباس غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب فقال قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول

وترى خلفهن من سرعة الرجـ ـع منينا كأنه أهباء

قال أبو العباس منين يعني الغبار وذلك أنها تقطعه قطعا وراءها والمنين الضعيف المؤذن بانقطاع أنشدني التوزي عن أبي زيد

يا ريها ان سلمت يميني * وسلم الساقي الذي يليني
* ولم تخنّي عقد المنين *

يريد الحبل الضعيف فهذا هو المعروف ويقال منين وممنون كقتيل ومقتول وجريح ومجروح وذكر التوزى في كتاب الاضداد أن المنين يكون القوى يجعله فعيلا من المنة والمعروف هو الاول وقال غير ابن عباس لهم أجر غير ممنون لايمن عليهم فيكدر عندهم ويروى من غير وجه أن ابن الازرق أتى ابن عباس فجعل يسائله حتى أمله فجعل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيأ من شعرك فأنشده

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر
بحاجة نفس لم تقل في جوابها * فتبلغ عذرا والمقالة تعذر
تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نعم ومثلها * نهى ذا النهى لو يرعوى أو يفكر
اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة * لها كلما لاقيته يتنمر
عزيز عليه أن أمر ببابها * مسر لى الشحناء والبغض مظهر
ألكنى اليها بالسلام فانه * يشهر المامى بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها * بمدفع أكنان أهذا المشهر
قفى فانظرى يا أسم هل تعرفينه * أهذا المغيرى الذى كان يذكر
أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن * وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقالت نعم لاشك غير لونه * سرى الليل يحيى نصه والتهجر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا * عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشى فيخصر

حتى أتمها وهى ثمانون بيتا فقال له ابن الأزرق لله أنت يا ابن عباس أنضرب إليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتعرض ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفها فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الأزرق أما أنشدك :

رأيت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال ما هكذا قال إنما قال فيضحى وأما بالعشى فيخصر قال أو تحفظ الذى قال قال والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ولو شئت أن أردها لرددتها قال فارددها فأنشده إياها وروى الزبير بن أن نافعا قال له ما رأيت أروى منك قط فقال له ابن عباس ما رأيت أروى من عمر ولا أعلم من على وقوله فيضحى يقول يظهر للشمس ويخصر يقول فى البردين فاذا ذكر العشى فقد دل على عقيب العشى قال الله تبارك وتعالى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى والضح الشمس وليس من ضحيت يقال جاء فلان بالضح والريح يراد به الكثرة قال علقمة :

أغر أبرزه للضح راقبه مقلد قضب الريحان مفغوم

له فغمة أى رائحة طيبة يعنى ابريقا فيه شراب وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجه إلى تبوك جاء أبو خيثمة وكانت له امرأتان وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانه ومهدت له فى ظل فقال أظل ممدود وثمرة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ما هذا بخير فركب ناقته ومضى فى أثره وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر تخلفوا أبو خيثمة أحدهم فجعل لا يذكر له أحد منهم إلا قال دعوه فان يرد الله به خيرا يلحقه بكم فقيل ذات يوم يا رسول الله نرى رجلا يرفعه الآل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فكان هو وإذا انبسطت الشمس فهو الضحى مقصور فاذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاء ممدود مفتوح الأول وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج وبحضرته يزيد بن أبى مسلم مولاه وكان يستسر برأى الخوارج

فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد بن أبي مسلم الامير ويلك يكلمك فقالت بل الويل والله لك يا فاسق الردي والردي عند الخوارج هو الذي يعلم الحق من قولهم ويكتمه وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتي برجل منهم فبحثه فرأى منه ماشاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى ماشاء أربا ودهيا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده في الاستدعاء فقال له لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل قال له قل فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم وأني أولى بالجهاد منهم ثم رجعت الى ماثبت الله علي من الحجة وقرر في قلبي من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطني الله في الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تجيب بالقول والله لأقتلنك ان لم تطع فأنا في ذلك اذ دخل علي بابني مروان (قال أبو العباس) كان مروان أخا يزيد لامه أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان أبيا عزيز النفس فدخل به في هذا الوقت على عبد الملك باكيا لضرب المؤدب اياه فشق ذلك على عبد الملك فأقبل عليه الخارجي فقال له دعه يبك فانه أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى أن لا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فأعجب ذلك من قوله عبد الملك فقال له متعجبا أما يشغلك ما أنت فيه ويعرضه عن هذا فقال ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال بعد يعتذر اليه لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتي ما حبستك ثم قال عبد الملك من شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله فغير بعيد أن يستهوي من بعدي وكان عبد الملك من الرأي والعلم بموضع وتزعم الرواة أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتب فقال له معاوية أتجد نعتي في شيء من كتب الله قال اي والله لو كنت في أمة لوضعت يدي عليك من

بينهم قال فكيف تجدني قال أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم قال معاوية فسري عني ثم قال لا تقبل هذا مني ولكن من نفسك فاختبر هذا الخبر قال ثم يكون ماذا قال ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجن الاموال ويصطنع الرجال ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تتشعب باقوام حتى يفضي الامر بها الى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لا يزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرين مبين لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال شد ما فأراه من بالشام من بني أمية فقال ما أراه ههنا فوجه به الى المدينة مع ثقات من رسله فاذا عبد الملك يسعى مؤتزرا في يده طائر فقال للرسل ها هو ذا ثم صاح به الى أبو من قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لي قال وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال مالي من مال ولكن أرأيتك ان تكلفت لك جعلا أأنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمتك أتؤخره عن وقته قال لا قال فحسبك ما سمعت فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يدا عنده يجازيه بها في مخلفيه في وقته وكان عبد الملك من أكثر الناس علما وأبرعهم أدبا وأحسنهم في شبيبته ديانة فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة فسلم عليه بها أول تسليمة والمصحف في حجره فأطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك قال أبو العباس وحدثني ابن عائشة عن حماد بن سلمة في اسناد ذكره أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم فقال له عبد الملك يوما وهو في عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المري من مرة غطفان يريد المدينة ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم رسول الله أعظم من جيشه فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال معاذ الله قال له يوسف ما قلت شاكا ولا مرتابا

وانى لأجدك بجميع أوصافك قال له عبد الملك ثم ماذا قال ثم يتداولها رهطك قال الى متى قال الى أن تخرج الرايات السود من خراسان قال وحدثت عن ابن جعدبة قال كنت عند أمير المؤمنين المنصور فى اليوم الذى أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن قال فغمه ذلك حتى امتنع من الغداء فى وقته وطال عليه فكره فقلت يا أمير المؤمنين أحدثك حديثا كنت مع مروان بن محمد وقد قصده عبد الله بن على فأنا اليه كذلك اذ نظر الى الاعلام السود من بعد فقال ماهذه الجثث المجللة قلت هذه أعلام القوم قال فمن تحتها قلت عبد الله بن على ابن عبد الله بن العباس قال وأيهم عبد الله فقلت الفتى المعروق الطويل الخفيف العارضين الذى رأيته فى وليمة كذا يأكل فيجيد فسألتنى عنه فنسبته لك فقلت ان هذا الفتى لتلقامة قال قد عرفته والله لوددت أن على بن أبى طالب مكانه قال فقال لى المنصور آلله لسمعت هذا من مروان بن محمد قلت والله لقد سمعته منه قال يا غلام هات الغداء ﴿قال أبو العباس وكان أهل النخيلة جماعة بعد أهل النهروان ممن فارق عبد الله بن وهب وممن لجأ الى راية أبى أيوب وممن كان أقام بالكوفة فقال لا أقاتل عليا ولا أقاتل معه فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم فقام منهم قائم يقال له المستورد من بنى سعد بن زيد مناة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته معلنا مقالته مبلغا عن ربه ناصحا لامته حتى قبضه الله مخيرا مختارا ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقاتل من ارتد عن دين ربه وذكر أن الله عز وجل قرن الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل احداهما طعن على الاخرى لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله اليه موفورا ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل مسويا بين الناس فى اعطائه لا مؤثرا لاقاربه ولا محكما فى دين ربه وها أنتم تعلمون ما حدث والله يقول وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فكل أجاب وبايع فوجه اليهم على بن أبى طالب عبد الله بن العباس

داعيا فأبوا فسار اليهم فقال له عفيف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تخرج في هذه الساعة فانها ساعة نحس لعدولك عليك فقال له علي توكلت على الله وحده وعصيت رأي كل متكهن أنت تزعم انك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ثم سار اليهم فطحنهم جميعا لم يفلت منهم الا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائي وفروة بن شريك الأشجعي وهم الذين ذكرهم الحسن البصري فقال دعاهم الى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا فسار اليهم أبو حسن فطحنهم طحنا وفيهم يقول عمران بن حطان

انى أدين بما دان الشراة به * يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميري يعارض هذا المذهب

انى أدين بما دان الوصي به * يوم النخيلة من قتل المحلينا

وبالذي دان يوم النهر دنت به * وشاركت كفه كفي بصفينا

تلك الدماء معا يارب في عنقي * ومثلها فاسقني آمين آمينا

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس اذ كان علي على حق لم يشكك فيه وحكم مضطرا فما باله حيث ظفر لم يسب فقال لهم ابن عباس قد سمعتم الجواب في التحكيم فأما قولكم في السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة فوضعوا أصابعهم في آذانهم وقالوا أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس فانه طلق ذلق غواص على موضع الحجة ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة ابن شعبة وهو والى الكوفة فوجه اليه معقل بن قيس الرياحي فدعاه المستورد الى المبارزة وقال له علام يقتل الناس بيني وبينك فقال له معقل النصف سألت فأقسم عليه أصحابه فقال ما كنت لآبى عليه فخرج اليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتا وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يوصي بها وهي محفوظة عنه كان يقول اذا أفضيت

بسري الى صديق فأفشاه لم ألمه لأني كنت أولى بحفظه وكان يقول لا تفش الى أحد سرا وان كان مخلصا الا على جهة المشاورة وكان يقول كن أحرص على حفظ سر صاحبك منك على حقن دمك وكان يقول أول ما يدل عليه عائب الناس معرفته بالعيوب ولا يعيب الا معيب وكان يقول المال غير باق عليك فاشتر من الحمد ما يبقى عليك وكان يقول بذل المال في حقه استدعاء للمزيد من الجواد وكان يكثر أن يقول لو ملكت الارض بحذافيرها ثم دعيت الى أن أستفيد بها خطيئة ما فعلت قال وخرجت الخوارج واتصل خروجها واغا نذكر منهم من كان ذا خبر طريف واتصلت به حكم من كلام وأشعار فأول من خرج بعد قتل على عليه السلام حوثرة الأسدي فانه كان متنحيا بالبندنيجين فكتب الى حابس الطائي يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير اليه بجمعه فيتعاضدا على مجاهدة معاوية فأجابه فرجعا الى موضع أصحاب النخيلة ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن على صلوات الله عليه بعد أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد بن عبادة ثم خرج الحسن يريد المدينة فوجه اليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولي لمحاربتهم فقال الحسن والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعني أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم فلما رجع الجواب اليه وجه اليهم جيشا أكثرهم من أهل الكوفة ثم قال لابيه أبي حوثرة اكفني أمر ابنك فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له يا بني أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن اليه فقال يا أبت انا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني الى ابني فرجع الى معاوية فأخبره فقال يا أبا حوثرة عتا هذا جدا فلما نظر حوثرة الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت لك في غيري مندوحة ولي في غيرك عنك مذهب ثم حمل على القوم وهو يقول

اكرر على هذى الجموع حوزته * فمن قليل ما تنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيئ فقتله فرأى أثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعا وأنا أحسب أن قول القائل

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذوو العيوب

انما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد أريد أن أرى رجلا عيابا قال التمسه بفضل معايب فيه وقال العباس بن الاحنف يعاتب من اتهمه بافشاء سره

تعتبت تطلب ما أستحق * به الهجر منك ولا تقدر

وماذا يضرك من شهرتى * اذا كان سرك لا يشهر

أمنى تخاف انتشار الحديث * وحظى فى ستره أوفر

ولو لم تكن فى بقيا عليك * نظرت لنفسى كما تنظر

و روى من حديث محمد بن كعب القرظى قال قال عمار بن ياسر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنا منزلا فخرجت أنا وعلى بن أبى طالب صلوات الله عليه ننظر الى قوم يعملون فنعسنا فنمنا فسفت علينا الريح التراب فما نبهنا الا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعلى يا أبا تراب لما عليه من التراب أتعلم من أشقى الناس فقال خبرنى يا رسول الله فقال أشقى الناس اثنان أحمر ثمود الذى عقر الناقة وأشقاها الذى يخضب هذه ووضع يده على لحيته من هذا ووضع يده على قرنه و روى عن عياض بن خليفة الخزاعى قال تلقانى على صلوات الله عليه فى الغلس فقال لى من أنت قلت عياض بن خليفة الخزاعى فقال ظننتك أشقاها الذى يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته وعلى قرنه و روى أنه كان يقول كثيرا قال أبو العباس أحسبه عند الضجر بأصحابه ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا و روى عن رجل من ثقيف انه قال خرج الناس يتلقون دوابهم بالمداين

وأراد على المسير الى الشأم فوجه معقل بن قيس الرياحي ليرجعهم اليه وكان ابن عم لى فى آخر من خرج فأتيت الحسن بن على عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لى كتاب أمير المؤمنين الى معقل بن قيس فى الترفيه عن ابن عمى فانه فى آخر من خرج فقال نغدو علينا والكتاب مختوم ان شاء الله تعالى فبت ليلتى ثم أصبحت والناس يقولون قتل أمير المؤمنين الليلة فأتيت الحسن واذا به فى دار على عليه السلام فقال لولا ما حدث لقضينا حاجتك ثم قال حدثنى أبي عليه السلام البارحة فى هذا المسجد فقال يا بنى انى صليت ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابى وقلة رغبتهم فى الجهاد فقال ادع الله أن يريحك منهم فدعوت الله قال الحسن ثم خرج الى الصلاة فكان ما قد علمت وحدثت من غير وجه أن عليا لما ضرب ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شئ فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فانى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه فلما قضى على كرم الله وجهه قالت أم العريان

وكنا قبل مهلكه زمانا * نرى نجوى رسول الله فينا

قتلتم خير من ركب المطايا * وأكرمهم ومن ركب السفينا

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا

وروى أن عبد الرحمن بن ملجم بات تلك الليلة عند الاشعث بن قيس بن معدى كرب وأنه حجر بن عدى سمع الاشعث يقول له فضحك الصبح فلما قالوا قتل أمير المؤمنين قال حجر بن عدى للاشعث أنت قتلته يا أعور وروى أن الذى سمع ذلك أخو الاشعث عفيف بن قيس

وانه قال لاخيه عن أمرك كان هذا يا أعور ﴿ واخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفردا لهم لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مستطرف أو كلام من خطبة معروفة مختارة ﴿ خرج قريب بن مرة الازدي وزحاف الطائي وكانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد واختلف الناس في أمورهما أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخا ناسكا من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه وكان يقال له رؤبة الضبعي وتنادى الناس فخرج رجل من بني قطيعة من الازد وفي يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية الحرورية انج بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشرط فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال خبرهما فقال قريب لا قربه الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه ركباها عشواء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا حتى مرا ببني علي بن سود من الازد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمي فرموهم رميا شديدا فصاحوا يا بني علي البقيا لا رماء بيننا فقال رجل من بني علي

لا شيء للقوم سوى السهام ✻ مشحوذة في غلس الظلام

فهرب عنهم الخوارج وخافوا الطلب فاشتقوا مقبرة بني يشكر حتى نفذوا الى مزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم ثمانون وخرجت اليهم بنو طاحية بن سود وقبائل مزينة وغيرها فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم ثم غدا الناس الى زياد فقال ألا ينهى كل قوم سفهاءهم يا معشر الازد لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت انكم أرثثموها فكانت القبائل اذا أحس بخارجية فيهم شدتهم وأتت بهم زيادا فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره وله أخرى في الخوارج أخرجوا معهم امرأة فظفر بها فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء بعد على زياد وكن اذا دعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الانصارية امرأة المختار وليس هذا من أخبار الخوارج أنكره الخوارج

غاية الانكار ورأوه قد أتى بقتل النساء أمراً عظيماً لانه أتى ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سائر نساء المشركين وللخوارج منهن أخبار فقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

انّ من أعظم الكبائر عندى * قتل حسناء غادة عُطبول

قُتلت باطلا على غير ذنب * ان لله درّها من قتيل

كُتب القتل والقتال علينا * وعلى المُحصنات جرُّ الذيول

قال وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لاحداهما كُحيلة والاخرى قطام فجعل أصحاب ابن عامر يُعيّرونهم ويصيحون بهم يا أصحاب كحيلة وقطام يُعرّضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالدفع والردع ويقول قائلهم لا تَقْفُ ما ليس لك به علم ويروى عن ابن عباس فى هذه الآية والذين لا يشهدون الزُور واذا مرُّوا باللغو مرّوا كراما قال أعياد المُشركين وقال ابن مسعود الزور الغناء فقيل لابن عباس أَوَما هذا فى الشهادة بالزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤلا عاد الحديث الى أمر الخوارج وكان من المجتهدات من الخوارج ولو قُلتَ من المجتهدين وأنت تعنى امرأة كان أفصح لانك تريد رجالا ونساء هي احداهم كما قال الله عز وجل وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وقال جل ثناؤه الا عجوزا فى الغابرين منهم البلجاء وهى امرأة من بنى حَرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم من رهط سَجاح التى كانت تنبّأت وسنذكر خبرها فى موضعه ان شاء الله وكان مرداس بن حُدَير أبو بلال وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة تعظمه الخوارج وكان مجتهدا كثير الصواب فى لفظه فلقيه غيلان بن خَرَشة الضبّى فقال يا أبا بلال انى سمعت الامير البارحة عُبيدَ الله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ فمضى اليها أبو بلال فقال لها ان الله قد وسّع على المؤمنين فى التقيّة فاستترى فان هذا المُسرِف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك قالت ان يأخذنى فهو

أشقى بي فأما أنا فما أحب أن يعنت انسان بسببي فوجه اليها عبيد الله بن زياد فأتي بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق فمر أبو بلال والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا البلجاء فعرج اليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسه لهذه أطيب نفسا عن بقية الدنيا منك يا مرداس ثم ان عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداسا فرأى صاحب السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له اني أرى لك مذهبا حسنا واني لأحب أن أوليك معروفا أفرأيت ان تركتك تنصرف ليلا الى بيتك أتدلج الي قال نعم فكان يفعل ذلك به ولج عبيد الله في حبس الخوارج وقتلهم فكلم في بعض الخوارج فلج وأبى وقال أقمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من الشرط فقال ابن زياد ما أدري ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله لأقتلن من في حبسي منهم فأخرج السجان مرداسا الى منزله كما كان يفعل وأتى مرداسا الخبر فلما كان السحر تهيأ للرجوع فقال له أهله اتق الله في نفسك فانك ان رجعت قتلت فقال اني ما كنت لألقى الله غادرا فرجع الى السجان فقال اني قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال أعلمت ورجعت ويروى أن مرداسا مر بأعرابي يهنأ بعيرا له فهرج البعير فسقط مرداس مغشيا عليه فظن الاعرابي انه قد صرع فقرأ في أذنه فلما أفاق قال له الاعرابي قرأت في أذنك فقال له مرداس ليس بي ما خفته علي ولكني رأيت بعيرك هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابني ما رأيت فقال لا جرم والله لا فارقتك أبدا وكان مرداس قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وأنكر التحكيم وشهد النهروان ونجا فيمن نجا فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى جد ابن زياد في طلب الشراة عزم على الخروج فقال لأصحابه انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم

ولكنا نتنبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثا فأبى فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصاري وكان له صديقا فقال له أين تريد قال أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم أحد قال لا قال فارجع قال أوتخاف على مكروها قال نعم وأن يؤتى بك قال فلا تخف فاني لا أجرد سيفا ولا أخيف أحدا ولا أقاتل الا من قاتلني ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رامهرمز وأرجان فمر به مال يحمل لابن زياد وقد قارب أصحابه الاربعين فحط ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورد الباقي على الرسل وقال قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام ندع الباقي فقال انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم ولابي بلال أشعار في الخروج اخترت منها قوله

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى * ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أحب بقاء أو أرجي سلامة * وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيارب سلم نيتي وبصيرتي * وهب لي التقى حتى ألاقي أولئكا

قوله وقد قتلوا ولم يذكر أحدا فانما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني مخالفيه وانما يحتاج الضمير الى ذكر قبله ليعرف فلو قال رجل صربته لم يجز لانه لم يذكر أحدا قبل ذكره الهاء ولو رأيت قوما يلتمسون الهلال فقال قوم هذا هو لم يحتج الى تقدمة الذكر لان المطلوب معلوم وعلى هذا قال علقمة بن عبدة في افتتاح قصيدته

هل ما علمت وما استودعت مكتوم * أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

لانه قد علم أنه يريد حبيبته وقوله حتى ألاقي ولم يحرك الياء فقد مضى شرحه مستقصى ويروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال خرجنا في جيش نريد خراسان فمررنا باسك فاذا نحن

بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد دخلنا زرنبا فوقف أخي ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام فقال لأخي أجئتم لقتالنا فقال له لا انما نريد خراسان قال فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفسد في الارض ولا لنروع أحدا ولكن هربا من الظلم ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء الا أعطياتنا ثم قال أندب الينا أحد قلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابي قال فمتى ترونه يصل الينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وجهز عبيد الله أسلم بن زرعة في أسرع وقت ووجهه اليهم في ألفين وقد تتام أصحاب مرداس أربعين رجلا فلما صار اليهم أسلم صاح به ابو بلال اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نحتجن فيأ فما الذى تريد قال أريد أن أردكم الى ابن زياد قال مرداس اذا يقتلنا قال وان قتلكم قال تشركه فى دمائنا قال انى أدين بأنه محق وانكم مبطلون فصاح به حريث بن حجل أهو محق وهو يطيع الفجرة وهو أحدهم ويقتل بالظنة ويخص بالفيء ويجور فى الحكم اما علمت انه قتل بابن سعاد أربعة برآء وانا أحد قتلته ولقد وضعت فى بطنه دراهم كانت معه ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال وكان معبد أحد الخوارج قد كاد يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا وقال ويلك أتمضى فى ألفين فتنهزم لحملة أربعين وكان أسلم يقول لأن يذمنى ابن زياد حيا أحب الى من أن يمدحنى ميتا وكان اذا خرج الى السوق أو مر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك وربما صاحوا به يا معبد خذه حتى شكا ذلك الى ابن زياد فأمر ابن زياد الشرط أن يكفوا الناس عنه ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك من بنى تيم اللات بن ثعلبة فى كلمة له

فلما أصبحوا صلوا وقاموا * الى الجرد العتاق مسومينا

فلما استجمعوا حملوا عليهم * فظل ذوو الجعائل يقتلونا

بقية يومهم حتى أتاهم * سواد الليل فيه يراوغونا

يقول بصيرهم لما أتاهم * بأن القوم ولوا هاربينا
أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك * على الفئة الكثيرة ينصرونا

ثم ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس فاختار عباد بن اخضر وليس بابن أخضر هو عباد بن علقمة المازنى وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه فوجهه فى أربعة آلاف فنهد لهم ويزعم أهل العلم ان القوم قد كانوا انتحوا عن دارابجرد من أرض فارس فصار اليهم عباد وكان التقاؤهم فى يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج الى يا عباد فانى أريد أن أحاورك فخرج اليه فقال ما الذى تبغى قال أو آخذ بأقفائكم فأردكم الى الامير عبيد الله بن زياد قال أو غير ذلك قال وما هو قال أن ترجع فانا لا نخيف سبيلا ولا نذعر مسلما ولا نحارب الا من حاربنا ولا نجبي الا ما حمينا فقال له عباد الامر ما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول ان ترد فئة من المسلمين الى جبار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بد وقدم القعقاع بن عطية الباهلى من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذا قالوا الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب فأخذ القعقاع أسيرا فأتى به أبو بلال فقال ما أنت قال لست من أعدائك وانما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع الى عباد فأصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول

أقاتلهم وليس على بعث * نشاطا ليس هذا بالنشاط
أكر على الحروريين مهرى * لأحملهم على وضح الصراط

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسى وكهمس بن طلق الصريمى فأسراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعون

أسلحتهم وعمد والالصلاة فأسرع عباد ومن معه والحرورية مبطلون فهم من بين راكع وقائم وساجد في الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلهم جميعا وأتى برأس أبي بلال وتروي الشراة ان مرداسا أبا بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال اللهم ان كان ما نحن فيه حقا فأرنا آية فرجف البيت وقال آخرون فارتفع السقف فروى أهل العلم أن رجلا من الخوارج ذكر ذلك لابي العالية الرياحي يعجبه من الآية ويرغبه في مذهب القوم فقال أبو العالية كاد الخسف ينزل بهم ثم أدركتهم نظرة الله فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصلبت رؤسهم وفيهم داود بن شبث وكان ناسكا وفيهم حبيبة النصري من قيس وكان مجتهدا فيروى عن عمران بن حطان أنه قال قال لي حبيبة لما عزمت على الخروج فكرت في بناتي فقلت ذات ليلة لأمسكن عن تفقدهن حتى أنظر فلما كان في جوف الليل استسقت بنية لي فقالت يا أبت اسقني فلم أجبها فأعادت فقامت أخية لها أسن منها فسقتها فعلمت ان الله عز وجل غير مضيعهن فأتممت عزمي وكان في القوم كهمس وكان من أبر الناس بامه فقال لها يا أمه لولا مكانك لخرجت فقالت يا بني قد وهبتك الله ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك الحبطي

ألا في الله لا في الناس شالت * بداود واخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا * تحوم عليهم طير وقوع
اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان

يا عين بكي لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هائما أبكي لمرزئتي * في منزل موحش من بعد ايناس

أنكرتُ بعدكَ من قد كنتُ أعرفُهُ * ما الناسُ بعدكَ يا مِرداسُ بالناسِ

امّا شربتَ بكاسٍ دارَ أوّلُها * على القرونِ فذاقوا جُرعةَ الكاسِ

فكلّ من لم يذقها شاربٌ عجِلاً * منها بانفاسٍ وِردٍ بعدَ أنفاسِ

ثم ان عباد بن أخضر المازنى لبثَ دهراً فى المصر محموداً موصوفاً بما كان منه فلم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة من الخوارج أن يفتكوا به فذمّر بعضُهم بعضاً على ذلك فجلسوا له فى يوم جمعة وقد أقبل على بغلة له وابنه رديفه فقام اليه رجلٌ منهم فقال أسألك عن مسئلة قال قل قال أرأيتَ رجلاً قتلَ رجلاً بغير حق وللقاتل جاهٌ وقدرٌ وناحية من السلطان ألولىّ ذلك المقتول أن يقتلَهُ به ان قدر عليه قال بل يرفعه الى السلطان قال ان السلطان لا يُعدى عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده قال أخاف عليه ان قتلَهُ به قتلَهُ به السلطان قال دع ما تخافه من ناحية السلطان أتلحقه تبعةٌ فيما بينه وبين الله قال لا قال فحكّموا هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم ورمى عبادٌ ابنَهُ فنجا وتنادى الناس قُتل عبادٌ فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطُرق وكان مقتلُ عباد فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كُليب فجاء معبدُ بن أخضر اخو عبّاد وهو معبد بن علقمة وأخضرُ زوجُ أمهما فى جماعة من بنى مازن فصاحوا بالناس دعونا وثأرنا فأجمَّ الناسُ وتقدم المازنيّون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعاً لم يُفلتْ منهم أحدٌ الا عَبيدة بن هلال فانه خرق خُصّاً ونفذ منه ففى ذلك يقول الفرزدق

لقد أدركَ الأوتارَ غيرَ ذميمةٍ * اذا ذُمّ طلّابُ التِراتِ الأخاضرُ

هُم جرّدوا الأسيافَ يومَ ابن أخضرٍ * فنالوا التى ما فوقها نالَ ثائرُ

أقادوا به أُسداً لها فى اقتحامها * اذا برزتْ نحو الحروب بصائرُ

ثم ذكر بنى كليب لانه قُتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه فقال فى كلمته هذه

كفعل كُليبٍ اذ أخلّت بجارها * ونصرُ اللئيمِ معتمٌ وهو حاضرُ

وما الكليب حين تذكر أول * وما الكليب حين تذكر آخر

وقال معبد بن أخضر

سأحمى دماء الاخضريين انه * أبى الناس الا ان يقولوا ابن أخضرا

وكان مقتل عباد وعبيد الله بن زياد بالكوفة وخليفته على البصرة عبيد الله بن أبى بكرة فكتب اليه يأمره أن لا يدع أحدا يعرف بهذا الرأى الا حبسه وجدّ فى طلبه ممن تغيب منهم فجعل عبيد الله بن أبى بكرة يتتبعهم فيأخذهم فاذا شفع اليه فى أحد منهم كفّله الى ان يقدم ابن زياد حتى أتى بعروة بن أدية فاطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من فى السجن منهم فقتلهم جميعا وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم فكل من جاء بصاحبه أطلقه وقتل الخارجى ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله ثم قال لعبيد الله بن أبى بكرة هات عروة ابن أدية قال لا أقدر عليه قال اذا والله أقتلك فانك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دُلّ عليه فى سرب العلاء بن سويّة المنقرى فكتب بذلك الى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه الكاتب انا أصبناه فى شرب فتهانف به عبيد الله بن زياد وكان كثير المحاورة عاشقا للكلام الجيد مستحسنا للصواب منه لا يزال يبحث عن عذره فاذا سمع الكلمة الجيدة عرّج عليها ويروى انه قال فى عقب مقتل الحسين بن على عليه السلام لزينب بنت على رحمها الله تعالى وكانت أسنّ من حمل اليه منهن وقد كلمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها ان تكونى بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيبا شاعرا فقالت ما للنساء والشعر وكان مع هذا ألكن يرتضخ لغة فارسية وقال لرجل مرة واتهمه برأى الخوارج أهروري منذ اليوم ۞ رجع الحديث فقال للكاتب صحفت والله وأوهمت انما هو فى سرب العلاء بن سوية ولوددت أنه كان ممن يشرب النبيذ فلما أقيم عروة بن أدية بين يديه حاوره وقد اختلف الناس فى خبره والصحيح عندنا انه قال له جهزت أخاك علىّ فقال والله لقد كنت به ضنينا وكان لى عزا ولقد أردت له

ما أريده لنفسي فهزم عزما فمضى عليه وما أحب لنفسي الا المقام وترك الخروج قال له أفأنت على رأيه قال كلنا نعبد ربا واحدا قال أما لأمثلن بك قال اختر لنفسك من القصاص ما شئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال كيف ترى قال أفسدت على دنياي وأفسدت عليك آخرتك ثم أمر به فقتل ثم صلب على باب داره ثم دعا مولاه فسأله عنه فأجابه جوابا مضى ذكره قوله فتهانف حقيقته تضاحك به ضحك هزء وقال ابن أبي ربيعة المخزومي

ولقد قالت لجارات لها * وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني * عمركن الله أم لا يقتصد
فتهانفن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود
حسد حملنه من أجلها * وقديما كان في الناس الحسد

وكان عبيد الله لا يلبث الخوارج يحبسهم تارة ويقتلهم تارة وأكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن أحد منهم وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما ولي بعده فخرجوا عليه فأما زياد فكان يقتل المعلن ويستصلح المسر ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة ووجه يوما بجبينة بن كبيش الاعرجي الى رجل من بني سعد يرى رأي الخوارج فجاءه بجبينة فأخذه فقال اني أريد أن أحدث وضوأ للصلاة فدعني أدخل الى منزلي قال ومن لي بخروجك قال الله عز وجل فتركه فدخل فأحدث وضوأ ثم خرج فأتى به بجبينة زيادا فلما مثل بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال قعدت عني فأنكرت ذلك فذكر الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولا فصدقه بفعلك وكان من قولك ومن قعد عنا لم نهجه فقعدت فأمر له بصلة وكسوة وحملان فخرج الرجل من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه فقال ما كلكم أستطيع أن أخبره ولكني دخلت على رجل لا يملك ضرا ولا نفعا لنفسه ولا موتا ولا

حياة ولا نشوزا فرزق الله منه ما ترون وكان زياد يبعث الى الجماعة منهم فيقول ما أحسب الذي منعكم من اتياني الا الرجلة فيقولون أجل فيحملهم ويقول اغشوني الآن واسمروا عندي فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتل الله زيادا جمع لهم كما تجمع الذرة وحاطهم كما تحوط الأم البرة وأصلح العراق بأهل العراق وترك أهل الشأم في شأمهم وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف قال أبو العباس وبلغ زيادا عن رجل يكنى أبا الخير من أهل البأس والنجدة انه يرى رأي الخوارج فدعاه فولاه جنديسابور وما يليها ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر وجعل عمالته في كل سنة مائة ألف فكان أبو الخير يقول ما رأيت شيأ خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل واليا حتى أنكر منه زياد شيأ فتنمر لزياد فحبسه فلم يخرج من حبسه حتى مات وقال الرهين وكان رجلا من مراد وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج بمنزلة عمران ابن حطان وكان عمران بن حطان في وقته شاعر قعد الصفرية ورئيسهم ومفتيهم وللرهين المرادي ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن والآثار وفي السير والسنن وفي الغريب والشعر نذكر منها طريفها ان شاء الله قال المرادي

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي * لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا
اني لبائع ما يفنى لباقية * ان لم يعقني رجاء العيش تربيصا
وأسأل الله بيع النفس محتسبا * حتى ألاقي في الفردوس حرقوصا

(قال الاخفش حرقوص ذو الثدية)

وابن المنيح وهرداسا واخوته * اذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا

قال أبو العباس وهذه كلمة له وله أشعار كثيرة في مذاهبهم وكان زياد ولى شيبان بن عبد الله الاشعري صاحب مقبرة بني سيبان باب عثمان وما يليه فجد في طلب الخوارج وأخافهم

وكانوا كثيرا فلم يزل كذلك حتى أتاه ليلة وهو متكئ بباب بيداره رجلان من الخوارج فضرباه بأسيافهما فقتلاه وخرج بنو يربوع له للاغاثة فقتلوا ثم قتلهما الناس فأتي زياد بعد ذلك برجل من الخوارج فقال اقتلوه متكئا كما قتل شبيان متكئا فصاح الخارجي يا عدلاه يهزأ به

فأما قول جرير

ومنا فتى الفتيان والباس معقل * ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا

فانه أراد معقل بن قيس الرياحي ورياح ابن يربوع وجرير من كليب بن يربوع وقوله ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا يريد المستورد التيمي وهو من تيم بن عبد مناة بن أد وتميم ابن مر بن أد

وأما قول ابن الرقيات

والذى نغص ابن دومة ما توحى الشياطين والسيوف ظماء

فأباح العراق يضربهم بالسيف صلتا وفى الضراب غلاء

فانما يريد بابن دومة المختار بن أبي عبيد الثقفي والذى نغصه مصعب بن الزبير وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا فى ظاهره وقوله ما توحى الشياطين فان المختار كان يدعى أنه يلهم ضربا من السجاعة لامور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس هذا من عند الله عز وجل فمن ذلك قوله ذات يوم لتنزلن من السماء نار دهماء فلتحرقن دار أسماء فذكر ذلك لاسماء بن خارجة فقال أقد سجع بى أبو اسحق هو والله محرق دارى فتركه والدار وهرب من الكوفة وقال فى بعض سجعه أما والذى شرع الاديان وجنب الاوثان وكره العصيان لاقتلن أزد عمان وجل قيس عيلان وتميما أولياء الشيطان حاشا النبي [illegible] فكان [illegible] النجيب يقول لم أزل فى عمر المختار أتقلب آمنا وروى ان المختار ابن أبي عبيد [illegible] لابن الزبير على الكوفة اتهمه ابن الزبير فولى رجلا من قريش [illegible] قال [illegible] من أهلها اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا

أين تريدوالله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع فما أدري ما الذي ردّه فغضب ابن الزبير على القرشي وعزره ورده الى الكوفة فلما شارفها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الاول فلام القرشي فلما كان في الثالثة فطن ابن الزبير وعلم بذلك المختار وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بني هاشم فقال لتبايعن أو لاحرقنكم فأبوا بيعته وكان السجن الذي حبسهم فيه يدعى سجن عارم ففي ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم في سجن عارم

ومن يلق هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمي النبي المصطفى وابن عمه * وفكاك أغلال وقاضي مغارم

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت ففي ذلك يقول ابن الرقيات يذكر مصعبا

بلد تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

وكان عبد الله يدعى المحل لاحلاله القتال في الحرم وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير

ألا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان عليا استطال درعا فقال لينقص منها كذا وكذا حلقة فقبض محمد بن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده أبوه فكان ابن الزبير اذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه أفكل فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب اليه من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين الى عبد الله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك في وقت

اظهاره طاعة ابن الزبير يدس الى الشيعة ويعلمهم موالاته اياهم ويخبرهم انه على رأيهم وحمد مذاهبهم وانه سيظهر ذلك عما قليل ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم وكان من عجائب المختار انه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله الخروج الى الطلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما فأبى عليه ابراهيم الا ان يستأذن محمد بن على بن ابى طالب فكتب اليه يستأذنه فعلم محمد ان المختار لا عقد له فكتب محمد الى ابراهيم بن الاشتر انه ما يسوءنى ان يأخذ الله بحقنا على يدى من يشاء من خلقه فخرج معه ابراهيم بن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يشيعه ماشيا فقال له ابراهيم اركب يا ابا اسحق فقال انى أحب ان تغبر قدماى فى نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيعه فرسخين ودفع الى قوم من خاصته حماما بيضا ضخاما وقال ان رأيتم الامر لنا فدعوها وان رأيتم الامر علينا فارسلوها وقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حصتم حيصة فانى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتى فى صور الحمام دوين السحاب فلما صار ابن الاشتر بخازر وبها عبيد الله بن زياد قال من صاحب الجيش قيل له ابن الاشتر قال أليس الغلام الذى كان يطير الحمام بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشىء وعلى ميمنة ابن زياد حصين بن نمير السكونى من كندة ويقال السكونى والسكونى والسدوسى والسدوسى كذا كان أبو عبيدة يقول (قال أبو الحسن السكونى أكثر) وعلى ميسرته عمير بن الحباب فارس الاسلام فقال حصين بن نمير لابن زياد ان عمير بن الحباب غير ناس قتلى المرج وانى لا أثق لك به فقال ابن زياد أنت لى عدو وقال حصين ستعلم قال ابن الحباب فلما كان فى الليلة التى نريد أن نواقع ابن الاشتر فى صبيحتها خرجت اليه وكان لى صديقا ومعى رجل من قومى فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروى وملاءة وهو متوشح السيف يجوس عسكره فيأمر فيه وينهى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت الى ولكن قال من هذا

فقلت عمير بن الحباب فقال مرحبا بأبي المغلس كن بهذا الموضع حتى أعود اليك فقلت لصاحبي أرأيت أشجع من هذا قط يحتضنه رجل من عسكر عدوه ولا يدري من هو فلا يلتفت اليه ثم عاد الي وهو في أربعة آلاف فقال ما الخبر فقلت القوم كثير والرأي أن تناجزهم فانه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير فقال نصبح ان شاء الله ثم نحاكمهم الى ظُبات السيوف وأطراف القنا فقلت انا منخزل عنك بثلث الناس غدا فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم في أول النهار فأرسل أصحاب المختار الطير فتصايح الناس الملائكة فتراجعوا ونكس عمير بن الحباب رايته ونادى يالثأرات المرج وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه واقتتل الناس حتى اختلط الظلام وأسرع القتل في أصحاب عبيد الله بن زياد ثم انكشفوا ووضع السيف فيهم حتى أفنوا فقال ابن الاشتر لقد ضربت رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع الى سيفي ومنه رائحة المسك ورأيت اقداما وجرأة فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب فانظروه فأتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد وقد كان عند المختار كرسي قديم العهد فغشاه بالديباج وقال هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضعوه في براكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محل السكينة في بني اسرائيل ويقال انه اشترى ذلك الكرسي بدرهمين من نجار وقوله في براكاء القتال يقال براكاء وبروكاء وهو موضع اصطدام القوم قال الشاعر

وليس بنقذك منه الا * براكاء القتال أو الفرار

٥٠ ﴿هذا باب اللام التي للاستغاثة والتي للاضافة﴾

اذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول يا للرجال ويا للقوم ويا لزيد اذا كنت تدعوهم وانما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له ووجب أن تفتحها لان أصل اللام

الخافضة انما كان الفتح فكسرت مع المظهر ليفصل بينها و بين لام التوكيد تقول انّ هذا لزيدٌ اذا أردت انّ هذا زيدٌ وتقول انّ هذا لزيد اذا أردت انه في ملكه ولو فتحت لالتبستا فان وقعت اللامُ على مضمر فتحتها على أصلها فقلت ان هذا لَكَ وان هذا لَانْتَ اذا أردت لام التوكيد لانه ليس ههنا لَبْسٌ وذالك أن الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتها على الاصل والاستغاثة تردُّها الى أصلها من أجل اللبس والمدعوُّ له في بابه فاللام معه مكسورة تقول يالَلرجالِ لِلماء ويالَلرجال للعجب ويالَزيد لِلخطب الجليل قال الشاعر

يالَلرجالِ ليوم الاربعاء أمَا * ينفكُّ يبعثُ لي بعد النُّهى طربا

وقال آخر

تكنّفني الوشاةُ فأزعجوني * فيالَلناس للواشي المُطاع

وفي الحديث لما طعن العِلجُ أو العبدُ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه صاح يالَلّه يالَلمسلمين وتقول يالَلعجبِ اذا كنت تدعو اليه و يالَلغيرِ العجب كانك قلت ياللناس للعجب و ينشدُ هذا البيتُ

يالعنةُ الله والاقوام كلِّهم * والصالحين على سمعان من جار

فيالغير اللعنة كانه قال ياقوم لعنةُ الله والاقوام كلّهم وزعم سيبويه أن هذه اللام التي للاستغاثة دليلٌ بمنزلة الالف التي تُبيّنُ بالهاء في الوقف اذا أردت أن تُسمِع بعيدا فانما هي للاستغاثة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك ياقوماه على غير النُدْبة ولكن للاستغاثة ومدّ الصوت والقول كما قال محلُّهما عند العرب محلٌّ واحد فان وصلت حذفتَ الهاء لانها زيدت في الوقف لخفاء الالف كما تُزاد لبيان الحركة فاذا وصلت أغنى ما بعدها عنها تقول ياقوما تعالوا و يازيدا لا تفعل ولا يجوز أن تقول يالَزيد وهو مقبلٌ عليك وكذلك لا يجوز أن تقول يازيداه وهو معك انما يقال ذلك للبعيد أو يُنَبَّه به النائم فان قلت يالَزيد ولِعمرو كسرتَ اللام في عمرو

وهو مدعوّ لانك انما فتحت اللام فى زيد لتفصل بين المدعو والمدعوّ اليه فلما عطفت على زيد استغنيت عن الفصل لانك اذا عطفت عليه شيأ صار فى مثل حاله ونظير ذلك الحكاية يقول الرجل رأيت زيدا فتقول من زيدا وانما حكيت قوله ليعلم أنك انما تستفهمه عن الذى ذكر بعينه ولا تسأله عن زيد غيره والموضع موضع رفع لانه ابتدا وخبر فان قلت ومن زيدٌ أوفمن زيدٌ لم يكن الا رفعا لانك عطفت على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لان العطف لا يكون مستأنفا ونظير هذا الذى ذكرتُ لك فى اللام قول الشاعر

يبكيك ناءٍ بعيدُ الدار مغتربُ * يا للكهول وللشبان للعجب

فقد أحكمتُ لك كل ما فى هذا الباب ❁ ثم نعود الى ذكر الخوارج قال وذُكر لعبيد الله ابن زياد رجل من بنى سدوس يقال له خالد بن عبّاد أو ابن عبادة وكان من نُسّاكهم فوجه اليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثور فكذب عنه وقال هو صهرى وهو فى ضِمنى فخلّى عنه فلم يزل الرجل يتفقده حتى تغيب فأتى ابن زياد فأخبره فبعث الى خالد بن عباد فأُخذ فقال عبيد الله بن زياد أين كنت فى غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجور فيتبرؤن منهم قال دلّنى عليهم قال اذن يسعدوا وتشقى ولم أكن لأُروعهم قال فما تقول فى أبى بكر وعمر قال خيرا قال فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية قال ان كانا وليّين لله فلست أعاديهما فأراغه مرات فلم يرجع فعزم على قتله فأمر باخراجه الى رحبة تعرف برحبة الزينبى فجعل الشُرط يتفادون من قتله ويروغون عنه توقيا لانه كان شاسفا عليه أثر العبادة حتى أتى المثلم بن مسروح الباهلى وكان من الشرط فتقدم فقتله فائتمر به الخوارج ليقتلوه وكان مغرما باللقاح يتبعها فيشتريها من مظانّها وهم فى تفقده فدسّوا اليه رجلا فى هيئة الفتيان عليه ردع زعفران فلقيه

بالمربد وهو يسأل عن لقحة صفي فقال له الفتى ان كنت تبلغ فعندي ما يغنيك عن غيره فامض معي فمضى المثلم على فرسه والفتى أمامه حتى أتى به بني سعد فدخل دارا وقال له ادخل على فرسك فلما دخل وتوغل في الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه في بطنه ودفناه في ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه في الليل فأصيب من الغد في المربد وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا به بني سدوس فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسيون يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات وقال ما أدري ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله فلم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس فلما واقفهم ابن زرعة الكلابي صاح بهم حريث بن حجل أههنا من باهلة أحد قالوا نعم قال يا أعداء الله أخذتم بالمثلم أربع ديات وأنا قاتله وجعلت دراهم كانت معه في بطنه وهو في موضع كذا مدفون فلما انهزموا صاروا الى الدار فأصابوا أشلاءه والدراهم ففي ذلك يقول أبو الاسود الدؤلي

آليت لا أغدو الى رب لقحة * أساومه حتى يئوب المثلم

ثم خرجت خوارج لا ذكر لهم كلهم قتل حتى انتهى الامر الى الأزارقة ومن ههنا افترقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب الاباضية وهم أصحاب عبد الله بن اباض والصفرية واختلفوا في تسميتهم فقال قوم سموا بابن صفار وقال آخرون وأكثر المتكلمين عليه هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ومنهم البيهسية وهم أصحاب أبي بيهس ومنهم الازارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي وكانوا قبل على رأي واحد لا يختلفون الا في الشيء الشاذ من الفروع كما قال صخر بن عروة اني كرهت قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لسابقته وقرابته فأما الآن فلا يسعني الا الخروج وكان اعتزل عبد الله بن وهب

يوم النهر فضلته الخوارج بامتناعه من قتال علي فكان أول أمرهم الذي نستاقه أن جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الحنفي عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه مسلم ابن عقبة يريد المدينة لوقعة الحرة فقالوا هذا ينصرف عن المدينة الى مكة ويجب علينا أن نمنع حرم الله منه ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فمضوا لذلك فكان أول أمرهم أن أبا الوازع الراسبي وكان من مجتهدي الخوارج كان يذم نفسه ويلومها على القعود وكان شاعرا وكان يفعل ذلك باصحابه فأتى نافع بن الازرق وهو في جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فأتاه أبو الوازع فقال يا نافع لقد أعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان للسانك أتحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه فقال الى أن تجمع من أصحابك من تنكي به عدوك فقال أبو الوازع

لسانك لا تنكي به القوم انما * تنال بكفيك النجاة من الكرب

فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر * عسى الله أن يخزي غوي بني حرب

ثم قال والله لا ألومك ونفسي ألوم ولأغدون غدوة لا أنثني بعدها أبدا ثم مضى فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم فشاوره في السيف فحمده فقال اشحذه فشحذه حتى اذا رضيه حكم وخبط به الصيقل وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى أتى مقبرة بني يشكر فدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر خوفا أن تجعل الخوارج قبره مهاجرا فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا وخرج في ذلك جماعة فكان ممن خرج عيسى ابن فاتك الشاعر الخطي من تيم اللات بن ثعلبة ومقتله بعد خروج الازارقة فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم فأظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة

وأهل الشام فدافعوهم الى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدّم أبا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلي وكفّر أباه وطلحة بايعناه وان تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدي علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذّل وأصحابه متفرقون عنه فقالوا انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على الصواب بايعناك وان كنت على غيره دعوناك الى الحق ما تقول في الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول في عثمان الذي أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لاهل مصر شيأ وكتب بخلافه وأوطأ آل أبي معيط رقاب الناس وآثرهم بفئ المسلمين وفي الذي بعده الذي حكّم في دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضي لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا وأخرجا عائشة تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيوتهن وكان لك في ذلك ما يدعوك الى التوبة فان أنت قلت كما نقول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ونسأل الله لك التوفيق وان أبيت الا نصر رأيك الاول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولي في السنين الست التي أحلت دمه ونقضت وأفسدت امامته خذلك الله وانتصر منك بايدينا فقال ابن الزبير ان الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول فقال لموسى ولاخيه صلى الله عليهما في فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الموتى فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول والمقيم على الشرك والجاد في المحاربة والمتبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنبا وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار الناس وان لم

يكونا منهم لم تحفظونى بسبب أبى وصاحبه وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا وقال جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا وهذا الذى دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس ينفعكم الا التوقيف والتصريح ولعمرى ان ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه فروحوا الى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله فلما كان العشى راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ لكم فجلس على رفع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان فى السنين الاوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التى أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وخبر أنه آوى الحكم بن أبى العاص باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح وأن القوم استعتبوه من أمور وكان له ان يفعلها أولا مصيبا ثم أعتبهم بعد محسنا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف أنه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الامامة وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذى لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأنا ولى وليه وعدو عدوه وأبى وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما قطعت اصبع طلحة سبقته الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذاك يوم كله أوجله لطلحة والزبير حوارى رسول الله وصفوته وقد ذكر أنهما فى الجنة وقال جل وعز لقد

رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم فان يكن ما نقموا فيه حقا فأهل ذلك هم وان يكن زلة ففي عفو الله عنهما وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضي الله عنها فان أبى آب أن تكون له أما نبذ اسم الايمان عنه قال الله جل ذكره وقوله الحق النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه وكان سبب وضع الحرب بين ابن الزبير وبين أهل الشأم بعد ان كان حصين بن نمير قد حصر ابن الزبير انه أتاهم موت يزيد بن معاوية فتوادعوا الناس وكان أهل الشأم قد ضجروا من المقام على ابن الزبير وحنقت الخوارج في قتالهم في ذلك يقول رجل من قضاعة

يا صاحبي ارتحلا ثم املسا * لا تحبسا الذي الحصين حبسا

* ان لدي الاركان ناسا بؤسا *

(قال الاخفش حفظي بأسا أبؤسا)

وبارقات يختلسن الانفسا * اذا الفتى حكم يوما كلسا

قوله ثم املسا يريد تخلصا تخلصا سهلا وكلس أي حمل وجد ولما سمع ابن الزبير للخوارج في القول وأظهر انه منهم قال رجل يقال له قيس بن همام من رهط الفرزدق

يا ابن الزبير أتهوى عصبة قتلوا * ظلما أباك ولما تنزع الشكك

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية * ما أعظم الحرمة العظمى التي انتهكوا

فقال ابن الزبير لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشأم لشايعتها الشكك جمع شكة وهي السلاح قال الشاعر

ومدجج يسعى بشكته * محمرة عيناه كالكلب

فتفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمان فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة

وكان رجاء النميرى وهو الذى كان جمعهم للمدافعة عن الحرم فكان فيمن صار الى البصرة نافع ابن الازرق الحنفى و بنو الماحوز السليطيون ورئيسهم حسان بن بحدج فلما صاروا الى البصرة نظروا فى أمورهم فأمروا عليهم نافعا ويروى أن أبا الجلد اليشكرى قال لنافع يوما يا نافع ان لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا الباب الذى أعد للخوارج فان قدرت أن لا تكون منهم فافعل فأجمع القوم على الخروج فمضى بهم نافع الى الاهواز فى سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يهيجون أحدا ويناظرهم الناس وكان سبب خروجهم الى الاهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج وضعف أمر ابن زياد فتكلم فيهم فأطلقهم فأفسدوا البيعة عليه وفشوا فى الناس يدعون الى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه حتى اضطرب على عبيد الله أمره فتحول عن دار الامارة الى الازد ونشأت الحرب بسببه بين الازد وربيعة و بين بنى تميم فاعتزلهم الخوارج الا نفرا منهم من بنى تميم معهم عبس بن طلق الصريمى أخو كهمس فانهم أعانوا قومهم فكان عبس الطعان فى سعد والرباب فى القلب بحذاء الازد وكان حارثة بن بدر اليربوعى فى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وفى ذلك يقول حارثة بن بدر للاحنف وهو صخر بن قيس

سيكفيك عبس أخو كهمس * مواقفة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو على رسلها * لكيز بن أفصى وما عددوا

لكيز هو عبد القيس

وتكفيك بكرا اذا أقبلت * بضرب يشيب له الامرد

فلما قتل مسعود بن عمرو المعنى وتكاف الناس أقام نافع بن الازرق بموضعه بالاهواز ولم يعد الى البصرة وطردوا عمال السلطان عنها وجبوا التى ولم يزالوا على رأى واحد يتولون أهل النهروان ومرداسا ومن خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم الى نافع فقال له ان أطفال المشركين

في النار وان من خالفنا مشركٌ فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وأذللت بنفسك قال له ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلني قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديّاراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفّاراً فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع انهم جميعا في النار ورأى قتلهم وقال الدار دار كفر الا من أظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم ككفار العرب لا نقبل منهم الا الاسلام أو السيف والقعَدُ بمنزلتهم والتقيّةُ لا تحل فان الله تعالى يقول اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشدّ خشية وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نجدةُ بن عامر واحتج عليه بقول الله عز وجل الا أن تتقوا منهم تُقاة وبقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فالقعَدُ منا والجهادُ اذا أمكن أفضلُ لقوله جل وعز وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ثم مضى نجدةُ بأصحابه الى اليمامة ونفر قوا في البلدان فلما تتابع نافع في رأيه وخالف أصحابُه وكان أبو طالوت سالمُ بن مطر بالخضارم في جماعة قد بايعوه فلما انعزل نجدةُ خلعوا أبا طالوت وصاروا الى نجدة فبايعوه ولقي نجدةُ وأصحابه قوماً من الخوارج بالعرمة والعرمة كالسكر وجمعها عرم وفي القرآن المجيد فأرسلنا عليهم سيل العرم وقال النابغة الجعديُّ

من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما

فقال لهم أصحاب نجدة ان نافعا قد كفّر القعَدَ ورأى الاستعراض وقتل الاطفال فانصرفوا مع نجدة فلما صار باليمامة كتب الى نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان عهدي بك وأنت لليتيم كالاب الرحيم وللضعيف كالاخ البر لا تأخذك في الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك أما تذكر قولك لولا أني أعلم أن للامام العادل مثل أجر جميع

رعيتــه ماتوليت أمر رجلين من المسلمين فلما شريت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه
وأصبت من الحق فصه وركبت مره تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك
ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت فأكفرت الذين عذرهم
الله فى كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق ليس على
الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ثم
سماهم أحسن الاسماء فقال ما على المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال الله عز ذكره ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال
فى القعد خيرا وفضل الله من جاهد عليهم ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه
أوما سمعت قوله عز وجل لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر فجعلهم الله من
المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيت ألا تؤدى الامانة الى من خالفك والله يأمر
أن تؤدى الامانات الى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا
مولود هو جاز عن والده شيأ فان الله عز ذكره بالمرصاد وحكمه العدل وقوله الفصل والسلام
فكتب اليه نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتانى كتابك تعظنى فيه وتذكرنى
وتنصح لى وتزجرنى وتصف ما كنت عليه من الحق وما كنت أوثره من الصواب وأنا أسأل
الله جل وعز أن يجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعبت على ما دنت به من
اكفار القعد وقتل الاطفال واستحلال الامانة فسأفسر لك لم ذلك ان شاء الله أما هؤلاء القعد
فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين
محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد تفقهوا فى
الدين وقرؤا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم
اذ قالوا كنا مستضعفين فى الارض فقيل لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم فخبر
بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم فانظر الى
أسمائهم وسماتهم وأما أمر الاطفال فان نبي الله نوحا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة
مني ومنك فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا
١ يلدوا الا فاجرا كفارا فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم
نوح ولا نكون نقوله في قومنا والله يقول أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وهؤلاء
كمشركي العرب لا نقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم الا السيف أو الاسلام وأما استحلال
أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق
وأموالهم فيء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا
والقعود عنا وترك ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا والسلام على من أقر بالحق وعمل
به وكتب نافع الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره أما بعد فاني أحذرك من الله يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم
الله نفسه فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين فان الله يقول لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء وقد حضرت عثمان يوم قتل فلعمري
لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر
من يتولاه وينصره ويعضده ولقد علمت أن أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه
وكانوا في أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان وكيف ولاية قاتل
متعمد ومقتول في دين واحد ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى
الأحكام مجاريها وأعطى الامور حقائقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعاه ظالمين له
وان القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس ان يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له

كان مؤمنا أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ولئن كان كافرا كما زعمتم وفى الحكم جائرا لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوا ولسيرته عائبا فكيف توليتموه بعد موته فاتقوا الله فانه يقول ومن يتولهم منكم فانه منهم وكتب نافع الى من بالبصرة من المحكمة بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون والله انكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد ندبكم الله الى الجهاد فقال وقاتلوا المشركين كافة ولم يجعل لكم فى التخلف عذرا فى حال من الحال فقال انفروا خفافا وثقالا وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت اقامته لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكارة لذتها نافدة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغترارا وأظهرت حبرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة تسره ولا شارب شربة تؤنقه الا دنا بها درجة الى أجله وتباعد بها مسافة من أمله وانما جعلها الله دارا لمن تزود منها الى النعيم المقيم والعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حليم بها قرارا فاتقوا الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى فورد كتابه عليهم وفى القوم يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعى وعبد الله بن اباض المرى من بنى مرة بن عبيد فأقبل أبو بيهس على ابن اباض فقال ان نافعا غلا فكفر وانك قصرت فكفرت تزعم ان من خالفنا ليس بمشرك وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول وتزعم أن مناكحهم ومواريثهم والاقامة فيهم حل طلق وأنا أقول ان أعداءنا كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل لنا الاقامة فيهم كما فعل المسلمون فى اقامتهم بمكة وأحكام المشركين تجرى فيها وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لانهم منافقون يظهرون الاسلام وان حكمهم عند الله حكم

المشركين فصاروا في هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع في البراءة والاستعراض واستحلال الامانة وقتل الاطفال وقول أبي بيهس الذي ذكرناه وقول عبد الله بن اباض وهو أقرب الاقاويل الى السُّنَّة من أقاويل الضُّلَّال والصُّفرية والنجدية في ذلك الوقت يقولون بقول ابن اباض وقد قال ابن اباض ما ذكرنا من مقالته وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني لا أُحرّم مناكحتهم ومواريثهم لان معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول عليه السلام فأرى معهم دعوة المسلمين تجمعهم وأراهم كفار النعم وقالت الصفرية ألين من هذا القول في أمر القَعَد حتى صار عامتهم قَعَدًا واختلفوا فيهم وقد ذكرنا ذلك فقال قوم سُمّوا صُفرية لانهم أصحاب ابن صفّار وقال قوم انما سُمّوا بصُفرة علتهم ونصديق ذلك قول ابن عاصم الليثي وكان يرى رأي الخوارج فتركه وصار مرجئا

فارقتُ نجدةَ والذين تزرّقوا * وابنَ الزبير وشيعةَ الكذّاب
والصُّفرَ الاذانِ الذين تخيّروا * دينا بلا ثقـــة ولا بكتاب

خفّف الهمزة من الآذان ولولا ذلك لانكسر الشعر وقال أبو بيهس الدار دار كفر والاستعراض فيها جائز وان أُصيب من الاطفال فلا حرج الى ههنا انتهت المقالة ۞ وتفرقت الخوارج على الاضرب الاربعة التي ذكرنا وأقام نافع بالاهواز يعترض الناس ويقتل الاطفال فاذا أُجيب الى المقالة جبا الخراج وفشا عماله في السواد فارتاع لذلك أهل البصرة فاجتمعوا الى الاحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا ليس بيننا وبين العدو الا ليلتان وسيرتهم ما ترى فقال الاحنف ان فعلهم في مصركم ان ظفروا به كفعلهم في سوادكم فجدّوا في جهاد عدوكم فاجتمع اليه عشرة آلاف فأتى عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطّلب وهو ببّة فسأله أن يؤمّر عليهم فاختار لهم ابن عُبيس بن كُريز وكان دينا شجاعا فأمّره عليهم وشيّعه فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال اني ما خرجت لامتيار ذهب

ولا فضة وانى لا حارب قوما ان ظفرتُ بهم فما وراءهم الا سيوفهم ورماحهم فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع فاقتتلوا اقتتالا شديدا حتى تكسرت الرماحُ وعقرت الخيلُ وكثرت الجراحُ والقتلُ وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل فى المعركة ابن عُبيس ونافع بن الازرق وكان ابن عبيس تقدم الى أصحابه فقال ان أُصبتُ فأميركم الربيع بن عمرو الاجذم الغدانى فلما أُصيب ابن عبيس أخذ الربيعُ الراية وكان نافع قد استخلف عُبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطى فكان الرئيسان من بنى يربوع رئيسُ المسلمين من بنى غُدانة بن يربوع ورئيس الخوارج من بنى سليط بن يربوع فاقتتلوا اقتتالا شديدا وادّعى قتل نافع سلامةُ الباهليُّ وقال لما قتلتُه وكنتُ على برذون ورد اذا برجل على فرس وأنا واقف فى خُمس قيس ينادى يا صاحب الورد هلمّ الى المبارزة فوقفتُ فى خُمس بنى تميم فاذا به يعرضها علىّ وجعلت أتنقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى فصرتُ الى رحلى ثم رجعتُ فرآنى فدعانى الى المبارزة فلما أكثر خرجتُ اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته فنزلتُ لسلبه وأخذ رأسه فاذا امرأة قد رأتنى حين قتلتُ نافعا فخرجت لتثأر به فلم يزل الربيعُ الاجذم يقاتلهم نيفا وعشرين يوما حتى قال يوما أنا مقتولٌ لا محالة قالوا وكيف قال لانى رأيت البارحة كأن يدى التى أُصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتنى فلما كان الغدُ قاتل الى الليل ثم غاداهم فقُتل فتدافع أهلُ البصرة الراية حتى خافوا العَطب اذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميرى فأباها فقيل له ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة وقد اختاروك من بينهم فقال مشؤومةٌ ما يأخذها أحد الا قُتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب والخوارج أعدّ بالآلات والدروع والجواشن فالتقى الحجاجُ بن باب وعمرانُ بن الحرث الراسبيُّ وذلك بعد أن اقتتلوا زُهاء شهر فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه

اللهُ أيّد عمرانا وطهّره * وكان عمران يدعو الله فى السحر

يدعوه سرّا وإعلانا ليرزقه * شهادة بيدى ملحادة غُدر

ولّى صحابته عن حرّ ملحمة * وشدّ عمرانُ كالضرغامة الهصر

قول الربيع استشلتنى أى أخذتنى اليها واستنقذتنى يقال استشلاه واشتلاه وفى الحديث ان السارق اذا قُطع سبقته يده الى النار فان تاب استشلاها قال رؤبة

* ان سليمان اشتلانا ابن علي * وقول الناس أشليتُ كلبى أى أغريتُهُ بالصيد خطأ انما يقال آسدته وأشليته دعوتهُ وقولها بيدى ملحادة مفعال من الالحاد كما تقول رجل معطاء يافتى ومحسان ومكرام وأُدخلت الهاء للمبالغة كما تدخل فى راوية وعلامة ونسابة وغُدر فُعَل من الغدر ولفُعَل باب نذكره فى عقب هذه القصة اذا فرغنا من خبر هذه الوقعة والضرغامة من أسماء الاسد والهصر الذى يهصر كل شئ أى يثنيه قال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذى شماريخ ميّال

ولذكرنا الصفرية والازارقة والبيهسية والاباضية تفسير لم نُسب الى ابن الازرق بالازارقة والى أبى بيهس بالكنية المضاف اليها ونُسبت الى صُفر ولم يُنسب الى واحد هم ونُسب الى ابن اباض فجُعل النسبُ الى أبيه وهذا نذكره بعد باب فُعَل ﴿و﴾ ومما قيل من الشعر فى يوم دُولاب قول قطرىّ

لعمرك انى فى الحياة لزاهد * وفى العيش مالم ألق أُمّ حكيم

من الخفرات البيض لم يُر مثلها * شفاء لذى بثّ ولا لسقيم

لعمرك انى يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جِدّ لئيم

ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت * طعان فتى فى الحرب غير ذميم

غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعُجنا صدور الخيل نحو تميم

وكان لعبد القيس أول جدها * وأحلافها من يحصب وسليم
وظلت شيوخ الأزد في حومة الوغى * تعوم وظلنا في الجلاد نعوم
فلم أر يوما كان أكثر مقعصا * يمج دما من فائظ وكليم
وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

قوله ولو شهدتنا يوم دولاب فلم ينصرف دولاب فانما ذاك لانه أراد البلدة ودولاب أعجمي معرب وكل ما كان من أسماء الاعجمية نكرة بغير الالف واللام فاذا دخلته الالف واللام فقد صار معربا وصار على قياس الاسماء العربية لا يمنعه من الصرف الا ما يمنع العربي فدولاب فوعال مثل طومار وسولاف وكل شيء لا يخص واحدا من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل لان هذا الاسم يلحق كل ما كان على بنيته وكذلك جمل وجبل وما أشبه ذلك فان وقع الاسم في كلام العجم معرفة فلا سبيل الى ادخال الالف واللام عليه لانه معرفة فلا معنى لتعريف آخر فيه فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون وكذلك اسحق وابراهيم ويعقوب وقوله غداة طفت علماء بكر بن وائل وهو يريد على الماء فان العرب اذا التقت في مثل هذا الموضع لامان استجازوا حذف احداهما استثقالا للتضعيف لان ما بقي دليل على ما حذف يقولون علماء بنو فلان كما قال الفرزدق

وما سبق القيسي من ضعف حيلة * ولكن طفت علماء قلفة خالد

وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك بنو لقرب مخرج النون من اللام وذلك قولك فلان من بلحرث وبلعنبر وبلهجيم

وقال آخر من الخوارج

برى مَن جاء لينظر من دُجَيْلٍ * شيوخَ الأَزْدِ طافيةً لحاها

وقال رجل منهم

شمت ابن بدر والحوادث جمّةٌ * والجائرون بنافع بن الأزرق

والموتُ حتمٌ لامحالة واقعٌ * من لا يصبحه نهاراً يطرق

فلئن أميرَ المؤمنين أصابه * ريبُ المنون فمن يصبه يغلق

نصب بعد ان لان حرف الجزاء للفعل فانما أراد فلئن أصاب أمير المؤمنين فلما حذف هذا الفعل وأضمر ذكر أصابه ليدل عليه ومثله قول النمر بن تولب

لا تجزعي ان منفساً أهلكته * واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

وقال ذو الرمة

اذا ابن أبي موسى بلالاً بلغته * فقام بفأس بين وصليك جازر

لان اذا لا يليها الا الفعل وهي به أولى

﴿ ٥١ ﴾ ﴿هذا باب فُعَل﴾

اعلم ان كل اسم على مثال فُعَل فهو مصروف في المعرفة والنكرة اذا كان اسماً أصلياً أو نعتاً فالاسماء نحو صُرَد ونُغَر وجُعَل وكذلك ان كان جمعاً نحو ظُلَم وغُرَف وان سميت بشيء من هذا رجلا انصرف في المعرفة والنكرة وأما النعت فنحو رجل حُطَم كما قال

* قد لفها الليل بسواق حطم * وكذلك مال لُبَد وهو الكثير من قوله جل جلاله أهلكت مالاً لُبَداً فان كان الاسم على فُعَل معدولا عن فاعل لم ينصرف اذا كان اسم رجل في المعرفة وينصرف في النكرة وذلك نحو عُمَر وقُثَم لانه معدول عن عامر وهو الاسم الجاري على الفعل

فهذا اسما معرفته قبل نكرته فاذا أريد به مذهب المعرفة جاز أن تبنيه فى النداء من كل فَعَلٍ لان المنادى مشار اليه وذلك قولك يا فُسَقُ ويا خُبَثُ تريد يا فاسق ويا خبيث واغا قالت بيدى ملمادة غُدَرٍ فى غير النداء للضرورة فنقلته معرفةً من النداء ثم جعلته نكرة لخروجه عن الاشارة فنعتت به ملمادةً كما قال الحطيئة

أُجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوِي * الى بيتٍ قعيدتُهُ لَكَاعِ

وهذا لا يقع الا فى النداء ولكن الشاعر نقله نكرةً ونقله معرفةً على حدّ ما كان له فى النداء فيلحق قولها غُدَرٌ بقوله رجل حُطَمٌ ومال لُبَدٌ وما أشبهه وفَعَالِ فى المؤنث بمنزلة فُعَلَ فى المذكر ولو سميت رجلا حُطَماً لصرفته من قولك هذا اسانٌ حُطَمٌ لانه قد وقع نكرة غير معدول فهو فى النعوت بمنزلة صُرَدٍ فى الاسماء

٥٢ ﴿هذا باب النسب الى المضاف﴾

اعلم انك اذا نسبت الى عَلَمٍ مضاف فالوجهُ أن تنسب الى الاسم الاول وذلك قولك فى عبد القَيس عَبدِيٌّ وكذلك فى عبد الله بن دارم فان كان الاسم الثانى أشهر من الاول جاز النسب اليه لئلا يقع فى النسب التباسُ من اسم باسم وذلك قولك فى النسب الى عَبْدِ مَنافٍ مَنافيٌّ والى أبى بكر بن كلاب بَكْرِيٌّ وقد يجوز وهو قليل أن تبنى له من الاسمين اسما على مثال الاربعة لينتظم النسبُ وذلك قولك فى النسب الى عبد الدار بن قُصَيٍّ عَبْدَرِيٌّ وفى النسب الى عبد القيس عَبْقَسِيٌّ فان كان المضاف غير عَلَمٍ فالنسب الى الثانى على كل حال وذلك قولك فى النسب الى ابن الزبير زُبَيرِيٌّ لان ابن الزبير انما صار معرفة بالزبير وكذلك النسب الى ابن رَأْلان رَأْلانيٌّ فلذلك قالوا فى النسب الى ابن الازرق أزرقيٌّ والى أبى بيهس بيهسيٌّ فأما قولهم صُفْرِيٌّ فانما أرادوا الصُّفْرَ الالوان فنسبوا الى الجماعة وحقُّ الجماعة اذا نُسب اليها أن يقع النسب الى

واحدها كقولك مهلبي ومسمعي ولكن جعلوا سفراسما للجماعة ثم نسبوا اليه ولم يقولوا أصفري فينسب الى واحدها وانما كان ذلك لانهم جعلوا الصفر اسما للجماعة كما تسمى القبيلة بالاسم الواحد الا ترى أن النسب الى الانصار أنصاري لانه كان علما للقبيلة وكذلك مدائني وتقول في النسب الى الأبناء من بني سعد أبناوي لانه اسم للجماعة فأما قولهم الأزارقة فهذا باب من النسب آخر وهو أن يسمى كل واحد منهم باسم الاب اذا كانوا اليه ينسبون ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ويقولون جاءني النميرون والاشعرون جعل كل واحد منهم نميرا وأشعر فهذا يتصل في القبائل على ماذكرت لك وقد تنسب الجماعة الى الواحد على رأى أو دين فيكون له مثل نسب الولادة كما قالوا أزرقي لمن كان على رأى ابن الازرق كما تقول تميمي وقيسي لمن ولده تميم وقيس ومن قرأ سلام على الياسين فانما يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه كما قال * قدني من نصر الخبيبين قدى * يريد أبا خبيب ومن معه وقد يجتمع الرجل مع الرجل في التثنية اذا كان مجازهما واحدا في أكثر الامر على لفظ أحدهما فمن ذلك قولهم العمران لابي بكر وعمر رضى الله عنهما ومن ذلك قولهم الخبيبان لعبد الله ومصعب وقد مضى تفسيره ۞ عاد القول في الخوارج قال والازارقة لا تكفر أحدا من أهل مقالتها في دار الهجرة الا القاتل رجلا مسلما فانهم يقولون المسلم حجة الله والقاتل قصد لقطع الحجة ويروى أن نافعا مر بمالك بن مسمع في الحرب التي كانت بين الازد وربيعة وبني تميم ونافع متقلد سيفا فقام اليه مالك فضرب بيده الى حمالة سيفه وقال ألا تنصرنا في حربنا هذه فقال لا يحل لي قال فبال مؤمني بني تميم ينصرون كفارهم في هذه الحرب فأمسك عنه وخرج بعد ذلك بأيام الى الأهواز فلما قتل من قتل ممن يختار من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بقية القتال وأقام حارثة بن بدر الغداني بازاء الخوارج يناوشهم على غير ولاية وكان يقول ما عذرنا عند اخواننا من أهل البصرة ان وصل اليهم الخوارج ونحن

دونهم فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير يخبرونه بقعود بة ويسألونه أن يولي واليا فكتب الى أنس بن مالك أن يصلي بالناس فصلى بهم أربعين يوما وكتب الى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة فلقيه الكتاب وهو يريد الحج وهو في بعض الطريق فرجع فأقام بالبصرة وولى أخاه عثمان محاربة الازارقة فخرج اليهم في اثني عشر ألفا ولقيه حارثة فيمن كان معه وعبيد الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الاهواز فلما عبروا اليهم دجيلا نهض اليهم الخوارج وذلك قبيل الظهر فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر أما الخوارج الا ما أرى فقال له حارثة حسبك بهؤلاء فقال لا جرم والله لا أتغدى حتى أناجزهم فقال له حارثة ان هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فأبق على نفسك وجندك فقال أبيتم أهل العراق الا جبنا وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب أنت والله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب فغضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه الى ان غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخذ حارثة الراية وصاح بالناس أنا حارثة بن بدر فثاب اليه قومه فعبر بهم دجيلا وبلغ قتل عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع أحد بني مخزوم وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر فقدم البصرة فكتب اليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد فأراد أن يوليه فقال له رجل من بكر بن وائل ان حارثة ليس بذلك انما هو صاحب شراب وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر * يصلي وهو أكفر من حمار
ألم تر أن للفتيان حظا * وحظك في البغايا والقمار

فكتب اليه القباع تكفى حربهم ان شاء الله فأقام حارثة يدافعهم فقال شاعر من بني تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر

مَضَى ابنُ عيَيس صابرًا غيرَ عاجزٍ * وأعقبَنا هذا الحجازيُّ عثمانُ
فأرعدَ من قبلِ اللقاءِ ابنُ معمرٍ * وأبرقَ والبرقُ اليمانيُّ خوّانُ
فضحتَ قريشًا غثَّها وسمينَها * وقيلَ بنو تيمِ بن مُرّةَ عُزلانُ
فلولا ابنُ بدرٍ للعراقَيْنِ لم يقمْ * بما قام فيه للعراقَيْنِ انسانُ
اذا قيلَ من حامي الحقيقةِ أومأت * اليه معدٌّ بالأنوف وقحطانُ

قوله فأرعد زعم الاصمعى أنه خطأ وأن الكُمَيتَ أخطأ فى قوله

أَرعِدْ وأبرِقْ يا يزيـ ـدُ فما وعيدُكَ لى بضائرْ

وزعم أن هذا البيت الذى يروى لمُهَلهِل مصنوعٌ مُحدَثٌ وهو قوله

أنبَضوا مَعجِسَ القِسيِّ وأبرقـ ـنا كما تُرعِدُ الفُحولُ الفُحولا

وانه لا يقال الا رَعَدَ وبَرَقَ اذا أوعد وتهدد وهو يَرعُدُ ويَبرُقُ وكذا يقال رَعَدَت السماء وبَرَقَت وأرعَدْنا نحن وأبرَقْنا اذا دخلنا فى الرَّعْدِ والبَرْقِ قال الشاعر

* فقُلْ لأبى قابوسَ ما شئتَ فارعُدِ * وروى غير الاصمعى أرعَدَ وأبرَقَ على ضُعف وقوله والبرقُ اليمانىّ خوّان يريد والبرقُ اليمانىُّ يخونُ وأجود النسب الى اليمن يَمَنيٌّ ويجوز يَمانٍ بتخفيف الياء وهو حسن وهو فى أكثر الكلام تكون الالف عوضا من احدى الياءين ويجوز يمانيٌّ فاعلم تكونُ الالفُ زائدةً وتُشدَّدُ الياء قال العباس بن عبد المطّلب

ضربناهم ضَربَ الاحامسِ غُدوةً * بكلِّ يمانيٍّ اذا هُزَّ صَمَّما

ثم ان حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى فعبرت اليه الخوارج فهرب وأصحابه يركُضُ حتى أتى دجيلا فجلس فى سفينة واتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه وأتاه رجل من بنى تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه وقد توسّط حارثة فصاح به يا حارثَ ليس مثلى يُضيَّع فقال للملاح قرِّبْ فقرَّبَ الى جُرُفٍ ولا فُرضةَ هنالك فطفر بسلاحه فى السفينة فساخت بالقوم

جميعا وأقام ابن الماحوز يجبي كور الاهواز ثلاثة أشهر ثم وجه الزبير بن علي نحو البصرة فضج الناس الى الاحنف فأتى القباع فقال أصلح الله الامير ان هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق الا ان يحصرنا في بلدنا حتى نموت هزلا قال فسموا رجلا فقال الاحنف الرأى لا يخيل ما أرى لها الا المهلب بن أبي صفرة فقال أو هذا رأى جميع أهل البصرة اجتمعوا الى في غد وجاء الزبير حتى نزل الفرات وعقد الجسر ليعبر الى ناحية البصرة فخرج أكثر أهل البصرة اليه وقد اجتمع للخوارج أهل الاهواز وكورها رغبة ورهبة فأتاه البصريون في السفن وعلى الدواب ورجالة فاسودت بهم الارض فقال الزبير لما رآهم أبى قومنا الا كفرا فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات بازائهم واجتمع الناس عند القباع وخافوا الخوارج خوفا شديدا وكانوا ثلاث فرق فسمى قوم المهلب وسمى قوم مالك بن مسمع وسمى قوم زياد بن عمرو بن الاشرف العتكي فصرفهم ثم اختبر ما عند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذلك وعاد اليه من أشار بهما وقالوا قد رجعنا عن رأينا ما ترى لها الا المهلب فوجه الحرث اليه فأتاه فقال له يا أبا سعيد قد ترى ما رهقنا من هذا العدو وقد اجتمع أهل مصرك عليك وقال الاحنف يا أبا سعيد انا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نر من يقوم مقامك فقال له الحرث وأومأ الى الاحنف ان هذا الشيخ لم يسمك الا ايثارا للدين وكل من في مصرك ماددة عينه اليك راج أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك فقال المهلب لا حول ولا قوة الا بالله انى عند نفسي لدون ما وصفتم ولست آبيا ما دعوتم اليه على شروط أشترطها قال الاحنف قل قال على أن أنتخب من أحببت قال ذلك لك قال ولى امرة كل بلد أغلب عليه قال وذلك لك قال ولى فيء كل بلد أظفر به قال الاحنف ليس ذلك لك ولا لنا انما هو فيء المسلمين فان سلبتهم اياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك ان تعطى أصحابك من فيء كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب فمن لي بذلك قال

الاحنف نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال قد قبلت فكتبوا بذلك كتابا ووضع على يدي الصلت بن حريث بن جابر الحنفي وانتخب المهلب من جميع الاخماس فبلغت نخبته اثني عشر ألفا ونظروا ما في بيت المال فلم يكن الا مائتي ألف درهم فعجزت فبعث المهلب الى التجار ان تجارتكم مذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الاهواز وفارس عنكم فهلم فبايعوني واخرجوا معي أوفكم ان شاء الله حقوقكم فتاجروه فأخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لاصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى اذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور الى الفرات وأمّر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشاطئ خاضت اليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا فصار هو وأصحابه على الشاطئ فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبروا والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففي ذلك يقول شاعر من الأزد

ان العراق وأهله لم يخبروا * مثل المهلب في الحروب فسلّموا
أمضى وأيمن في اللقاء نقيبة * وأقل تهليلا اذا ما أحجموا

التهليل التكذيب والانهزام وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبري وكان من فرسان بني تميم وشجعانهم فقال عطية

يدعى رجال للعطاء وانما * يدعى عطية للطعان الاجرد

وقال الشاعر

وما فارس الا عطية فوقه * اذا الحرب أبدت عن نواجذها الفما
به هزم الله الازارق بعدما * أباحوا من المصرين حلا ومحرما

فأقام المهلب أربعين يوما يجبي الخراج بكور دجلة والخوارج بنهر تيرى والزبير بن علي منفرد

بعسكره من عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه فأسرع اليه الناس
رغبة فى مجاهدة الخوارج ولما فى الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الازدى
وعبد الله بن رياح ومعاوية بن قرة المزنى وكان يقول يعنى معاوية لو جاء الديلم من ههنا
والحرورية من ههنا لحاربت الحرورية وأبو عمران الجونى وكان يقول كان كعب يقول
قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار ثم نهض المهلب اليهم الى نهر تيرى فتنحوا
عنه الى الاهواز وأقام المهلب يجبى ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر
الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن فى عسكرهم فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد
فخطب المهلب الناس فذكر من هناك وقال للناس أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم فلم يزل
مقيما حتى فهمهم وأحكم أمره وقوى أصحابه وكثرت الفرسان فى عسكره وتتام اليه زهاء
عشرين ألفا ثم مضى يؤم سوق الاهواز فاستخلف أخاه المعارك بن أبى صفرة على نهر
تيرى وفى مقدمته المغيرة بن المهلب حتى قاربهم المغيرة فناوشوه فانكشف عنه بعض أصحابه
وثبت المغيرة بقية يومه وليلته يوقد النيران ثم غاداهم القتال فاذا القوم قد أوقدوا النيران
فى ثقل متاعهم وارتحلوا عن سوق الاهواز فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب
فأقام بسوق الاهواز وكتب بذلك الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة كتابا يقول فيه بسم
الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا مذ خرجنا نؤم هذا العدو فى نعم من الله متصلة علينا ونقمة
من الله متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون الى ان حللنا سوق الاهواز والحمد لله
رب العالمين الذى من عنده النصر وهو العزيز الحكيم فكتب اليه الحرث هنيأ لك أخا
الازد الشرف فى الدنيا والذخر فى الآخرة ان شاء الله فقال المهلب لاصحابه ما أجفى أهل
الحجاز أما ترونه يعرف اسمى واسم أبى وكنيتى وكان المهلب يبث الاحراس فى الامن كما يبثهم
فى الخوف ويذكى العيون فى الامصار كما يذكيها فى الصحارى ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم

البيات وان بعد منهم العدو يقول احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا هزمنا وغلبنا فان القوم خائفون وجلون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قام فيهم خطيبا فقال يا أيها الناس انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم ان قدروا عليكم فتنوكم في دينكم وسفكوا دماءكم فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله والمعصي المخالف حارثة ابن بدر فقتلوا جميعا وقتلوا فالقوهم بجد وحد فانما هم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص في أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤا حريمكم ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى فوجه عبيد الله بن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل أبي صفرة من سبي الجاهلية في خمسين رجلا فيهم صالح بن مخراق الى نهر تيرى وبها المعارك ابن أبي صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى الخبر الى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى وقد خرج واقد منها فاستنزله ودفنه وسكن الناس واستخلف بها ورجع الى أبيه وقد حل بسولاف والخوارج بها فواقعهم وحمل على بني تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبد الرحمن الاسكاف فجعل يحض الناس وهو على فرس له صفراء فجعل يأتي الميمنة والميسرة والقلب فيحض الناس ويهون أمر الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل من الخوارج لاصحابه يا معشر المهاجرين هل لكم في فتكة فيها أريحية فحمل جماعة منهم على الاسكاف فقاتلهم وحده فارسا ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وباركا ثم كثرت به الجراحات فذبب بسيفه وجعل يحثو التراب في وجوههم والمهلب غير حاضر ثم قتل رحمه الله وحضر المهلب فأخبر فقال للحريش وعطية العنبري أأسلمتما سيد أهل العسكر لم تعيناه ولم تستنقذاه حسدا له لانه رجل من الموالي ووبخهما وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر فانهزم

الناس وقتلوا سبعين رجلا وثبت المهلب وأبلى المغيرة يومئذ وعرف مكانه ويقال حاص المهلب يومئذ حيصة وتقول الازد بل كان يرد المنهزمة ويحمي أدبارهم فقال رجل من بني منقر بن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

بسولاف أضعت دماء قومي * وطرت على مواشكة درور

قوله مواشكة يريد سريعة ويقال نحن على وشك رحيل ويقال ذميل مواشك اذا كان سريعا قال ذو الرمة

اذا مار مينا رمية في مفازة * عراقيبها بالشيظمي المواشك

ودرور فعول من در الشيء اذا تتابع وقال رجل من بني تميم آخر

تبعنا الاعور الكذاب طوعا * يزجي كل أربعة حمارا

فيا ندمي على تركي عطائي * معاينة وأطلبه ضمارا

اذا الرحمن يسر لي قفولا * تحرق في قرى سولاف نارا

قوله الاعور الكذاب يعني المهلب ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها وقال الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل فخذل عنا فانما الحرب خدعة وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهما سيدا الحيين الخزرج والاوس ائتيا بني قريظة فان كانوا على العهد فأعلنا بذلك وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا الي لحنا أعرفه ولا تفتا في أعضاد المسلمين فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله عضل والقارة فقال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبشروا فان الامر ما تحبون (قال الاخفش سألت المبرد عن قولهما عضل والقارة فقال هذان حيان كانا في نهاية

العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرادانهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين) قال أبو العباس فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ويضعف من أمر الخوارج فكان حيّ من الأزد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب راجعا اليهم قالوا قد راح المهلب ليكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

فبات المهلب فى ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار فى أربعة آلاف فخطب أصحابه فقال والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم الا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع فان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فسيروا الى عدوكم على بركة الله فقام اليه الحريش بن هلال فقال أنشدك الله أيها الأمير أن تقاتلهم الا ان يقاتلوك فان بالقوم جراحا وقد أثخنتهم هذه الجولة فقبل منه ومضى المهلب فى عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم ير منهم أحدا يتحرك فقال له الحريش ارتحل عن هذا الموضع فارتحل فعبر دجيلا وصار الى عاقول لا يؤتى الا من وجه واحد فأقام به واستراح الناس ثلاثا وقال ابن قيس الرقيات

ألا طرقت من آل بيبة طارقه * على أنها معشوقة الدل عاشقه

تبيت وأرض السوس بينى وبينها * وسولاف رستاق حمته الأزارقه

اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة * حرورية أضحت من الدين مارقه

أجازت الينا العسكرين كليهما * فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقد ذكرنا الضمار ومعناه الغائب وأصله من قولك أضمرت الشئ أي أخفيته عنك ويقال مال عين للحاضر ومال ضمار للغائب قال الأعشى

ومن لا تضيع له ذمة * فيجعلها بعد عين ضمارا

وقال أيضا

ترانا اذا أضمرتك البلاد * نُجفى وتُقطع منا الرحم

والفعل من هذا أضمر يضمر والمفعول به مضمر والفاعل مضمر والضمار اسم للفعل في معنى الاضمار وأسماء الافعال تشرك المصادر في معانيها تقول أعطيته عطاء فيشرك العطاء الاعطاء في معناه ويسمى به المفعول وتقول كلمته تكليما وكلاما في معناه والمصدر ينعت به الفاعل في قولك رجل عدل ورجل كرم ورجل نوم ويوم غم وغيم وينعت به المفعول في قولك رجل رضا وهذا درهم ضرب الامير وجاء في الخلق تعني المخلوقين وقال رجل من الخوارج في ذلك اليوم

وكائن تركنا يوم سولاف منهم * أسارى وقتلى في الجحيم مصيرها

قوله وكائن معناه كم وأصله كاف التشبيه دخلت على أي فصارتا بمنزلة كم ونظير ذلك له كذا وكذا درهما انما هي ذا دخلت عليها الكاف والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فاذا قال له كذا كذا درهما فهو كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لانه ضم العددين فاذا قال كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ما جاز فيه العطف بعده ولكن كثرت كأيّ فخففت والتثقيل الاصل قال الله تعالى وكأيّ من قرية أمليت لها وهي ظالمة وكأيّ من نبي قاتل معه ربيون كثير وقد قرئ بالتخفيف كما قال الشاعر

وكائن رددنا عنكم من مدجج * يجيء أمام الالف يردي مقنعا

وقال آخر

وكائن ترى يوم الغميصاء من فتى * أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

قال أبو العباس وهذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف وذلك الاصل وبعض العرب يقلب فيقول كيء يا فتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال قال الشاعر

وكيء في بني دودان منهم * غداة الروع معروفا كميّ

فاقام المهلب في ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارج بسلّى وسلّبرى (قال الاخفش سلّى وسلّبرى بفتح السين فيهما موضعان بالاهواز وسِلّى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت

كأنّ غديرهم بجنوب سِلّى * نعامٌ قاقَ في بلدٍ قفارِ)

فنزل قريبا منهم فقال ابن الماحوز لاصحابه ما تنتظرون بعدوّكم وقد هزمتموهم بالامس وكسرتم حدّهم فقال له وافدٌ مولى أبي صُفرة يا أمير المؤمنين انما تفرّق عنهم أهلُ الضعف والجُبن وبقي أهل النجدة والقوة فان أصبتهم لم يكن ظفرا هنيا لاني أراهم لا يُصابون حتى يُصيبوا فان غلبوا ذهب الدين فقال أصحابه نافَقَ وافدٌ فقال ابن الماحوز لا تعجلوا على أخيكم فانه انما قال هذا نظرا لكم ثم توجّه الزبير بن علي الى عسكر المهلب لينظر ما حالُهم فأتاهم في مائتين فحزرهم ورجع وأمر المهلبُ أصحابه بالتحارس حتى اذا أصبح ركب اليهم على تعبية صحيحة فالتقوا بسلّى وسلّبرى فتصافّوا فخرج من الخوارج مائةُ فارس فركزوا رماحهم بين الصفّين واتكئوا عليها وأخرج اليهم المهلبُ عدادَهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يريمون الا لصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم الى معسكرهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ثم ان الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسانُ يجولون ساعةً ثم ان رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلبُ فطعنه فحمل الخوارجُ باجمعهم كما صنعوا يوم سُولاف فضعضعوا الناس وفُقد المهلب وثبت المغيرة في جمع أكثرهم أهلُ عُمان ثم نجم المهلبُ في مائة فارس وقد انغمست كفّاه في الدم وعلى رأسه قلنسوةٌ مربعةٌ فوق المغفر محشوّةٌ قزّا وقد تمزّقت وان حشوها ليتطاير وهو يلهث وذلك في وقت الظهر فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل في الفريقين فلما كان الغدُ غاداهم وقد كان وجّه بالامس رجلا من طاحية بن سُود ابن مالك بن فهم بن الأزد يردّ المنهزمين فمرّ به عامرُ بن مسمع فرده فقال ان الامير أذن لي فبعث

الى المهلب فأعلمه فقال دعه فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجبن والضعف وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف وقال لاصحابه ما بكم من قلة أيعجز أحدكم أن يرمى برمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عياش وقال المهلب لاصحابه أعدوا مخالى فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فانها تصد الفارس وتصرع الراجل ففعلوا ثم أمر مناديا ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجد والصبر ويطمعهم فى العدو ففعل حتى مر ببنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فضربوه فدعا المهلب بسيدهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركله برجله وهذا معروف فى الازد فقال أصلح الله الامير أعفنى من أم كيسان والركبة تسميها الازد أم كيسان ثم حمل المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج فنادى مناديهم ألا ان المهلب قد قتل فركب المهلب برذونا قصيرا أشهب وأقبل يركض بين الصفين وان احدى يديه لفى القباء وما يشعر بها وهو يصيح أنا المهلب فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل وكل الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدم ففعل وصاح بذكوان مولاه قدم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده انك تغرر بنفسك فذمره ثم صاح يا بنى تميم آمركم فتعصوننى فتقدم وتقدم الناس واجتلدوا أشد جلاد حتى اذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله فقال لاصحابه ابغونى رجلا جلدا يطوف فى القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا انا لم نر رجلا قط أشد منه فجعل يطوف ومعه النيران فجعل اذا مر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة فأجهز عليه واذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله وأقام المهلب فى عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى اذا كان نصف الليل وجه رجلا من اليحمد (قال الاخفش اليحمد من الازد والخليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد والفرهود فى الاصل الحمل فان نسبت الى الحى قلت فراهيدى وان نسبت الى الحملان قلت فرهودى لا غير) فى عشرة فصاروا الى عسكر

الخوارج فإذا القوم قد مضوا إلى أرّجان فرجع إلى المهلب فأعلمه فقال أنا أنهم الساعة أشدّ خوفاً فاحذروا البياتَ قال أبو العباس ويروى عن شُعْبَةَ بن الحجاج أن المهلب قال لأصحابه يوماً إن هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم إلا من جهة البيات فإن كان ذلك فاجعلوا شعاركم حم لا ينصرون فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ويُرْوَى أنه كان شعارَ أصحاب علي بن أبي طالب صلواتُ الله عليه فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب ابنَ الماحوز فيهم ففي ذلك يقول رجل من الخوارج

بِسِلّى وسِلّبرى مَصارعُ فتيةٍ * كرامٍ وجرحى لم تُوَسَّدْ خدودُها

وقال آخر

بسلّى وسلّبرى مصارعُ فتيةٍ * كرامٍ وعَقْرَى من كُمَيتٍ ومن وَرْدِ

وقال رجل من موالي المهلب لقد صرعتُ يومئذٍ بحجرٍ واحدٍ ثلاثةً رميت به رجلاً فأصبتُ أصلَ أذنه فصرعته ثم أخذتُ الحجر فضربت به آخرَ على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثاً

وقال رجل من الخوارج

أتانا بأحجارٍ ليقتلَنا بها * وهل تُقْتَلُ الأبطالُ ويحكَ بالحَجَرْ

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلّى وسلّبرى وقتل ابن الماحوز

ويومَ سلّى وسلّبرى أحاط بهم * منا صواعقُ ما تُبقي ولا تَذَرُ

حتى تركنا عُبَيدَ الله منجدلاً * كما تجدّلَ جِذعٌ مالَ منقعرُ

قال أبو العباس تقول العرب صاعقة وصواعقُ وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع والمنقعر المنقلع من أصله قال الله أصدق القائلين كأنهم أعجاز نخلٍ منقعر ويروى أن رجلاً من الخوارج يوم سلّى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمّتاهُ فصاح به المهلب لا كثّرَ الله منك المسلمين فضحك

الخارجي وقال

أمن خير لك مني صاحبا * تسقيك محضا وتعل رائبا

وكان المغيرة بن المهلب اذا نظر الى الرماح قد تشاجرت في وجهه نكس على قربوس سرجه وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثرى أصحابها حتى تخرمت الميمنة من أجله وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسما فكان المهلب يقول ماشهد معي حربا قط الا رأيت البشرى في وجهه وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم

فان تك قتلى يوم سلى تتابعت * فكم غادرت أسيافنا من قماقم

غداة نكر المشرفية فيهم * بسولاف يوم المازق المتلاحم

المازق هو يوم تضايق الحرب والمتلاحم نعت له والمشرفية السيوف نسبت الى المشارف من أرض الشام وهو الموضع الملقب مؤتة الذى قتل به جعفر بن أبي طالب وأصحابه (قال الاخفش كان المبرد لا يهمز مونة ولم أسمعها من علمائنا الا بالهمز) قال أبو العباس فكتب المهلب الى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا لقينا الازارقة المارقة بحد وجد فكانت في الناس جولة ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الامل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها والسلام فكتب اليه القباع قد قرأت كتابك يا أخا الازد فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها وذخر لك ثواب الآخرة ان شاء الله وأجرها ورأيتك أوثق حصون المسلمين وهاد أركان المشركين وأخا السياسة وذا الرياسة فاستدم الله بشكره يتمم عليك نعمه والسلام وكتب اليه أهل البصرة يهنونه ولم يكتب اليه الاحنف ولكن قال أقرؤا عليه السلام وقولوا له أنا لك على ما فارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في

أضعافها كتاب الاحنف فلما لم يره قال لاصحابه أما كتب الينا فقال له الرسول حمّلني اليك رسالة وأبلغه فقال هذه أحبّ الىّ من هذه الكتب واجتمعت الخوارج بأرّجان فبايعوا الزبير ابن علي وهو من بني سليط بن يربوع من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا بيّنا فقال لهم اجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليهم فقال ان البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر وهو على الكافرين عقوبة وخزي وان يصب منكم أمير المؤمنين فما صار اليه خير مما خلف وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيس وربيعا الاجذم والحجاج بن باب وحارثة بن بدر وأشجيتم المهلب وقتلتم أخاه المعارك والله يقول لاخوانكم من المؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس فيوم سلي كان لكم بلاء وتمحيصا ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا فلا تغلبنّ على الشكر في حينه والصبر في وقته وثقوا بأنكم المستخلفون في الارض والعاقبة للمتقين ثم تحمّل لمحاربة المهلب فنفحهم المهلب نفحة فرجعوا فأكمنوا للمهلب في غمض من غموض الارض بقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه فسار المهلب يوما يطوف بعسكره ويتفقد سواده فوقف على جبل فقال ان من التدبير لهذه المارقة ان تكون قد أكمنت في سفح هذا الجبل كمينا فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا انهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وكسفت الشمس فصاحوا بهم يا أعداء الله لو قامت القيامة لجددنا في جهادكم ثم يئس الزبير من ناحية المهلب فضرب الى ناحية أصبهان ثم كرّ راجعا الى ارّجان وقد جمع جموعا وكان المهلب يقول كأني بالزبير وقد جمع جموعا فلا ترهبوهم فتخبث قلوبكم ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاؤه من ارجان فألفوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربوه فظهر عليهم ظهورا بينا ففي ذلك يقول رجل من بني تميم أحسبه من بني رياح بن يربوع

سقى الله المهلب كلّ غيث * من الوسميّ ينتحر انتحارا

فـاوهن المهلب يوم جاءت * عوابس خيلهم تبغي الفرارا

وقال المهلب يومئذ ما وقعت في أمر ضيق من الحرب الا رأيت أمامي رجالا من بني الهجيم ابن عمرو بن تميم يجالدون وكأن لحاهم أذناب العقاعق وكانوا صبروا معه في غير موطن وقال رجل من بني تميم من بني عبشمس بن سعد

ألا يا من لصب مستجن * قريح القلب قد صحب المزونا
لهان على المهلب ما لقينا * اذا ما راح مسرورا بطينا
يجر السابري ونحن شعث * كأن جلودنا كسيت طحينا

المزون عمان وهو اسم من أسمائها قال الكميت

فأما الأزد أزد أبي سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال جرير

وأطفأت نيران المزون وأهلها * وقد حاولوها فتنة أن تسعرا

وحمل يومئذ الحريش بن هلال على قيس الاكاف وكان قيس من أنجد فرسان الخوارج فطعنه فدق صلبه وقال

قيس الاكاف غداة الروع يعلمني * ثبت المقام اذا لاقيت أقراني

وقد كان قتل المهلب يوم سلى وسليرى ساروا الى البصرة فذكروا أن المهلب أصيب فهم أهل البصرة بالنقلة الى البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك يقول الاحنف بن قيس البصرة بصرة المهلب وقدم رجل من كندة يقال له فلان ابن أرقم فنعى ابن عم له وقال رأيت رجلا من الخوارج وقد مكن رمحه من صلبه فقدم المنعي فقيل له ذلك فقال صدق ابن أرقم لما أحسست برمحه بين كتفي صحت البقية فرفعه عني وتلا بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ووجه المهلب بعقب هذه الوقعة رجلا من الازد برأس

عبيد الله بن بشير بن الماحوز الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة القباع فلما صار بكربج
دينار لقيه حبيب وعبد الملك وعلىّ بنو بشير بن الماحوز فقالوا له ما الخبر ولا يعرفهم فقال
قتل الله المارق ابن الماحوز وهذا رأسه معى فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس
فلما ولى الحجاج دخل عليه على بن بشير وكان وسيما جسيما فقال من هذا فخبر فقتله ووهب
ابنه الازهر وابنته لاهل الازدىّ المقتول وكانت زينب بنت بشير لهم مواسية فوهبوهما لها
فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج فى ولاية الحرث القباع حتى عزل الحرث وولى مصعب بن
الزبير فكتب اليه أن اقدم علىّ واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس فقال لهم انى قد
استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا وأخو مثله
مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما أردت صوابا قط الا سبقنى
اليه ثم مضى الى مصعب وكتب مصعب الى المغيرة بولايته وكتب اليه انك لم تكن كابيك
فانك كاف لما وليت فشمر واتزر وجد واجتهد ثم شخص المصعب الى المذار فقتل أحمر بن
شميط ثم أتى الكوفة فقتل المختار بن أبى عبيد وقال للمهلب أشر علىّ برجل أجعله بينى وبين
عبد الملك فقال أذكر لك واحدا من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمىّ أو زياد بن عمرو
ابن الاشرف العتكىّ أو داود بن قحذم فقال أو تكفينى قال أكفيك ان شاء الله فولاه
الموصل فشخص المهلب اليها وصار مصعب الى البصرة فسأل من يستكفى أمر الخوارج
ويفد الى أخيه فشاور الناس فقال قوم ول عبيد الله بن أبى بكرة وقال قوم ول عمر بن
عبيد الله بن معمر وقال قوم ليس لهم الا المهلب فاردده اليهم وبلغت المشورة الخوارج
فأداروا الامر بينهم فقال قطرى بن الفجاءة المازنىّ ان جاءكم عبيد الله بن أبى بكرة أتاكم
سيد سمح جواد كريم مضيع لعسكره وان جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس
جادّ يقاتل لدينه وملكه وبطبيعة لم أر مثلها لاحد فقد شهدته فى وقائع فانودى فى القوم

للحرب الا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه وان رد المهلب فهو من قد عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمده اذا أرسلتموه ويرسله اذا مددتموه لا يبدؤكم الا أن تبدؤه الا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم فولى عليهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج بأرجان وعليهم الزبير بن على السليطى فشخص اليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولى عمر بن عبيد الله قال رماهم بفارس العرب وفتاها فجمعوا له وأعدوا واستعدوا ثم أتوا سابور فسار اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن حسان الأزدى ان المهلب كان يذكى العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم فقال له عمر اسكت خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك فأقام هناك فلما كان ذات ليلة بيتته الخوارج فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشئ فأقبل على مالك بن حسان فقال كيف رأيت قال قد سلم الله عز وجل ولم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها فقال أما انكم لو ناصحتمونى مناصحتكم المهلب لرجوت أن أنفى هذا العدو ولكنكم تقولون قرشى حجازى بعيد الدار خيره لغيرنا فتقاتلون معى تعذيرا ثم زحف الى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم الى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى أصلحها ثم عبروا وتقدم ابنه عبيد الله بن عمر وأمه من بنى سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب فقاتلهم حتى قتل فقال قطرى لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى الى القوم وكان مع ابنه النعمان بن عباد فصاح به يا نعمان أين ابنى فقال احتسبه فقد استشهد رحمه الله صابرا مقبلا غير مدبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم حمل على الناس حملة لم ير مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا فى وجوههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج وحمل على قطرى فضربه على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وانتهبا

فلما استقروا قال لهم قطرىٌّ أما أشرت عليكم بالانصراف فجعلوا وُجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم فى ذلك الوقت الفِزْرُ بن مَهْزَم العبدىُّ فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطرى فقال انى مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فأجاب اليها فخلوا عنه ففى ذلك يقول فى كلمة له

وشدُّوا وثاقى ثم ألجوا خُصومتى * الى قَطَرِىّ ذى الجبين المُفَلَّقِ
وحاججتهم فى دينهم وحججتهم * وما دينُهم غيرُ الهوى والتخلّق

ثم انهم تراجعوا وتكانفوا (قال الاخفش تكانفوا أعانَ بعضُهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم فى كَنَف بعض) وعادوا الى ناحية أرَّجانَ فسار اليهم عمر وكتب الى مُصْعَب أما بعد فانى قد لقيت الأزارقة فرزق الله عُبيدَ الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادةَ ورزقنا عليهم الظفر فتفرقوا شذر مذر وبلغتنى عنهم عودة فيممتهم وبالله أستعين وعليه أتوكل فسار اليهم ومعه عطية بن عمرو ومُجّاعةُ بن سَعيد فالتقوا فألحّ عليهم حتى أخرجهم وانفرد من أصحابه فعمدَ له أربعةَ عشر رجلا منهم من مذكوريهم وشُجعانهم وفى يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربةً الا صرعهُ فركض اليه قطرىٌّ على فرس طِمِرّ وعمر على مُهْرٍ فاستعلاه قطرىٌّ بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصُرَ به مُجّاعةُ فأسرع اليه فصاحت الخوارج بقطرى يا أبا نَعامةَ ان عدوّ الله قد رَهِقَك فانحطّ قطرىٌّ عن قَرَبوسه فطعنه مُجّاعةُ وعلى قطرى درعان فهتكهما وأسرع السنانُ فى رأس قطرى فكشَط عنه جلدةً ونجا وارتحل القومُ الى اصطخر فأقاموا بها ثم رجعوا الى الاهواز وقد ارتحل عمر بن عبيد الله الى اصطخر فأمر مُجّاعة فجبى الخراج أسبوعا فقال كم جبَيْتَ قال تسعمائة ألف فقال هى لك فقال يزيد بن الحكم الثقفىّ لمجاعة

ودعاك دعوةَ مُرْهَقٍ فأجبته * عمرٌو وقد نسى الحياةَ وضاعا

فرددت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه أوزاعا

وعزل مصعب بن الزبير وولى حمزة بن عبد الله بن الزبير فوجه المهلب اليهم فحاربهم فأخرجهم عن الاهواز ثم رد مصعب والمهلب بالبصرة والخوارج بأطراف أصبهان والوالى عليها عتاب بن ورقاء الرياحى فأقام الخوارج هنالك شيأ يجبون القرى ثم أقبلوا الى الاهواز من من ناحية فارس فكتب مصعب الى عمر بن عبيد الله ما أنصفتنا أقمت بفارس تجبى الخراج ومثل هذا العدو يحاربك والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر لك وخرج مصعب من البصرة يريدهم وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم فتنحى الخوارج الى السوس ثم أتوا المدائن فقتلوا أحمر طيئ وكان شجاعا وكان من فرسان عبيد الله بن الحر ففى ذلك يقول الشاعر

تركتم فتى الفتيان أحمر طيئ * بساباط لم يعطف عليه خليل

ثم خرجوا عامدين الى الكوفة فلما خالطوا سوادها والیها الحرث بن عبد الله القباع فتثاقل عن الخروج وكان جبانا فذمره ابراهيم بن الاشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتى أتى النخيلة ففى ذلك يقول الشاعر

ان القباع سار سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها وكانت جميلة ثم أرادوا قتلها فقالت أتقتلون من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد فتنتك ثم قدموها فقتلوها ثم قربوا أخرى وهم بحذاء القباع والجسر معقود بينهما فقطعه القباع وهو فى ستة آلاف والمرأة تستغيث به وتقول علام تقتلوننى فوالله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت والناس ينفلتون الى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فأقام بين دباها ودبيرى خمسة أيام والخوارج بقربه وهو يقول للناس فى كل يوم اذا لقيتم العدو غدا فأثبتوا أقدامكم

واصبروا فان أول الحرب الترامى ثم اشراع الرماح ثم السلة فثكلت رجلا أمه فر من الزحف

فقال بعضهم لما أكثر عليهم أما الصفة فقد سمعناها فمتى يقع الفعل وقال الراجز

ان القباع سار سيرا ملسا * بين دباها ودبيرى خمسا

فأخذ الخوارج حاجتهم وكان شأن القباع التحصن منهم ثم انصرفوا ورجع الى الكوفة

وصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الى الزبير بن على أنا ابن عمك ولست

أراك تقصد فى انصرافك من كل حرب غيرى فبعث اليه الزبير ان أدنى الفاسقين وأبعدهم

من الحق سواء وانما سمى الحرث بن عبد الله القباع لانه ولى البصرة فغير على الناس مكاييلهم

فنظر الى مكيال صغير فى مرآة العين وقد أحاط بدقيق استكثره فقال ان مكيالكم هذا لقباع

والقباع الذى يخفى أو يخفى ما فيه يقال انقبع الرجل اذا استتر ويقال للقنفذ القبع وذلك

أنه يخنس رأسه وأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه حتى طال عليهم

المقام ولم يظفروا منه بكبير فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا الايمرون بقرية بين أصفهان

والأهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها وشاور المصعب الناس فأجمع رأيهم على المهلب فبلغ

الخوارج مشورته فقال لهم قطرى ان جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع فى أول المقنب ولا

يظفر بكبير وان جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم فاماله واما عليه وان جاءكم المهلب

فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم

وعزم المصعب على توجيه المهلب وان يشخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير بن

على خرج الى الرى وبها يزيد بن الحرث بن رويم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار

خرج اليه فكان الظفر للخوارج فقتل يزيد بن رويم ونادى يومئذ ابنه حوشبا ففر عنه وعن

أمه لطيفة وكان على بن أبى طالب عليه السلام دخل على الحرث بن رويم يعوده ابنه يزيد

فقال له عندى جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فسماها يزيد لطيفة فقتلت معه يومئذ

(١)

فني ذلك يقول الشاعر

مَواقفُنا في كل يوم كريهة * أسرُّ وأشفى من مواقف حوشب
دعاه يزيدُ والرماحُ شوارعٌ * فلم يستجب بل راغ تَرواغ ثعلب
ولو كان شَهمَ النفس أو ذا حَفيظة * رأى ما رأى في الموت عيسى بن مُصعب

وقد مر خبر عيسى بن مصعب مستقصى وقال آخر

نَجّى حليلتَه وأسلم شيخه * نَصبَ الأسنّة حوشب بن يزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بُردة يعيره بأمه وبلالٌ مشدود عند يوسف بن عمر يا ابن حوراء فقال بلال وكان جلدا ان الامة تسمى حوراء وجيداء ولطيفة وزعم الكلبي أن بلالا كان جلدا حيث ابتُلي قال الكلبي ويُعجبني أن أرى الاسير جلدا قال وقال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف الحمد لله الذي أزال سلطانك وهدّ ركنك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعصبية فقال له بلال انما طال لسانك يا خالدُ لثلاث معك هنّ عليّ الامرُ عليك مقبل وهو عني مدبرٌ وأنت مطلَق وأنا مأسور وأنت في طينتك وأنا في هذا البلد غريب وانما جرى الى هذا لانه يقال ان أصل آل الأهتم من الحيرة وأنهم أُشابةٌ دخلت في بني منقر من الروم ثم انحط الزبير بن علي على أصفهان فحصر بها عتّاب بن ورقاء الرياحيّ سبعة أشهر وعتابٌ يحاربه في بعضهن فلما طال به الحصار قال لاصحابه ما تنتظرون والله ما تُؤتَون من قلة وانكم لفرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتم منهم وما بقي مع هذا الحصار الا أن تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشي الى قرنه فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارّون وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليخرج معي فخرج في ألفين

وسبعمائة فارس فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجد لم ير الخوارج مثله فعقروا منهم خلقا وقتلوا الزبير بن علي وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب ففي ذلك يقول الشاعر

ويوم يحيى تلافيته * ولولاك لاصطلم العسكر

قال أبو العباس نفسر قوله ولولاك في آخر هذا الخبر ان شاء الله وقال رجل من بني ضبة في تلك الوقعة

خرجت من المدينة مستميتا * ولم أك في كتيبة ياسمينا

أليس من الفضائل أن قومي * غدوا مستلئمين مجاهدينا

وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتواقفون ويحمل بعضهم على بعض وربما كانت مواقفة بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح ويكنى أبا هريرة اذا تحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزبير بن علي

يا ابن أبي الماحوز والأشرار * كيف ترون يا كلاب النار

شد أبي هريرة الهرار * يهركم بالليل والنهار

ألم تروا جيا على المضمار * تمسي من الرحمن في جوار

فغاظهم ذلك منه فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قتل فكانوا اذا تواقفوا نادوهم ما فعل الهرار فيقولون ما به من بأس حتى أبل من علته فخرج اليهم فصاح يا أعداء الله أترون بي بأسا فصاحوا به قد كنا نرى أنك قد لحقت بأمك الهاوية في النار الحامية ❁ قال أبو العباس نفسر أشياء من العربية تحتاج الى الشرح من ذلك قوله ولولاك ومنه قوله ألم تروا جيا ومنه قوله يهركم بالليل والنهار أما قوله لولاك فان سيبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال اذا قلت لولاك

فما الدليل على أن الكاف مخفوضة دون أن تكون منصوبة وضمير النصب كضمير الخفض فتقول انك تقول لنفسك لولاى ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رمانى وأعطانى قال يزيد بن الحكم الثقفى

وكم موطن لولاى طحت كما هوى * بأجرامه من قلة النيق منهوى

النيق أعلى الجبل وجرم الانسان خلقته فيقال له الضمير فى موضع ظاهره فكيف يكون مختلفا وان كان هذا جائزا فلم لا يكون فى الفعل وما أشبهه نحو انّ وما كان معها فى الباب وزعم الاخفش سعيد أن الضمير مرفوع ولكن وافق ضمير الخفض كما يستوى الخفض والنصب فيقال فهل هذا فى غير هذا الموضع قال أبو العباس والذى أقوله أن هذا خطأ لا يصلح الا أن تقول لولا أنت كما قال الله عز وجل لولا أنتم لكنا مؤمنين ومن خالفنا يزعم أن الذى قلناه أجود ويدعى الوجه الآخر فيجيزه على بعده وأما جىّ فالاجود فيها أن تقول

* ألم تروا جىّ على المضمار * فلا تنون لانها مدينة والاسم أعجمى والمؤنث اذا سمى باسم أعجمى على ثلاثة أحرف لم ينصرف اذا كان مؤنثا وان كان أوسطه ساكنا نحو جور وحمص وما كان مثل ذلك ولو كان اسما لمذكر لانصرف فان صرفته جعلته اسما للبلد وان لم تصرفه جعلته اسما للبلدة أو للمدينة ألا ترى أنك تصرف نوحا ولوطا وهما أعجميان وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك لانك تصرف قدما لو سميت به رجلا فالاعجمى بمنزلة المؤنث لان امتناعهما واحد وأما قوله يهركم فان كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديا فان المضارع منه على يفعل نحو شدّه يشدّه وزرّه يزرّه وردّه يردّه وحلّه يحلّه وجاء منه حرفان على يفعل ويفعل فيهما جيد هرّه يهرّه اذا كرهه ويهرّه أجود وعلّه بالحناء يعلّه ويعلّه أجود ومن قال حببته قال يحبّه لا غير وقرأ أبو رجاء العطاردى فاتبعونى يحبكم الله وذلك أن بنى تميم تدغم فى موضع الجزم وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين ۞ رجع الحديث ثم

ان الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا تولية عبيدة بن هلال فقال أدلكم على من هو خير لكم مني من يطاعن في قبل ويحمي في دبر عليكم قطري بن الفجاءة المازني فبايعوه فوقف بهم فقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا الى فارس فقال ان بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ولكن نصير الى الاهواز فان خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها فأتوا الاهواز ثم ترفعوا عنها الى ايذج وكان مصعب قد عزم على الخروج الى باجميرا فقال لاصحابه ان قطريا قد أطل علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها فبعث الى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج اليهم المهلب فلما أحس به قطري يمم نحو كرمان فأقام المهلب بالاهواز ثم كر قطري عليه وقد استعد فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجنن فحاربهم المهلب فنفاهم الى رامهرمز وكان الحرث بن عميرة الهمداني قد صار الى المهلب مراغما لعتاب بن ورقاء يقال انه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي وكان الحرث بن عميرة هو الذي تولى قتله وحاص اليه أصحابه ففي ذلك يقول أعشى همدان

ان المكارم أكملت أسبابها * لابن الليوث الغر من قحطان
للفارس الحامي الحقيقة معلما * زاد الرفاق الى قرى نجران
الحرث بن عميرة الليث الذي * يحمي العراق الى قرى كرمان
ود الازارق لو يصاب بطعنة * ويموت من فرسانهم مائتان

(ويروى زاد الرفاق وفارس الفرسان) وتأويله أن الرفقة اذا صحبها أغناها عن التزود كما قال جرير وأراد ابن له سفرا وفي ذلك السفر يحيى بن أبي حفصة فقال لابيه زودني فقال جرير

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا * ألا ان يحيى نعم زاد المسافر
فما تنكر الكوماء ضربة سيفه * اذا أرملوا أو خف ما في الغرائر

وقوله ويموت من فرسانهم يكون على وجهين مرفوعا ومنصوبا فالرفع على العطف ويدخل في التمني والنصب على الشرط والخروج من العطف وفي مصحف ابن مسعود ودّوا لو تُدهِنُ فيُدهِنوا والقراءة فيدهنون على العطف وفي الكلام ودّ لو تأتيه فتحدّثُه وان شئت نصبت الثاني وخرج مصعب بن الزبير الى باجُميراء ثم أتى الخوارجَ خبرُ مقتَله بمَسْكِن ولم يأت المهلبَ وأصحابه فتواقفوا يوما على الخندق فناداهم الخوارجُ ما تقولون في المصعب قالوا امامُ هُدًى قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا ضالٌّ مُضِلٌّ فلما كان بعد يومين أتى المهلبَ قتلُ مُصعَب وأن أهل الشأم اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته فلما تواقفوا ناداهم الخوارجُ ما تقولون في مصعب قالوا الا نخبركم قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا امامُ هُدًى قالوا يا أعداء الله بالامس ضالٌّ مُضِلٌّ واليوم امامُ هُدًى يا عبيدَ الدنيا عليكم لعنةُ الله ووَلِيَ خالدُ بن عبد الله بن أسِيد فقَدِمَ فدخل البصرة فأراد عزل المهلب فأُشير عليه بأن لا يفعل وقيل له انما أمِنَ أهلُ هذا المصر بأنّ المهلب بالاهواز وعُمَرَ بن عبيد الله بفارسَ فقد تنحّى عمرُ وان نحّيتَ المهلبَ لم تأمن على البصرة فأبى الا عزلَه فقدم المهلب البصرة وخرج خالد الى الاهواز فأشخصه فلما صار بكُرْبُجِ دينار لقيه قطريّ فمنعه حطّ أثقاله وحاربه ثلاثين يوما ثم أقام قطري بازائه وخندق على نفسه فقال المهلب ان قطريا ليس بأحق بالخندق منك فعبر دجيلا الى شقّ نهر تيرى واتبعه قطريٌّ فصار الى مدينة نهر تيرى فبنى سورها وخندق عليها فقال المهلبُ لخالد خَنْدِقْ على نفسك فاني لا آمَنُ عليك البياتَ فقال يا أبا سعيد الامر أعجل من ذلك فقال المهلبُ لبعض ولده اني أرى أمرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خندقْ علينا فخندق المهلب وأمرَ بسُفنه فَفُرِّغَتْ وأبى خالدٌ أن يفرغ سفُنَه فقال المهلب لفيروز حُصَين صِرْ معنا فقال يا أبا سعيد الحزمُ ما تقول غير أني أكره أن أفارق أصحابي قال فكُنْ بقربنا قال أما هذه فنعم وقد كان عبدُ الملك كتب الى بشر بن مروان يأمره أن يُمِدَّ خالدا

بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ففعل فقدم عليه عبد الرحمن فأقام قطريّ يغاديهم القتال ويراوحهم أربعين يوما فقال المهلب لمولى لابي عيينة انتبذ الى ذلك الناوس فبت عليه فى كل ليلة فتى أحسست خبرا من الخوارج أو حركة أو صهيل خيل فاعجل الينا فجاء ليلة فقال قد تحرك القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعد قطرىّ سفنا فيها حطب فأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج فى أدبارها حتى خالطهم فجعل لا يمر برجل الاقتله ولا بدابة الاعقرها ولا بفسطاط الاهتكه فأمر المهلب يزيد فخرج فى مائة فارس فقاتل وأبلى يومئذ وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين فى مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثر أثرا جميلا فصرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين فى الخندق فأخذ بيده رجل من الازد فاستنقذه فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء فجعل لا يرى الا قتيلا أو صريعا فقال للمهلب يا أبا سعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فان لا تفعل عادوا اليك فقال اكفنى أمر الخندق فجمع له الاخماس فلم يبق شريف الا عمل فيه فصاح بهم الخوارج والله لولا هذا الساحر المزونى لكان الله قد دمر عليكم وكانت الخوارج تسمى المهلب الساحر لانهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم فقال أعشى همدان لابن الاشعث فى كلمة طويلة

ويوم أهوازك لاتنسه * ليس الثنا والذكر بالداثر

وقد ذكرنا فى قصر الممدود من أن مد المقصور لا يجوز ما يغنى عن اعادته

ونذكر فيروز حصين لما مر من ذكره وكان فيروز حصين رجلا جيد البيت فى العجم كريم المحتد مشهور الآباء فلما أسلم والى حصينا وهو حصين بن عبد الله العنبرى من بنى العنبر بن تميم بن مر ثم من ولد طريف بن تميم وكان فيروز حصين شجاعا جوادا نبيل الصورة جهير الصوت وتروى الرواة

أن رجلا من العرب كانت أمه فتاة فقاول بني عم له فسبوه بالهجنة ومر فيروز حصين فقال هذا خالي فمن منكم له خال مثله وظن أن فيروز لم يسمعها وسمعها فيروز فلما صار الى منزله بعث الى الفتى فاشترى له منزلا وجارية ووهب له عشرة آلاف درهم ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما واقف ابن الأشعث برستقاباذ نادى منادي الحجاج من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم فخرج فيروز من الصف فصاح بالناس من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالي ووفائي من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف فقال الحجاج والله لقد تركني أكثر التلفت وانى لبين خاصتي فأتى به الحجاج فقال له أأنت الجاعل في رأس أميرك مائة ألف قال قد فعلت فقال والله لأمهدنك ثم لأحملنك أين المال قال عندي فهل الى الحياة من سبيل قال لا قال فأخرجني الى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلبك يرق علي ففعل الحجاج فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعه وأعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد الى الحجاج فقال شأنك الآن فاصنع ما شئت فشد في القصب الفارسي ثم سل حتى شرح ثم نضح بالخل والملح فما تأوه حتى مات ۞ ومضى قطري الى كرمان فانصرف خالد الى البصرة فأقام قطري بكرمان أشهرا ثم عمد لفارس وخرج خالد الى الأهواز وندب للناس رجلا فجعلوا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذا المصر اني قد وليت أخي قتال الأزارقة فولى أخاه عبد العزيز واستخلف المهلب على الأهواز في ثلثمائة ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفا والخوارج بدراب جرد فجعل عبد العزيز يقول في طريقه يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتم الا بالمهلب فسيعلمون قال صعب بن زيد فلما خرج عبد العزيز عن الأهواز جاءني كردوس حاجب المهلب فقال أجب الأمير فجئت الى المهلب وهو في سطح وعليه ثياب هروية فقال يا صعب أنا ضائع كأني أنظر الى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافيني الأزارقة ولا جند معي فابعث رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا به الي فوجهت رجلا يقال له عمران بن فلان

فقلت أصحب عسكر عبد العزيز وأكتب الى بخبر يوم بيوم فجعلت أورده على المهلب فلما
قاربهم عبد العزيز وقف وقفة فقال له الناس هذا يوم صالح فينبغي أن تنزل أيها الامير حتى
نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الا الامر قريب فنزل الناس على غير أمره فلم يستتم النزول
حتى ورد عليهم سعد الطلائع في خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبد العزيز
فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فانا على غير تعبئة
فأبى فلم يزل في آثارهم حتى اقتحموا عقبة فاقتحمها وراءهم والناس ينهونه ويأبى وكان قد
جعل على بني تميم عبس بن طلق الصريمي الملقب عبس الطعان وعلى بكر بن وائل مقاتل
ابن مسمع القيسي وعلى شرطته رجلا من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل
خلفهم وكان لهم في بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءها خرج عليهم الكمين وعطف سعد
الطلائع فترجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعي صاحب الشرطة
وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤا وكان عبد العزيز
قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود امرأته فسبوا النساء يومئذ وأخذوا أسرى
لا تحصى فقذفوهم في غار بعد أن شدوهم وثاقا ثم سدوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه وقال رجل
حضر ذلك اليوم رأيت عبد العزيز وان ثلاثين رجلا ليضربونه بأسيافهم وما تحيك في جسده
يقال ما أحاك فيه السيف وما يحيك فيه وما حك هذا الامر في صدري وما حكى في صدري
وما احتكى في صدري ويقال حاك الرجل في مشيته يحيك اذا تبختر ونودي على السبي يومئذ
فنودي بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفا وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا
بالخوارج ففرض لكل واحد منهم خمسمائة فكاد يأخذها فشق ذلك على قطري وقال
ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ان هذه فتنة فوثب اليها أبو الحديد العبدي
فقتلها فأتي به قطري فقال يا أبا الحديد مهيم فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين قد تزايدوا

في هذه المشركة خشيت عليهم الفتنة فقال قطري قد أصبت وأحسنت فقال رجل من الخوارج

كفانا فتنة عظمت وجلّت * بحمد الله سيف أبي الحديد

أهاب المسلمون بها وقالوا * على فرط الهوى هل من مزيد

فزاد أبو الحديد بنصل سيف * رقيق الحد فعل فتى رشيد

قوله أهاب يريد أعلن يقال أهبت به اذا دعوته مثل صوّت قال الشاعر

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب * وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله مهيم حرف استفهام معناه ما الخبر وما الامر فهو دال على ذلك محذوف الخبر وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق فقال مهيم فقال تزوجت يا رسول الله فقال أولم ولو بشاة وكان تزوج على نواة وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم وهذا خطأ وغلط العرب تقول نواة فتعني بها خمسة دراهم كما تقول النش لعشرين درهما والأوقية لاربعين درهما فانما هو اسم لهذا المعنى وكان العلاء بن مطرف السعدي ابن عم عمرو القنا وكان يحب أن يلقاه في تلك الحروب مبارزة فلحقه عمرو القنا وهو منهزم فصاح عمرو وقال متمثلا

تمنّاني ليلقاني لقيط * أعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به انج أبا المصدّي وكان عمرو القنا يكنى أيضا أبا المصدي وهذا البيت الذي تمثل به عمرو لتزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي يقوله يعني لقيط بن زرارة وكان يطلبه وقوله أعام لك يريد يا عامر فرخم واغا يريد الحي تعجبا أي لكم أعجب من غنيه للقائي فدعا بني عامر بن صعصعة وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم لا ابن معاوية وانهم ناقلة في قيس ولذلك نغمت بنو سعد من محاربتهم

مع بنى تميم يوم جبلة واذلك أنذرهم كريب بن صفوان وهذا البيت وضعه سيبويه فى باب النداء الذى معناه معنى التعجب وشبيه به قول الصلتان العبدى

فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله * جرير ولكن فى كليب تواضع

على معنى قوله فلله دره شاعرا وكان العلاء بن مطرف قد جمل معه امرأتين له احداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل والاخرى بنت عمه وهى فلانه بنت عقيل فطلق الضبية وتجاهل بهما يومئذ وحمل الضبية أولا ففى ذلك يقول

ألست كريما اذ أقول لفتيتى * قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل

ولو لم يكن عودى نضارا لاصبحت * تجر على المتنين أم جميل

قال الصعب بن يزيد بعثنى المهلب لآتيه بالخبر فصرت الى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم فلم أحسس خبرا فسرت مهجرا الى أن أمسيت فلما أظلمنا سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم فقلت ماوراءك فقال الشر قلت فأين عبد العزيز قال أمامك فلما كان من آخر الليل اذا أنا بزهاء خمسين فارسا معهم لواء فقلت من هذا فقالوا هذا لواء عبد العزيز فتقدمت اليه فسلمت وقلت أصلح الله الامير لا يكبرن عليك ما كان فانك كنت فى شرذمة جند وأخبثه قال لى أوكنت معنا قلت لا ولكن كأنى شاهد أمرك قال كأنك كنت معنا قلت أرسلنى المهلب لآتيه بخبرك ثم تركته وأقبلت الى المهلب فقال لى ماوراءك قلت ما يسرك قد هزم وفل جيشه فقال ويحك وما يسرنى من هزيمة رجل من قريش وفل جيش من المسلمين قلت قد كان ذلك ساءك أو سرك فوجه رجلا الى خالد يخبره قال الرجل فلما أخبرت خالدا قال كذبت ولؤمت ودخل رجل من قريش فكذبنى وقال لى خالد والله لهممت أن أضرب عنقك قلت أصلح الله الامير ان كنت كاذبا فاقتلنى وان كنت صادقا فأعطنى مطرف هذا المتكلف فقال خالد لبئسما أخطرت به دمك فما برحت حتى دخل بعض الفل

وقدم عبد العزيز سوق الاهواز فاكرمه المهلب وكساه وقدم مصعب على خالد واستخلف ابنه حبيبا وقال له تحسّس عن الاخبار فان احسست بخبر الازارقة قريبا منك فانصرف الى البصرة فلم يزل حبيب مقيما والازارقة تدنو منه حتى بلغوا قنطرة أَرْبُك فانصرف الى البصرة على نهر تيرى فلما دخلها أُعلم خالد فغضب عليه واستتر حبيب في بنى هلال بن عامر بن صعصعة فتزوج هناك في استتاره الهلالية أم عبّاد بن حبيب وقال الشاعر لخالد يُفيِّل رأيه أى يخطئه

بعثتَ غلاما من قريش فَروقةً * وتترك ذا الرأى الاصيلِ المهلَّبا
أبَى الذمَّ واختار الوفاء وأُحكِمَتْ * قُواهُ وقد ساسَ الامورَ وجرَّبا

وقال الحرث بن خالد المخزومى

فَرَّ عبدُ العزيز لما رأى الابـطالَ بالسَّفح نازلوا قَطَريَّا

ويروى

فر عبدُ العزيز اذ راءَ عيسى * وابن داود نازلا قطريا
عاهد الله ان نجا ملمنايا * ليعودنَّ بعدها حرميَّا
يسكُنُ الخَلَّ والصفاحَ فَمَرّا * تَ وسَلْعا وتارةً نجديَّا
حيث لا يشهدُ القتالَ ولا يسـمع يوما لكَرِّ خيلٍ دويَّا

قوله اذ راءَ عيسى الاصل رأى ولكنه قلب فقدم الالف واخر الهمزة كما قال كُثَيِّر

وكلُّ خليل راءنى فهو قائلٌ * من اجلك هذا هامةُ اليوم أو غدِ

والقلب كثير فى كلام العرب وسنذكر منه شيأ فى موضعه ان شاء الله وقوله ملمنايا يريد من المنايا ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما ومن كلام العرب أن يحذفوا النون اذا لقيت لام المعرفة ظاهرة

فيقولون فى بنى الحرث و بنى العنبر وما أشبه ذلك بلحرث و بلعنبر و بلهجيم كما يقولون علماء بنو فلان فيحذفون احدى اللامين وقوله ليعودن بعدها حرميا العرب تنسب الى الحرم فيقولون حرمى وحرمى على قولهم حرمة البيت وحرمة البيت وقال النابغة الذبيانى

من قول حرمية قالت وقد رحلوا * هل فى مخفيكم من يشترى أدما

والخل ههنا موضع وأصله الطريق فى الرمل وكتب خالد الى عبد الملك بعذر عبد العزيز وقال للمهلب ماترى عبد الملك صانعا بى قال يعزلك قال أتراه قاطعا رحمى قال نعم أتته هزيمة أمية أخيك من البحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس قال أبو العباس فكتب عبد الملك الى خالد . أما بعد فانى كنت حددت لك حدا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتى واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الازارقة فقبح الله هذا رأيا أتبعث غلاما غرا لم يجرب الحروب وتترك سيدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس الحروب تشغله بالجباية أما لو كافأتك على قدر ذنبك لاتاك من نكيرى مالا بقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فلفتتنى عنك وقد جعلت عقوبتك عزلك وولى بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب اليه أما بعد فانك أخو أمير المؤمنين يجمعك واياه مروان بن الحكم وان خالدا لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله حرب الازارقة فانه سيد بطل مجرب فأمدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل فشق عليه ما أمره فى المهلب وقال والله لاقتلنه فقال له موسى بن نصير ان للمهلب حفاظا وبلاء ووفاء وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى وعكرمة الى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل فسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال مافعل أميركم المهلب قالوا قد تلقاك أيها الامير وهو شاك فهم بشر أن يولى حرب الازارقة عمر بن عبيد الله فقال له أسماء بن خارجة انما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك فقال له عكرمة بن ربعى اكتب الى أمير المؤمنين

وأعلمه علة المهلب فكتب اليه يعلمه علة المهلب وأن بالبصرة من يغني غناءه ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم اليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعي فلما قرأ الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم فقال ان لك دينا ورأيا وحزما فمن لقتال هؤلاء الازارقة قال المهلب قال انه عليل قال ليست علته بمانعته قال عبد الملك أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد فكتب يعزم عليه أن يولي المهلب فوجه اليه قال المهلب أنا عليل ولا يمكنني الاختلاف فأمر بشر بحمل الدواوين اليه فجعل ينتخب فاعترض بشر عليه فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم أن لا يقيم بعد ثالثة وقد أخذت الخوارج الاهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج اليهم المهلب حتى صار الى شهارطاق فأتاه شيخ من بني تميم فقال أصلح الله الامير ان سني ما ترى فهبني لعيالي قال على أن تقول للامير اذا خطب فحثكم على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس أشراف أهل النجدة منا ففعل الشيخ ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال لا شيء وأعطى المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتي بشرا فيقول له أيها الامير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال نصيحة للامير والمسلمين ولا أعود الى مثلها فأمده بالشرطة والمقاتلة وكتب بشر الى خليفته بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن ابن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه به مددا الى المهلب فلما أتاه الكتاب بعث الى عبد الرحمن بن مخنف الازدي فعقد له واختار له من كل ربع ألفين فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير البجلي وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الاشعث الكندي وعلى مذحج وأسد زحر بن قيس المذحجي فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت رأيي فيك وثقتي بك فكن عند ظني انظر هذا المزوني فخالفه في أمره وأفسد عليه رأيه فخرج عبد الرحمن بن مخنف وهو يقول ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام يأمرني أن أصغر شيخا

من مشايخ أهلي وسيداً من ساداتهم فلحق بالمهلب فلما أحسّ الازارقة بدنوه منهم انكشفوا عن الفرات فاتّبعهم المهلبُ الى سوق الاهواز فنفاهم عنها ثم تبعهم الى رام هُرمُز فهزمهم منها فدخلوا فارس وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاءً حسناً تقدم فيه وهو ابن احدى وعشرين سنة فلما صار القوم بفارس وجّه اليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن صُبح أيها الأمير ليس برأى قتل هذه الاكلب ولئن والله قتلتهم لتقعدنّ في بيتك ولكن طاولهم وكُل بهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برام هرمز الا شهرا حتى أتاه موت بشر فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجّه الى محمد بن اسحق بن الاشعث وابن زحر واستحلفهما أن لا يبرحا فحلفا له ولم يفيا فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الاهواز وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب فخطبهم فقال انكم لستم كأهل الكوفة انما تذبّون عن مصركم وأموالكم وحرمكم فأقام منهم قوم وتسلّل منهم ناس كثير وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان فوجّه مولى له بكتاب منه الى من بالأهواز يحلف فيه بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا الى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم الا قتله فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله فقال اني لارى وجوها ما القبول من شأنها فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما في الكتاب وانصرف الى صاحبك فانك لا تدري ما في أنفسنا وجعلوا يستعجلونه في قراءته ثم قصدوا وقصد الكوفة فنزلوا النخيلة وكتبوا الى خليفة بشر يسألونه أن يأذن لهم في الدخول فأبى فدخلوها بغير اذن فلم يزل المهلب ومن معه من قوّاده وابن مخنف في عدد قليل فلم ينشبوا أن ولي الحجاج العراق فدخل الكوفة قبل البصرة وذلك في سنة خمس وسبعين فخطبهم وتهددهم وقد ذكرنا الخطبة متقدما ثم نزل فقال لوجوه أهلها ما كانت الولاة تفعل بالعصاة فقالوا كانت تضرب وتحبس فقال الحجاج ولكن ليس لهم عندي الا السيف ان المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية

لاهلها ماقوتل عدو ولاجبي فيء ولاعز دين ثم جلس لتوجيه الناس فقال قد أجلتكم ثلاثا وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور الاقتلته ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه اذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما عصيا فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه فقال أصلح الله الامير ان هذا أنفع لكم مني هو أشد بني تميم أيدا وأجمعهم سلاحا وأربطهم جأشا وأنا شيخ كبير عليل واستشهد جلساءه فقال الحجاج ان عذرك لواضح وان ضعفك لبين ولكني أكره أن يجترئ بك الناس علي وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان ثم أمر به فقتل فاحتمل الناس وان أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه ففي ذلك يقول ابن الزبير الاسدي

أقول لعبد الله يوم لقيته * أرى الامر أمسى منصبا متشعبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فما ان أرى الحجاج يغمد سيفه * يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

وهرب سوار بن المضرب السعدي من الحجاج وقال

أقاتلي الحجاج ان لم أزر له * دراب وأترك عند هند فؤاديا

وقد مرت هذه الابيات وخرج الناس عن الكوفة وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشد الحاحا وقد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بني يشكر وكان شيخا كبيرا أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الامير ان بي فتقا وقد عذرني بشر وقد رددت العطاء فقال انك عندي لصادق ثم أمر به فضربت عنقه ففي ذلك يقول كعب الاشقري أو الفرزدق

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة * تقرقر منها بطن كل عريف

وروى عن ابن ميرة قال انا لنتغدى معه يوما اذ جاء رجل من سليم برجل يقوده فقال أصلح الله الامير ان هذا عاص فقال له الرجل أنشدك الله أيها الامير فى دمى فوالله ما قبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا وانى لحائك أخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا الحجاج فقال مالى أراكم صفرت أيديكم واصفرت وجوهكم وحد نظركم من قتل رجل واحد ان العاصى يجمع خلالا يخل بمركزه ويعصى أميره ويغر المسلمين وهو أجير لهم وانما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالى مخير فيه ان شاء قتل وان شاء عفا ثم كتب الحجاج الى المهلب أما بعد فان بشرا رحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك وأنا أريك حاجتى اليك فأرنى الجد فى قتال عدوك ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فانى قاتل من قبلى ومن كان عندى من ولى من هرب عنك فأعلمنى مكانه فانى أرى أن آخذ الولى بالولى والسمى بالسمى فكتب اليه المهلب ليس قبلى الا مطيع وان الناس اذا خافوا العقوبة كبروا الذنب واذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب واذا يئسوا من العفو أكفرهم ذلك فهب لى هؤلاء الذين سميتهم عصاة فانما هم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو ونادم على ذنبه فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال اليوم قوتل هذا العدو ولما رأى ذلك قطرى قال انهضوا بنا نريد السردان فنتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال أو نأتى سابور وخرج المهلب فى آثارهم فأتى أرجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج نحوهم فعسكر بكازرون واستعدوا القتاله وخندق على نفسه ثم وجه الى عبد الرحمن بن مخنف خندق على نفسك فوجه اليه خنادقنا سيوفنا فوجه اليه المهلب انى لا آمن عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرطة جمل فأقبل

المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأى ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادروه الحرب فبعث الى ابن مخنف يستمده فأمده بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا فجاؤا وعليهم أقبية بيض جدد فقاتلوا يومئذ حتى عُرِف مكانهم وحاربهم المهلب وأبلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشد ثم نظر الى رئيس منهم يقال له صالح بن مخراق وهو ينتخب قوما من جلة العسكر حتى بلغوا أربعمائة فقال لابنه المغيرة ما يُعِدُّ هؤلاء الا للبيات وانكشف الخوارج والامر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح وقد كان الحجاج فى كل يوم يتفقد العصاة ويوجه الرجال فكان يحبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا فينسل الناس الى ناحية المهلب وكان الحجاج لا يعلم فاذا رأى اسراعهم تمثل

ان لها لسائقا عشنزرا ✱ اذا ونين ونية تغشمرا

العشنزر الصلب والتغشمر ركوب الرأس والمتغشمر الجاد على ما خيلت وكتب الى المهلب من قبل الوقعة أما بعد فانه بلغنى أنك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو وانى وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعى وعباد بن حصين الحبطى واخترتك وأنت من أهل عمان ثم رجل من الازد فالقهم يوم كذا فى مكان كذا والا أشرعت اليك صدر الرمح فشاور بنيه فقالوا انه أمير فلا تغلظ عليه فى الجواب فكتب اليه المهلب ورد على كتابك تزعم أنى أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت أنك وليتنى وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعى وعباد ابن حصين الحبطى ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك فى فضلهما وغنائهما وبطشهما واخترتنى وأنا رجل من الازد ولعمرى ان شرا من الازد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر فى واحدة منهن وزعمت أنى ان لم ألقهم فى يوم كذا فى مكان كذا أشرعت الى صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن والسلام ثم كانت الوقعة فلما انصرف الخوارج قال

المهلب لابنه المُغيرة انى أخاف البيات على بنى تميم فانهض اليهم فكُنْ فيهم فأتاهم المغيرة فقال له الحَريشُ بن هلال يا أبا حاتم أيخاف الامير أن يُؤتَى من ناحيتنا قل له فليَبِتْ آمنا فانا كافوه ما قِبَلنا ان شاء الله فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرةُ الى أبيه سَرَى صالح بن مِخراق فى القوم الذين أعدّهم الى ناحية بنى تميم ومعه عَبيدة بن هلال وهو يقول

انى لمُذْكٍ للشُراة نارَها * ومانعٌ ممن أتاها دارَها

* وغاسلٌ بالطَعن عنها عارَها *

فوجد بنى تميم أيقاظا محارسين فخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول

لقد وجدتم وُقُرًا أنجادا * لا كُشُفًا ميلًا ولا أوغادا

هيهاتَ لا تُلفون نارًا قادا * لا بل اذا صِيحَ بنا آسادا

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم الى أين يا كلابَ النار فقالوا انما أُعِدَّت النارُ لك ولاصحابك فقال الحريش كل مملوك لى حُرٌّ ان لم تدخلوا النار ان دخلها مجوسى فيما بين سَفَوانَ وخُراسانَ قوله وجدتم وُقُرًا جمع وَقور والنَجِدُ ضد البليد وهو المتيقظ الذى لا كسل عنده ولا فتور والاميلُ فيه قولان قالوا الذى لا يستقر على الدابة وقالوا هو الذى لا سيف معه والاكشف الذى لا تُرس معه والاَجَمُّ الذى لا رمح معه والحاسرُ الذى لا درع عليه والاَعزلُ الذى لا يتقوم على ظهر الدابة والوَغدُ الضعيف ثم قال بعضهم لبعض نأتى عسكر ابن مخنف فانه لا خندق عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب وقد زعموا أنا أهون عليهم من ضَرطة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم الا وقد خالطوهم فى عسكرهم وكان ابن مخنف شريفا يقول رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل

تروح وتغدو كل يوم معظما * كأنك فينا مخنف وابن مخنف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقتل وقتل معه سبعون من القراء فيهم نفر من أصحاب على بن أبي طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب فجاءهم مغيثا فقاتلهم حتى ارتث وصرع ووجه المهلب اليهم ابنه حبيبا فكشفهم ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله وصار جنده فى جند المهلب فضمهم الى ابنه حبيب فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن

تركت أصحابنا تدمى نحورهم * وجئت تسعى الينا خضخضة الجمل

قوله خضخضة الجمل يريد ضرطة الجمل يقال خضخض البعير وأنشد فى الرياشى لاعرابى يذم رجلا اتخذ وليمة

انا وجدنا خلفا بئس الخلف * أغلق عنا بابه ثم حلف

لا يدخل البواب الا من عرف * عبدا اذا ما ناء بالحمل خضف

يقال ناء يحمله اذا حمله فى ثقل وتكلف وفى القرآن ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتح وقد مضى تفسير هذا (وتقول العرب حبج الرجل وحبق وخضف وردم كل ذلك اذا ضرط) فلامهم المهلب وقال بئسما قلتم والله ما فروا ولا جبنوا ولكنهم خالفوا أميرهم أفلا تذكرون فراركم يوم دولاب وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عنى ووجه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثه فى مناجزة القوم وكتب اليه انك لتحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلب لاصحابه حركوهم فخرج فرسان من أصحابه اليهم فخرج اليهم من الخوارج جمع فاقتتلوا الى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أما تملون فقالوا لا حتى تملوا قالوا فمن أنتم قالوا تميم قالت الخوارج ونحن بنو تميم فلما أمسوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم

حفيرة وأثبت قدمه فيها فكلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتموا فقال لهم الخوارج اوجعوا فقالوا بل ارجعوا أنتم فقالوا ويلكم من أنتم فقالوا تميم قالوا ونحن تميم فرجع البراء بن قبيصة الى الحجاج فقال له مه قال رأيت قوما لا يعين عليهم الا الله وكتب اليه المهلب انى منتظر بهم احدى ثلاث موت ذريع أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم وكان المهلب لا يتكل فى الحراسة على أحد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده و بمن يحل محلهم فى الثقة عنده وقال أبو حرملة العبدى يهجو المهلب

عدمتك يا مهلب من أمير * اما تندى يمينك للفقير
بدولاب أضعت دماء قوم * وطرت على مواشكة درور

فقال المهلب ويحك والله انى لأقيكم بنفسى وولدى قال جعلنى الله فداء الامير فذاك الذى نكره منك ما كلنا يحب الموت قال ويحك وهل عنه محيص قال لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تقدم عليه اقداما قال المهلب أما سمعت قول الكلحبة اليربوعى

فقلت لكأس ألجميها فانما * نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا

قال بلى والله قد سمعته ولكن قولى أحب الى منه

فلما وقفتم غدوة وعدوكم * الى مهجتى وليت أعداءكم ظهرى
وطرت ولم أحفل مقالة عاجز * يساقى المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب بئس حشو الكتيبة والله أنت فان شئت أذنت لك فانصرفت الى أهلك فقال بل أقيم معك أيها الامير فوهب له المهلب وأعطاه فقال يمدحه

يرى حقا عليه أبو سعيد * جلاد القوم فى أولى النفير
اذا نادى الشراة أبا سعيد * مشى فى رفل محكمة القتير

الرفل الذيل وقال المهلب ما يسرنى أن فى عسكرى ألف شجاع بدل بيهس بن صهيب فيقال

له أيها الامير بهس ليس بشجاع فيقول أجل ولكنه سديد الرأي محكم العقل وذو الرأي حذر رسول فأنا آمن ان يقتتل فلو كان مكانه ألف شجاع قلت انهم يتشامون حتى يحتاج اليهم ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بسابور وبين المهلب وبين الشراة عقبة فقال المهلب من يكفينا هذه العقبة الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلب سلاحه وقام الى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله دعانا الامير الى ضبط العقبة والحظ في ذلك لنا فلم نطعه فلبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا اليه فاذا المهلب والمغيرة لا ثالث لهما فقالوا انصرف أيها الامير فنحن نكفيك ان شاء الله فلما أصبحوا اذا بالشراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه يزلق وتلقاه مدرك بن المهلب في جماعة معه حتى ردهم فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس اذا الشراة قد تألبوا فقال المهلب سبحان الله أفي مثل هذا اليوم يا مغيرة اكفنيهم فخرج اليهم المغيرة بن المهلب وأمامه سعد بن نجد القردوسي وكان سعد شجاعا متقدما في شجاعته وكان المهلب اذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبته قال له لو كنت سعد بن نجد القردوسي ما عدا (وقردوس من الازد) فخرج أمام المغيرة وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كريه الوجه شديد الحملة صحيح الفروسية فأقبل يحمل على الناس وهو يقول

نحن صبحناكم غداة النحر * بالخيل أمثال الوشيج تجري

فخرج اليه سعد بن نجد القردوسي من الازد ثم تجاولا ساعة فطعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع يومئذ المغيرة فحامى عليه سعد بن نجد وذبيان السختياني وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عند سقطة المغيرة حتى صاروا الى أبيه المهلب فقالوا أقتل المغيرة ثم أتاه ذبيان السختياني فأخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته ووجه الحجاج

الجراح بن عبد الله الى المهلب يستبطئه فى مناجزة القوم وكتب اليه أما بعد فانك جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا وأكثر عددا وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا ولكنك اتخذت أكلا وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا أنكرتنى والسلام فقال المهلب للجراح يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة الا احتلتها ولا مكيدة الا أعملتها وما العجب من ابطاء النصر وتراخى الظفر ولكن العجب أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال ولا يزالون كذلك الى العصر وينصرف أصحابه وبهم قرح وبالخوارج قرح وقتل فقال له قد أعذرت فكتب المهلب الى الحجاج أتانى كتابك تستبطئنى فى لقاء القوم على أنك لا تظن بى معصية ولا جبنا وقد عاتبتنى معاتبة الجبان وأوعدتنى وعيد العاصى فاسأل الجراح والسلام فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاك قال والله ما رأيت أيها الامير مثله قط ولا ظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون الى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتخابطون بالعمد ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيأ رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشد ما مدحته أبا عقبة قال الحق أولى وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع فاذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد وهو أول من أمر بطبعها ففى ذلك يقول عمران بن عصام العنزى

ضربوا الدراهم فى امارتهم * وضربت للحدثان والحرب

حلقا ترى منها مرافقهم * كمناكب الجمالة الجرب

وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحى من بنى رياح بن يربوع بن حنظلة وهو والى أصبهان يأمره بالمسير الى المهلب وأن يضم اليه جند عبد الرحمن بن مخنف فكل بلد تدخلانه من فتوح

أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه وأنت على أهل الكوفة فاذا دخلتم بلدا فتحه لأهل الكوفة فأنت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة فقدم عتاب فى احدى جمادين من سنة ست وسبعين على المهلب وهو بسابور وهى من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس وعتاب على أصحاب ابن مخنف والخوارج فى أيديهم كرمان وهم بازاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحى فوجه الحجاج الى المهلب رجلين يستحثانه بمناجزة القوم أحدهما يقال له زياد بن عبد الرحمن من بنى عامر بن صعصعة والآخر من آل أبى عقيل جد الحجاج فضم زيادا الى ابنه حبيب وضم الثقفى الى يزيد ابنه وقال لهما خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة فغادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبد الرحمن وفقد الثقفى ثم باكروهم فى اليوم الثانى وقد وجد الثقفى فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبا منهم والثقفى يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدى

ألا يا اصبحانى قبل عوق العوائق * وقبل اخترط القوم مثل العقائق
غداة حبيب فى الحديد يقودنا * نخوض المنايا فى ظلال الخوافق
حرون اذا ما الحرب طار شرارها * وهاج عجاج الحرب فوق البوارق
فمن مبلغ الحجاج أن أمينه * زيادا أطاحته رماح الازارق

قوله وقبل اخترط القوم مثل العقائق يعنى السيوف والعقائق جمع عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة برق أى كأنه لمعة برق ويقال انعق البرق اذا انبسم وللعقيقة مواضع يقال فلان بعقيقة الصبى أى بالشعر الذى ولد به لم يحلقه ويقال عققت الشئ أى قطعته ومن ذا فلان يعق أبويه وكذا عققت عن الصبى اذا ذبحت عنه وقال أعرابى

ألم تعلمى يا دار بلجاء أننى * اذا أجدبت أو كان خصبا جنابها
أحب بلاد الله ما بين مشرف * الى وسلمى أن يصوب سحابها

بلادبها عق الشباب تميمتي * وأول أرض مس جلدي ترابها

فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب فكتب الحجاج الى عتاب يأمره بالمصير اليه ليوجهه الى شبيب وكتب الى المهلب بأن يرزق الجند فرزق المهلب أهل البصرة وأبى ان يرزق أهل الكوفة فقال له عتاب ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال عتاب قد كان يبلغني انك شجاع فرأيتك جبانا وكان يبلغني انك جواد فرأيتك بخيلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لكنك معم مخول فغضبت بكر ابن وائل للمهلب للحلف ووثب ابن نعيم بن هبيرة بن أخي مصقلة على عتاب فشتمه وقد كان المهلب كارها للحلف فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سره الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكده فغضبت تميم البصرة لعتاب وغضبت أزد الكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب فقال لعتاب يا أبا ورقاء ان الامير يصير لك الى كل ما تحب وسأل أباه ان يرزق أهل الكوفة فأجابه فصلح الامر فكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب وقال عتاب اني لاعرف فضله على أبيه وقال رجل من الازد من بني اياد بن سود

ألا أبلغ بني ورقاء عنا * فلولا أننا كنا غضابا

على الشيخ المهلب اذ جفانا * للاقت خيلكم منا ضرابا

وكان المهلب يقول لبنيه لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤكم فيبغوا عليكم فانهم اذا بغوا نصرتم عليهم فشخص عتاب بن ورقاء الى الحجاج في سنة سبع وسبعين فوجهه الى شبيب فقتله شبيب وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الازارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب فرفع ذلك الى المهلب فقال أنا أكفيكموه ان شاء الله فوجه رجلا من أصحابه بكتاب

وألف درهم الى عسكر قطري فقال ألقِ هذا الكتاب في عسكر قطري واحذر على نفسك
وكان الحداد يقال له أبزى فمضى الرسول وكان في الكتاب أما بعد فان نصالك قد وصلت
الي وقد وجهت اليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب والدراهم
الى قطري فدعا بأبزى فقال ما هذا الكتاب قال لا أدري قال فهذه الدراهم قال ما أعلم علمها
فأمر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غير ثقة
ولا تبين فقال له ما حال هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا
فقال له قطري قتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا وليس
للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه في جماعة ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه
رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل انما سجدت لك ففعل
النصراني فقال له قطري انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج
قد عبدك من دون الله وتلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون
فقال قطري ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر ذلك عيسى شيئا فقام رجل
من الخوارج الى النصراني فقتله فأنكر ذلك عليه وقال أقتلت ذميا فاختلفت الكلمة
فبلغ ذلك المهلب فوجه اليهم رجلا يسألهم عن شيء تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم
رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز
المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فمؤمن من أهل الجنة وأما الآخر الذي لم
يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر
الاختلاف فخرج قطري الى حدود اصطخر فأقام شهرا والقوم في اختلافهم ثم أقبل فقال
لهم صالح بن مخراق يا قوم انكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم فيكم لما ظهر من
اختلافكم فعودوا الى سلامة القلوب واجتماع الكلمة وخرج عمرو القنا فنادى يا أيها

المقصيرة فقتلاه وأسرا رجلا من الازارقة فقال له المهلب ممن الرجل قال رجل من همدان قال انك لشين همدان وخلى سبيله وكان عياش الكندي شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك فقال المهلب لا والت نفس الجبان بعد عياش وقال المهلب ما رأيت كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيد فيهم ووجه الحجاج الى المهلب رجلين أحدهما من كلب والآخر من سليم يستحثانه بالقتال فقال المهلب متمثلا

ومستعجب مما يرى من أناتنا * ولو زبنته الحرب لم يترمرم

الشعر لأوس بن حجر وقوله زبنته يقول دفعته ولم يترمرم أي لم يتحرك يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم وقال ليزيد حركهم فحركهم فتهايجوا وذلك في قرية من قرى اصطخر فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشك فخذه بالسرج فقال المهلب للسلمي والكلبي كيف نقاتل قوما هذا طعنهم وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرقاد وهو من فرسان المهلب وهو أحد بني مالك بن ربيعة على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة وقد وضع عليها القطن فلما حمل يزيد ولى الجمع وحماهم فارسان فقال يزيد لقيس الخشني مولى العتيك من لهذين قال أنا فحمل عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس الخشني فصرعه وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا الى الارض فصاح قيس الخشني اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا معانقه امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد أما أنت فبارزتها على أنها رجل فقال أرأيت لو قتلت أما كان يقال قتلته امرأة وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسي فقال له غلام له يقال له خلاج والله لوددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير الى مستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين فقال له مولاه وكيف تمنيت اثنتين قال لأعطيك احداهما وآخذ الأخرى فقال ابن المنجب

أخلاج انك لن تعانق طفلة * شرقا بها الجادي كالتمثال

حتى تلاقى فى الكتيبة مُعْلِمًا * عَمْرو القنا وعبيدة بن هلال

وترى المُقَطَّر فى الكتيبة مُقْدِمًا * فى عُصْبة قسطوا مع الضُّلّال

أو أن يُعَلِّمَك المهلّبُ غَـزْوة * وترى جبالا قد دنت لجبال

قوله طَفْلة يقول ناعمة واذا كسرت الطاء فقلت طِفلة فهى الصغيرة والجادىُّ الزعفران والكتيبة الجيش وانما سمى الجيش كتيبة لانضمام أهله بعضهم الى بعض وبهذا سمى الكتابُ ومنه قولهم كَتَبْتُ البغلة والناقة وكَتَبْتُ القربة اذا خرزت ذلك الموضع منها والمُعْلِم الذى قد شَهَرَ نفسه بعلامة اما بعمامة صبيغ واما بشُهْرة واما بغير ذلك وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه مُعْلِمًا يوم بدر بريشة نعامة فى صدره وكان أبو دُجانة وهو سماك بن خَرَشة الانصارىُّ يوم أحد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ سيفى هذا بحقه قالوا وما حقه يارسول الله قال أن يُضْرَب به فى العدوّ حتى ينحنى فقال أبو دجانة أنا فدفعه اليه فلبس مِشْهرة فأَعلم بها وكان قومه يعلمون لما بلوا منه أنه اذا لبس تلك المشهرة لم يبق فى نفسه غاية ففعل وخرج عشى بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها المِشْية يُبْغضها الله عز وجل الا فى مثل هذا الموضع ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليا صلوات الله عليه يقول لفاطمة ورمى اليها بسيفه فقال هاك حميدًا فاغسلى عنه الدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقته معك سماك ابن خرشة وسهل بن حُنَيف والحرث بن الصِّمَّة وفى بعض الحديث وقيس بن الربيع وكل هؤلاء من الانصار ۞ عاد الحديث الى ذكر الخوارج وعَمْرو القنا من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وعَبيدة بن هلال من بنى يَشْكُر بن بكر بن وائل والذى طعن صاحب المهلب فى نحره فشكها مع السرج من بنى تميم قال ولا أدرى أعمرو هو أم غيره والمقطر من عبد القيس وقوله قسطوا أى جاروا يقال قَسَطَ يقسط فهو قاسط اذا جار وقال الله جل ثناؤه وأما القاسطون

فكانوا لجهنم حطبا ويقال أقسط يقسط فهو مقسط اذا عدل قال الله تعالى ان الله يحب المقسطين وكان بدر بن الهذيل شجاعا وكان لحانة فكان اذا أحس بالخوارج نادى يا خيل الله اركبي وله يقول القائل

واذا طلبت الى المهلب حاجة * عرضت توابع دونه وعبيد
العبد كردوس وعبد مثله * وعلاج باب الأحمرين شديد

كردوس رجل من الازد وكان حاجب المهلب وقوله وعلاج باب الاحمرين شديد العرب تسمي العجم الحمراء وقصدهم تصغيرها وقوله توابع أراد به الرجال فجاز في الشعر وانما رده الى أصله للضرورة وما كان من النعوت على فاعل فجمعه فواعل لئلا يلتبس بجمع فاعلة التي هي نعت وقد قلنا في هذا وانما قالوا فوارس وهالك في الهوالك وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسنا عرف مكانه فيه وكانت بينه وبين بني المهلب جفوة فقال لهم يا بني عم اني قد قصرت عن شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأني لا موصول ولا محروم فاجعلوا لي فرجة أعش بها وهبوني امرأ رجوتم نصره أو خفتم لسانه فرجعوا له ووصلوه وكلموا فيه المهلب فوصله وولى الحجاج كردما فارس فوجهه الحجاج اليها والحرب قائمة فقال رجل من أصحاب المهلب

ولو رآها كردم لكردما * كردمة العير أحس الضيغما

الضيغم الاسد والكردمة النفور فكتب المهلب الى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن اصطخر ودرابجرد لارزاق الجند ففعل وكان قطري هدم مدينة اصطخر لان أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه آزاذمرد بن الهربذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها فواقعه المهلب فهزمه ونفاه الى كرمان واتبعه ابنه المغيرة وقد كان دفع اليه سيفا وجه به الحجاج الى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى المغيرة

بعد ما نفذ به فرجع به المغيرة اليه وقدماه فسر المهلب بذلك وقال ما يسرني أن أكون كنت وجهته الى غيرك من ولدي أكفني جباية خراج هاتين الكورتين وضم اليه الرقاد فجعلا يجبيان ولا يعطيان الجند شيأ ففي ذلك يقول رجل منهم وأحسبه من بني تميم في كلمة له

ولو علم ابن يوسف ما نلاقي * من الآفات والكرب الشداد

لفاضت عينه جزعا علينا * وأصلح ما استطاع من الفساد

ألا قل للامير جزيت خيرا * أرحنا من مغيرة والرقاد

فما رزقا الجنود بها قفيزا * وقد ساست مطامير الحصاد

يقال ساس الطعام وأساس اذا وقع فيه السوس ودادوأداد من الدود وروى أبو زيد ديد فهو مدود في هذا المعنى فحاربهم المهلب بالسيرجان حتى نفاهم عنها الى جيرفت واتبعهم فنزل قريبا منهم واختلفت كلمتهم وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكري اتهم بامرأة رجل حداد رأوه مرارا يدخل منزله بغير اذنه فأتوا قطريا فذكروا ذلك له فقال لهم ان عبيدة من الدين بحيث علمتم ومن الجهاد بحيث رأيتم فقالوا انا لا نقاره على الفاحشة فقال انصرفوا ثم بعث الى عبيدة فأخبره وقال انا لا نقار على الفاحشة فقال بهتوني يا أمير المؤمنين فما ترى قال اني جامع بينك وبينهم فلا تخضع خضوع المذنب ولا تتطاول تطاول البرىء فجمع بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم الآيات فبكوا وقاموا اليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا ففعل فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة والله لقد خدعكم فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة في اقامة الحد ثبتا وكان قطري قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطريا فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطري اني استعملته وله ضياع وتجارات فأوغر ذلك صدورهم

وبلغ ذلك المهلب فقال ان اختلافهم أشد عليهم مني وقالوا لقطري ألا تخرج بنا الى عدونا فقال لا ثم خرج فقالوا قد كذب وارتد فاتبعوه يوما فأحس بالشر فدخل دارا مع جماعة من أصحابه فصاحوا به يا دابة اخرج الينا فخرج اليهم فقال رجعتم بعدي كفارا فقالوا أوليست دابة قال الله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولكنك قد كفرت بقولك انا قد رجعنا كفارا فتب الى الله عز وجل فشاور عبيدة فقال ان تبت لم يقبلوا منك ولكن قل انما استفهمت فقلت أرجعتم بعدي كفارا فقال ذلك لهم فقبلوه منه فرجع الى منزله وعزم أن يبايع المُقَعْطَر العبدي فكرهه القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم ابغ لنا غير المقعطر فقال قطري أرى طول العهد قد غيركم وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله واقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم فقال له صالح بن مخراق ان الناس قبلنا ساموا عثمان بن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصي ففعل ويجب على الامام أن يُعفي الرعية مما كرهت فأبى قطري أن يعزله فقال له القوم انا خلعناك وولينا عبد ربه الصغير فانفصل الى عبد ربه أكثر من الشطر وجُلُّهم الموالي والعجم وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القُرّاء ثم ندم صالح بن مخراق فقال لقطري هذه نفخة من نفخات الشيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا الى عدوك فأبى قطري الا المقعطر فحمل فتى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأوجره الرمح فقتله ومعنى أوجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه قال عنترة

وآخر منهم أجررت رمحي * وفي البجلي معبلة وقيع

فنشبت الحرب بينهم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم الى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديدا فأجلت الحرب عن ألفي قتيل فلما كان الغد باكروهم القتال فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة وأقام عبد ربه بها وصار قطري خارجا من مدينة جيرفت بازائهم فقال له عبيدة يا أمير المؤمنين ان أقمت لم آمن هذه العبيد عليك الا أن

خندق فخندق على باب المدينة وجعل يناوشهم وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الامير ما حلهم قبل ان يصطلموا فقال المهلب انهم لن يصطلموا ولكن دعهم فانهم سيصيرون الى حال لا يفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطري فقل انى لم أزل أرى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذا فبان خطؤه أنقيم بين المهلب وعبد ربه يغاديه هذا القتال ويراوحه هذا فنمى الكلام الى قطري فقال صدق تنحوا بنا عن هذا الموضع فان اتبعنا المهلب قاتلناه وان أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون فقال له الصلت بن مرة يا أمير المؤمنين ان كنت تريد الله فاقدم على القوم وان كنت تريد الدنيا فاعلم أصحابك حتى يستأمنوا وأنشأ الصلت يقول

قل للمحلين قد قرت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناسا على دين ففرقنا * طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجال الضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

انى لأهونكم فى الارض مضطربا * مالى سوى فرسى والرمح من نشب

ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه منه فارتحل قطري وبلغ ذلك المهلب فقال لهريم بن عدى بن أبى طحمة المجاشعي انى لا آمن ان يكون قطري كادنا بترك موضعه فاذهب فتعرف الخبر فمضى هريم فى اثنى عشر فارسا فلم ير فى العسكر الا عبيدا وعلجا فسألهما عن قطري وأصحابه فقالا مضوا يرتادون غير هذا المنزل فرجع هريم الى المهلب فأخبره فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطري فجعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشى ففى ذلك يقول رجل من سدوس يقال له المعنق وكان فارسا

ليت الحرائر بالعراق شهدننا * ورأيننا بالسفح ذى الاجبال

فكم من أهل أبلز من فرساننا * والضاربين جماجم الأبطال

ووجه المهلب يزيد الى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطري وأنه مقيم على عبد ربه ويسأله أن يوجه في أثر قطري رجلا جلدا في جيش فسر ذلك الحجاج سرورا أظهره ثم كتب الى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب وفي الكتاب أما بعد فانك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلي فترجع بعذرك وذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس ثم تلقاهم فتحمل منهم مثل ما يحملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ولو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم ولعمري ما أنت والقوم سواء لان من ورائك رجالا وأمامك أموالا وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير فقال المهلب لاصحابه ان الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة قطري بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع وانما بين أيديكم عبد ربه في خشار من خشار الشيطان تقتلونهم ان شاء الله فكانوا يتغادون القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم الى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قد بان عذرك وأنا مخبر الامير فكتب المهلب اليه أما بعد فاني لم أعط رسلك على قول الحق أجرا ولم أحتج منهم مع المشاهدة الى تلقين ذكرت أني أجم القوم ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب وذكرت أن في ذلك الجمام ما ينسي القتلى وتبرأ منه الجراح وهيهات أن ينسى ما بيننا وبينهم تأبى ذلك قتلى لم تجن وقروح لم تتقرف ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ان طمعوا حاربوا وان ملوا وقفوا وان يئسوا انصرفوا وعلينا أن نقاتلهم اذا قاتلوا ونتحرز اذا وقفوا ونطلب اذا هربوا فان تركتني والرأي كان القرن مقصوما والداء بإذن الله محسوما وان أعجلتني لم أطعك ولم أعص وجعلت وجهي الى بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس ولما اشتد الحصار على عبد ربه قال

لاصحابه لاتفتقروا الى من ذهب عنكم من الرجال فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره والمسلم اذا اصح توحيده عزّ به وقد أراحكم الله من غلظة قطري وعجلة صالح بن مخراق ونخوته واختلاط عبيدة بن هلال ووكلكم الى بصائركم فالقوا عدوكم بصبرونية وانتقلوا عن منزلكم هذا من قُتل منكم قُتل شهيدا ومن سلم من القتل فهو المحروم وقدم فى هذا الوقت على المهلب عُبيد بن أبى ربيعة بن أبى الصلت الثقفى يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال له خالفت وصية الامير وآثرت المدافعة والمطاولة فقال له المهلب ما تركت جهدا فلما كان العشىّ خرج الازارقة وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخفّ متاعهم لينتقلوا فقال المهلب لاصحابه الزموا مصافّكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب فقال له عبيد هذا العمرى أيسر عليك فقال للناس ردّوهم عن وجههم وقال لبنيه تفرقوا فى الناس وقال لعبيد بن أبى ربيعة كن مع يزيد فخذه بالمحاربة أشدّ الاخذ وقال لاحد الامينين كن مع المغيرة ولا ترخص له فى الفتور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عُقرت الدواب وصُرع الفرسان وقُتلت الرجال فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الخسيس أشدّ قتال وسقط رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادى يقول

الليل ليل فيه ويل ويل * وسال بالقوم الشراة السيل
* ان جاز للاعداء فينا قول *

فلما عظم الخطب فيه بعث المهلب الى المغيرة خلّ عن الرمح عليهم لعنهم الله فخلوا لهم عنه ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جيرفت ودخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خلفوه من رقيق وختم عليه هو والثقفى والامينان ثم اتبعهم فاذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الاقوى يأتى الرجل بالدلو وقد شدّها فى طرف رمحه فيستقى

بها وهنالك قرية فيها أهلها فغاداهم القتال وضمّ الثقفي الى يزيد وأحد الامينين الى المغيرة واقتتل القوم الى نصف النهار فقال المهلب لابي علقمة العبدي وكان شجاعا ماثنيا أمددْ بخيل اليحمد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال له ان جماجهم ليست بفخّار فتعارَ ولا بُسْت أعناقهم كرادي فتنبت (قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لأعذاق النخل كراد وهو فارسي أُعرب) وقال لحبيب بن أوس كرّ على القوم فلم يفعل وقال

يقول لى الامير بغير علم * تقدّم حين جدّ بنا المراس

فمالى ان أطعتك من حياة * ومالى غيرَ هذا الرأس راس

نصب غير لانه استثناء مُقدّم وقد مضى تفسيره وقال لمعن بن المغيرة بن أبي صُفْرة احمل فقال لا الا أن تزوجنى أمّ مالك بنت المهلب ففعل فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم وقال

ليتَ مَن يشترى الغداةَ بمال * هلكه اليومَ عند نافرانا

نَصلُ الكرِّ عند ذاك بطعنٍ * ان للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناسُ جولةً عند حملة حملها عليهم الخوارج فالتفت عند ذلك المهلب الى المغيرة فقال مافعل الامينُ الذي كان معك قال قتل وكان الثقفيُّ قد هرب وقال ليزيد مافعل عُبيد بن أبي ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الامينُ الآخر للمغيرة أنت قتلتَ صاحبي فلما كان العشيُّ رجع الثقفي فقال رجل من بني عامر بن صعصعة

مازلتَ ياثقفيُّ تخطب بيننا * وتغمنا بوصية الحجّاج

حتى اذا ما الموتُ أقبل زاخرا * وسما لنا صرفًا بغير مزاج

ولّيتَ ياثقفيُّ غير مناظر * تنساب بين أحزّة وفجاج

ليستْ مقارعةُ الكماة لدي الوغى * شربَ المدامة في اناء زجاج

قوله بين أحزّة هو جمع حزيز وهو متن ينقاد من الارض ويغلظ والفجاج الطرق واحدها فج وقال المهلب للامين الآخر ينبغي أن تتوجه مع ابن حبيب في ألف رجل حتى تبيّتوا عسكرهم فقال ما تريد أيها الامير الا أن تقتلني كما قتلت صاحبي قال ذاك اليك وضحك المهلب ولم تكن للقوم خنادق فكان كل حذرا من صاحبه غير أن الطعام والعدّة مع المهلب وهم في زهاء ثلاثين ألفا فلما أصبح أشرف على واد فاذا هو برجل معه رمح مكسور وقد خضبه بالدماء وهو ينشد

جزاني دوائي ذو الخمار وصنعتي * اذا بات أطواء بني الأصاغر

أخادعهم عنه ليغبق دونهم * وأعلم غير الظن أني مغاور

كأني وأبدان السلاح عشية * يمرّ بنا في بطن فيحان طائر

فدعاه المهلب فقال أتميمي أنت قال نعم قال أحنظلي قال نعم قال أيربوعي قال نعم قال أثعلبي قال نعم قال أمن آل نويرة قال نعم أنا من ولد مالك بن نويرة وسبحان الله أيها الامير أيكون مثلي في عسكرك لا تعرفه قال عرفتك بالشعر قوله ذو الخمار يعني فرسا وكان ذو الخمار فرس مالك بن نويرة قال جرير يهجو الفرزدق

بيربوع فخرت وآل سعد * فلا مجدي بلغت ولا افتخاري

بيربوع فوارس كل يوم * يواري شمسه رهج الغبار

عتيبة والاحيمر وابن عمرو * وعتاب وفارس ذي الخمار

قوله أطواء يقال رجل طوي البطن أي منطو يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم جياع وذلك قوله * أخادعهم عنه ليغبق دونهم * والغبوق شرب آخر النهار وهذا شيء تفتخر به العرب قال الاسعر الجعفي

لكن قعيدة بيتنا مجفوة * باد جناجن صدرها ولها غنى

نَفِيُ بعيشه أهلها وثَابَة * أو جرشعا نهد المراكل والشوى

قال فمكثوا أياما على غير خنادق يتعارسون ودوابهم مسرجة فلم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التى قُتل فى صبيحتها عبدُ ربه جمع أصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله فى الدنيا يهبها لكم فى الآخرة فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا أنسى به ما كان قبله فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعنى على الموت فبايعه أربعون رجلا من الازد وغيرهم فصرع بعضهم وقتل بعض وجرح بعض وقال عبد الله بن رزام الحارثى لاصحاب المهلب احملوا فقال المهلب أعرابى مجنون وكان من أهل نجران فحمل وحده فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع ثم كر ثانية ففعل فعلته الاولى وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو القنا ولم يترجل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء أربعمائة موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا انا اذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب بأصحابه الارض الارض وقال لبنيه تفرقوا فى الناس ليروا وجوهكم ونادى الخوارج ألا ان العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدى أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يا بنى انى أرى موطنا لا ينجو فيه الا من صبر وما مر بى يوم مثل هذا منذ مارست الحروب وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا فهرب عمرو القنا وأصحابه واستأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجريح كثير من الخوارج فأمر المهلب بأن يدفع كل جريح الى عشيرته وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف الى جيرفت فقال الحمد لله الذى ردنا الى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيش ثم نظر الى قوم فى عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولونى

درعي فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صار بهم اليه قال ما أنتم قالوا نحن قوم جئنا لنطلب غرتك لنقتلك فأمر بهم فقتلوا ووجه المهلب كعب بن معدان الاشقرى ومرة بن تليد الازدي من أزد شنوءة فوفدا على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشده

يا حفص اني عداني عنكم السفر * (وقد سهرت فأردى نومي السهر)

فقال له الحجاج أشاعر أم خطيب قال كلاهما ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال له أخبرني عن بني المهلب قال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحيي الشجاع أن يفر من مدرك وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أملوا وأمنوا ما خافوا قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها قال فكيف كنتم أنتم وعدوكم قال كنا اذا أخذنا عفونا واذا أخذوا يئسنا منهم واذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف أفلتكم قطرى قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه الى الذى نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان الحد عندنا آثر من الفل قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشا فيهم الامن وشملهم النفل قال أكنت أعددت لى هذا الجواب قال لا يعلم الغيب الا الله قال فقال هكذا تكون والله الرجال المهلب كان أعلم بك حيث وجهك وكان كتاب المهلب الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافى بالاسلام فقد ما سواه الذى حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة

وقوم به الرضيع فانهزمت منهم الفرصة في وقت امكانها وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم تزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج أما بعد فان الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيرا وأراحهم من حد الجهاد وكنت أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيئهم ونفل الناس على قدر بلائهم وفضل من رأيت تفضيله وان كانت بقيت من القوم بقية فخلف خيلا تقوم بازائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهما من ولدك ولا ترخص لاحد في اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم علي وعجل القدوم ان شاء الله فولى المهلب ابنه يزيد كرمان وقال له يا بني انك اليوم لست كما كنت انما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج ولن تحتمل الا على ما احتمل عليه أبوك فأحسن الى من معك وان أنكرت من انسان شيأ فوجهه الي وتفضل على قومك وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا أمركم لله دركم ✽ رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه ✽ هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده ✽ ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره ✽ يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته ✽ مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير والله لكأني أسمع الساعة قطريا وهو يقول المهلب كما قال لقيط الايادي ثم أنشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى امتلأ سرورا قوله نفل أي اقسم بينهم والنفل العطية التي تفضل كذا كان الاصل وانما نفضل الله عز وجل بالغنائم على

عبادة قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل * (وباذن الله ريث وعجل)

وقال جل جلاله يسالونك عن الانفال ويقال نفلتك كذا وكذا اى اعطيتك ثم صار النفل لازما واجبا وقول الايادى رحب الذراع فالرحب الواسع وانما هذا مثل يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين والذراعين وليس المعنى على تباعد الخلق ولكن على سهولة الامر عليه قال الشاعر

رحيب الذراع بالتى لا تشينه * وان قيلت العوراء ضاق بها ذرعا

وكذلك قوله جل وعز يجعل صدره ضيقا حرجا وقوله مضطلعا انما هو مفتعل من الضليع وهو الشديد يريد انه قوى على امر الحرب مستقل بها وقوله يكون متبعا طورا ومتبعا اى قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به امر الناس واتبع فعلم ما يصلح الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد اتانا وابلى علينا اى قد اصلحنا امور الناس واصلحت امورنا وقوله على شزر مريرته فهذا مثل يقال شزرت الحبل اذا كررت فتله بعد استحكامه راجعا عليه والمريرة الحبل والضرع الصغير الضعيف والقحم الذى اسن من الشيخ قال العجاج

رأين قحما شاب واقلحما * طال عليه الدهر واسلهما

والمقلحم مثل القحم وهو الجافى ويقال للصبى مقلحم اذا كان سيئ الغذاء او ابن هرمين ويقال رجل انقحل وامرأة انقحلة اذا اسن حتى ييبس والمسلهم الضامر قال الشاعر

* لما رأتنى خلقا انقحلا * ويقال فى معنى قحم قحمر ويقال بعير قحارية فى هذا المعنى وقوله لا يطعم النوم الا ريث يبعثه هم فريشه وعوض هم اضافة الى الافعال وتأويله انه لا يطعم النوم الا يسيرا حتى يبعثه الهم فمعناه مقدار ذلك ومما يضاف الى الافعال اسماء الزمان كقوله عز ذكره هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فاسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل

نحو قولك آتيتك يوم يخرج زيد وجئتك يوم قام عبد الله وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف الى الابتداء والخبر فتقول جئتك يوم زيد أمير ولا يجوز ذلك في المستقبل وذلك لأن الماضي في معنى اذ وأنت تقول جئتك اذ زيد أمير والمستقبل في معنى اذا فلا يجوز أن تقول آتيك اذا زيد أمير فلذلك لا يجوز آتيك يوم زيد أمير فأما الافعال في اذا واذ فهي بمنزلة واحدة تقول جئتك اذ قام زيد وآتيك اذا قام زيد فهذا واضح بين وربما يضاف الى الفعل ذو في قولهم افعل ذاك بذي تسلم وافعلاه بذي تسلمان معناه بالذي يسلمكما من ذلك آية في قوله

بآية تقدمون الخيل شعثا * كأن على سنابكها مداما

والنحو يتصل ويكثر وانما تركنا الاستقصاء لانه موضع اختصار فقال المهلب انا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أحد ولكن دمغ الحق الباطل وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للتقوى وكان ما كرهناه من المطاولة خيرا مما أحببناه من العجلة فقال له الحجاج صدقت اذكر لي القوم الذين أبلوا وصف لي بلاءهم فأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ما ذخر الله لكم خير لكم من عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم في الغناء وقدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمدا ثم قال أما والله لو تقدمهم أحد في البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لأخرتهم قال الحجاج صدقت وما أنت بأعلم بهم مني وان حضرت وغبت انهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة بن أبي صفرة والرقاد وأشباههما فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذا فارس العرب فقال الرقاد أيها الامير اني كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمني الصبر ويجعلني اسوة نفسه وولده ويجازيني على البلاء صرت أنا وأصحابي فرسانا فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قدر

بلاتهم وزاد ولد المهلب ألفين وفعل بالرقاد وجماعة شبيهاً بذلك قال يزيد ابن حبناء من الأزارقة

دعى اللوم ان العيش ليس بدائم * ولا تعجلى باللوم يا أم عاصم
فان عجلت منك الملامة فاسمعى * مقالة معنى بحقك عالم
ولا تعذلينا فى الهدية انما * تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمهد من يكون نهاره * جلاداً ويمسى ليله غير نائم
يريد ثواب الله يوما بطعنة * غموس كشدق العنبرى بن سالم
أبيت وسربالى دلاص حصينة * ومغفرها والسيف فوق الحيازم
حلفت برب الواقفين عشية * لدى عرفات حلفة غير آثم
لقد كان فى القوم الذين لقيتهم * بسابور شغل عن بزوز اللطائم
توقد فى أيديهم زاعبية * ومرهفة تفرى شؤن الجماجم

قوله من يكون نهاره جلادا ويمسى ليله غير نائم يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة وفى القرآن بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص

أما النهار ففى قيد وسلسلة * والليل فى جوف منحوت من الساج

وقال آخر

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى * ونمت وما ليل المطى بنائم

ولو قال من يكون نهاره جلاد ويمسى ليله غير نائم لكان جيدا وذلك أنه أراد من يكون نهاره يجالد جلادا كما تقول انما أنت سيرا وانما أنت ضربا تريد تسير سيرا وتضرب ضربا فاضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيرا ولو رفعه على أن يجعل الجلاد فى موضع المجالد على قوله أنت

سيراً أي أنت سائر كما قالت الخنساء * فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ * وفي القرآن قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً أي غائراً وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح ولو قال وغبى ليله غير نائم لجاز تصير اسمه في غبى ويجعل ليله ابتداء وغير نائم خبره على السعة التي ذكرنا وقوله غموس يريد واسعة محيطة والعنبري بن سالم رجل منهم كان يقال له الاشدق واللطائم واحدها لطيمة وهي الابل التي تحمل البز والعطر وقوله توقد في أيديهم زاعبية يعني الرماح والتوقد للأسنة والزاعبية منسوبة الى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح وتفرى تقد يقال فرى اذا قطع وأفرى اذا أصلح وقال حبيب بن عوف من قواد المهلب

أبا سعيد جزاك الله صالحة * فقد كفيت ولم تعنف على أحد

داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا * وكنت كالوالد الحاني على الولد

وقال عبيدة بن هلال في هربهم مع قطري

ما زالت الأقدار حتى قذفنني * بقومس بين الفرسان وصول

ويروى أن قاضي قطري وهو رجل من بني عبد القيس سمع قول عبيدة بن هلال

علا فوق عرش فوق سبع ودونه * سماء ترى الارواح من دونها تجرى

فقال له العبدى كفرت الآن تأتى بمخرج قال نعم روح المؤمن تعرج الى السماء قال صدقت

وقال يذكر رجلا منهم

يهوى وترفعه الرماح كأنه * شلو تنشب في مخالب ضارى

فتوى صريعاً والرماح تنوشه * ان الشراة قصيرة الأعمار

تنوشه تأخذه وتتناوله قال الله عز وجل وأنى لهم التناوش من مكان بعيد أي التناول ومثل بيته هذا قول حبيب الطائى

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى * أفناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

وقال أيضا فى شبيه بهذا المعنى

ان يتحل حدثان الموت أنفسكم * ويسلم الناس بين الحوض والعطن

فالماء ليس عجيبا أن أعذبه * يفنى ويمتد عمر الآجن الآسن

وقال أيضا

عليك سلام الله وقفا فاننى * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال القاسم بن عيسى

أحبك يا جنان فأنت منى * مكان الروح من بدن الجبان

ولو أنى أقول مكان روحى * لخفت عليك بادرة الزمان

لاقدامى اذا ما الحرب جاشت * وهاب حماتها حر الطعان

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى

أكان الجبان يرى أنه * يدافع عنه الفرار الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

رجع الحديث وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب

سائل بنا عمرو القنا وجنوده * وأبا نعامة سيد الكفار

أبو نعامة قطرى وقال المغيرة ابن حبناء الحنظلى من أصحاب المهلب

انى امرؤ كفنى ربى وأكرمنى * عن الامور التى فى رغبها وخم

وانما أنا انسان أعيش كما * عاشت رجال وعاشت قبلها أمم

ما عاقنى عن قفول الجند اذ قفلوا * عنى بما صنعوا عجز ولا بكم

ولو أردت قفولا ما تجهمنى * اذن الامير ولا الكتاب اذ رقوا

ان المهلب ان أشتق لرؤيته * أو أمتدحه فان الناس قد علموا

ان الاريب الذى نرجى نوافله * والمشعان الذى تجلى به الظلم

القائل الفاعل الميمون طائره * أبو سعيد اذا ماعدت النسم

أزمان أزمان اذ عض الحديد بهم * واذ تمنى رجال انهم هزموا

قال أبو العباس وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل شئ بشئ والحديث ذو شجون ويفترح المقترح ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب ويصده عن سننه ويزيله عن طريقه ونحن راجعون ان شاء الله الى ما ابتدأنا له هذا الكتاب فان مر من أخبار الخوارج شئ مر كما مر غيره ولو نسقناه على ما جرى من ذكرهم لكان الذى يلى هذا الخبر نجدة وأبى فديك وعمارة الرجل الطويل وشبيب ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصا

٥٣ ﴿باب فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ﴾

كان الحسن يقول الحمد لله الذى كلفنا مالو كلفنا غيره لصرنا فيه الى معصيته وآجرنا على مالابد لنا منه يقول كلفنا الصبر ولو كلفنا الجزع لم يمكنا أن نقيم عليه وآجرنا على الصبر ولابد لنا من الرجوع اليه وكان على بن أبى طالب صلوات الله عليه يقول عند التعزية عليكم بالصبر فان به يأخذ الحازم واليه يعود الجازع وقال للأشعث بن قيس ان صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وان جزعت جرى عليك القدر وأنت موزور وقال الخريمى

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وفى هذا الشعر وان لم يكن من هذا الباب

وأعددته ذخرا لكل ملمة * وسهم المنايا بالذخائر مولع

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تزوجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلى وهذه الخطبة من أقصد خطب الجاهلية ومن جيد محاورات العرب ما روى انا عن يحيى بن محمد بن عروة عن أبيه عن جده قال أقحمت السنة علينا النابغة الجعدى فلم يشعر به ابن الزبير حين صلى الفجر حتى مثل بين يديه يقول

حكيت لنا الصديق حين وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس فى العدل فاستووا * فعاد صباحا حالك الليل مظلم

أتاك أبو ليلى يشق به الدجى * دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لترقع منه جانبا زعزعت به * صروف الليالى والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليلى فأيسر وسائلك عندنا الشعر أما صفوة أموالنا فلبنى أسد وأما عفوتها فلآل الصديق ولك فى بيت المال حقان حق لصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بحقك فى المسلمين ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رحيل ثم أمر بأن توقر له حبا وتمرا فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستجمع به الحب فيأكله فقال له ابن الزبير لشد ما بلغ منك الجهد يا أبا ليلى فقال النابغة أما على ذلك لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما استرحمت قريش فرحمت وسئلت فأعطت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون على الحوض فراط القادمين قوله أقحمت السنة يكون على وجهين يقال اقحم اذا دخل قاصدا وأكثر ما يقال من غير أن يدخل ويكون من القحمة وهى السنة الشديدة وهو أشبه

الوجهين والآخر حسن والسنة الجدب يقال أصابتهم سنة أي جدب ومن ذا قوله جل وعز ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي بالجدب وقوله صفوة فهي في معنى الصفو وأكثر ما يستعمل الكسر والباب في المصادر للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجلسة والركبة والمشية والنيمة كأنها خلقة والعفوة أعاهو ما عفا أي ما فضل وخذ العفو قالوا الفضل وكذلك قوله جل اسمه ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله عثم يريد الموثق الخلق الشديد وذعذعت أي أذهبت ماله وفرقت حاله وقوله راحلة رحيل أي قوية على الرحلة معودة لها ويقال فحل فحيل أي منتخم في الفحلة وفي الحديث أن ابن عمر قال لرجل اشتر لي كبشا للاضحى به أملح واجعله أقرن فحيلا وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين الفارط الذي يتقدم القوم فيصلح لهم الدلاء والأرشية وما أشبه ذلك من أمرهم حتى ومن ذلك قول المسلمين في الصلاة على الطفل اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وكان يقال يكفيك من قريش أنها أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبا ومن بيت الله بيتا ويقال ان دار أسد بن عبد العزى كان يقال لها رضيع الكعبة وذلك أنها كانت تبنى عليها الكعبة صباحا وتبنى على الكعبة عشيا وان كان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمي بنعله في منزله فتصلح له واذا هو في الطواف رمي بها اليه وفي ذلك يقول القائل

لهاشم وزهير فضل مكرمة * بحيث حلت نجوم الكبش والاسد

مجاور البيت ذي الاركان بيتهما * ما دونهم في جوار البيت من أحد

وقال آخر

سمين قريش مانع منك لحمه * وغث قريش حيث كان سمين

وقال آخر

وإذا ما أصبتَ من قريش * هاشميًّا أصبتَ قصدَ الطريق

وقال حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي يدعوه الى حلفه ونزول مكة

أبا مطر هلمّ الى صلاحٍ * فتكفيك الندامى من قريش

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم * أبا مطر هُديت لخير عيش

وتسكن بلدة عزّت قديما * وتأمن أن يزورك ربّ جيش

صلاح اسم من أسماء مكة وكانت مكة بلدا لقاحا واللقاح الذي ليس في سلطان ملك وكانت لا تُغزى تعظيما لها حتى كان أمر الفجار وإنما سمي الفجار لفجورهم اذ قاتلوا في الحرم وكانت قريش تُعزّ الحليف وتُكرم المولى وتكاد تُلحقه بالصميم وكانت العرب تفعل ذلك ولقريش فيه تقدّم ودخل سُديف مولى أبي العباس السفاح على أبي العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف أقبل على أبي العباس وقال

لا يغرّنك ما ترى من أناس * ان تحت الضلوع داءً دويّا

فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فأقبل عليه سليمان فقال قتلتني أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فدخل فاذا المنديل قد أُلقي في عنق سليمان ثم جُرّ فقُتل ودخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله ابن علي وقد أجلس ثمانين رجلا من بني أمية على سِمط الطعام فمثل بين يديه فقال

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبهاليل من بني العبّاس

طلبوا وترَ هاشم فشفوها * بعد ميلٍ من الزمان وياس

لا تُقيلنّ عبدَ شمسٍ عثارا * واقطعن كلّ رقلة وأواسي

ذُلّها أظهر التودّد منها * وبها منكم كحزّ المواسي

ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربهم من نمارق وكراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناس

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الإفلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وقال لشبل لولا أنك خلطت كلامك بالمسألة لاغنمتك جميع أموالهم ولعقدت لك على جميع موالي بني هاشم قوله الآساس واحدها أس وتقديرها فعل وأفعال وقد يقال للواحد أساس وجمعه أسس والبهلول الضحاك وقوله بعد ميل من الزمان وياس يقال فيك ميل علينا وفي الحائط ميل وكذلك كل منتصب وقوله واقطعن كل رقلة الرقلة النخلة الطويلة ويقال اذا وصف الرجل بالطول كأنه رقلة والاواسي ياؤه مشددة في الاصل وتخفيفها يجوز ولو لم يجز في الكلام لجاز في الشعر لان القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه في القوافي جائز كقوله

أصحوت اليوم أم شاقتك هر * (ومن الحب جنون مستعر)

وواحدها آسية وهي أصل البناء بمنزلة الاساس وقوله وغاظ سوائي تقول ما عندي رجل سوى زيد فتقصر اذا كسرت أوله فاذا فتحت أوله على هذا المعنى مددت قال الأعشى

تجانف عن جو اليمامة ناقتي * وما قصدت من أهلها لسوائكا

والسواء ممدود في كل موضع وان اختلفت معانيه فهذا واحد منه والسواء الوسط منه قوله عز وجل فرآه في سواء الجحيم وقال حسان

يا ويح أنصار النبي ورهطه * بعد المغيب في سواء الملحد

والسواءُ العدل والاستواء ومنه قوله عز وجل الى كلمة سواء بيننا وبينكم ومن ذلك عمرو وزيد سواءٌ والسواءُ التمام يقال هذا درهم سواءٌ وأصله من الاول وقوله عز وجل فى أربعة أيام سواءً للسائلين معناه تماما ومن قرأ سواءٍ فانما وضعه فى موضع مُستويات والنمارق واحدتها نُمرُقةٌ وهى الوسائد قال الفرزدق

وانا لتجرى الكاسُ بين شُروبنا * وبين أبى قابوسَ فوق النمارق

وقال نُصيبٌ

اذا ما بساطُ اللهو مُدَّ وقُرِّبت * للذّاته أنماطُه ونمارقه

وقوله مصرع الحسين وزيد يعنى زيد بن علىّ بن الحسين كان خرج على هشام بن عبد الملك وقتله يوسفُ بن عمر الثقفىُّ وصلبه بالكُناسة عريانا هو وجماعة من أصحابه ويروى الزبيريون أنه كان بين يوسف بن عمر وبين رجل احنةٌ فكان يطلب عليه علّةً فلما ظفر بزيد بن على وأصحابه أحسوا بالصلب فأصلحوا من أبدانهم واستحدّوا فصُلبوا عُراةً وأخذ يوسف عدوه ذلك فحمله أنه كان من أصحاب زيد فقتله وصلبه ولم يكن استعد لانه كان عند نفسه آمنا وكان بالكوفة رجل معتوه عَقدُه التشيُّع فكان يجىء فيقف على زيد وأصحابه فيقول صلى الله عليك يا ابن رسول الله فقد جاهدتَ فى الله حقَّ جهاده وأنكرتَ الجور ودافعتَ الظالمين ثم يُقبِلُ عليهم رجلا رجلا فيقول وأنتَ يا فلانُ فجزاكَ الله خيرا فقد جاهدتَ فى الله حق جهاده وأنكرتَ الجورَ ونصرتَ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقف على عدوّ يوسف فيقول فأما أنت يا فلانُ فوفورُ عانتك يدل على أنك برىءٌ مما قُرِفتَ به وقال حبيب بن جَدَرةَ ويقال جُدْرةُ وهى السلعةُ الهلالىُّ (قال الاخفش الصحيح عندنا ابن خَدَرةَ بالخاء وكسرها وقال المبرد لم أسمعه الا جدرةَ ويقال جُدرةُ) وهو من الخوارج يعنى زيد بن على

يا با حسينٍ لو شُراةُ عصابةٍ * صَبحوكَ كان لوِرْدِهم إصدار

يا باحسين والجديد الى بلى * أولادُ دَرْزَةَ أسلموكَ وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط أولادُ درزة وتقول لمن تَسُبّهُ ابن فرتنى وأولاد فرتنى وتقول للصوص بنو غبراء وفي هذا باب ويروى أن شاعراً لبنى أمية قال معارضاً للشيع فى تسميتهم زيداً المهدى والشاعر هو الأعور الكلبي

صَلَبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ * ولم نَرَ مهدياً على الجذع يُصلَبُ

وتُطِير بعد زمينٍ الى رأس زيد مُلقًى في دار يوسف وديكٌ ينقره فقال قائل من الشيعة

اطْرُدوا الديك عن ذُؤابة زيد * طال ما كان لا تطاه الدجاج

وقوله وقتيلا بجانب المهراس يعني حمزة بن عبد المطلب والمهراس ماء بأُحد ويروى فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه على فى دَرَقته بماء من المهراس فعافه فغسل به الدم من وجهه وقال ابن الزبعرى فى يوم أُحد

ليت أشياخى ببدرٍ شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل

فاسأل المهراس من ساكنُه * بعد أبدان وهام كالحجل

وانما نَسَب شبلٌ قتل حمزة الى بنى أمية لان أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد والقتيل الذى بحرّان هو ابراهيم بن محمد بن على وهو الذى يقال له الامام وكان يقال ضَحَّى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن أبى طالب وأصحابه ويوم العقر يوم قُتل يزيد بن المهلب وأصحابُه واعاذ كرنا هذا لتقدم قريش فى اكرام مواليها ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مُوتة زيداً مولاه وقال ان قُتل فأميركم جعفر وأمّر رسول الله أسامة بن زيد فبلغه أن قوما قد طعنوا فى امارته وكان أمّره على جيش فيه جلّة المهاجرين والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم فى امارته لقد طعنتم فى امارة أبيه قبله ولقد كان لها أهلا وان أسامة لها لأهلٌ وقالت عائشة لو كان زيد حيا

ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت أسامة علي وأنا وهو سيان فقال كان أبوه أحب الى رسول الله من أبيك وكان أحب الى رسول الله منك وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أسامة أذى من مخاط أو لعاب فكأنها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال له يوما لو لم يكن أسامة من أجمل الناس لو كنت جارية لعطلناك وحليناك حتى يرغب الرجال فيك وفي بعض الحديث أنه قال أسامة من أحب الناس الي وكان صلى الله عليه وسلم أدى الى بني قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي بن أبي طالب عليه السلام سلمان منا أهل البيت وروى أن المهدي نظر اليه ويد عمارة بن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا أمير المؤمنين فقال أخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر ذلك المهدي كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول ومولاي فأنفض والله يدك من يدي فتبسم أمير المؤمنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب زعم الليثي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له له بهاء ورواء ولسن فوجه جعفر الى مسمع مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان أنصفني والله جعفر أنصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجه الي مولى مثل هذا وأومأ الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا انما ابكره وجهت اليه وأومأ الى مولاه فتعجب أهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذي تنهى عنه العرب وقد قيل الرجل لابيه والمولى من مواليه وفي بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طينة المعتق ويروى ان سلمان أخذ من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فيه فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا ويروى ان رجلا من موالي بني مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع

عمرو بن هدّاب المازنيّ وهو في ذلك الوقت سيد بني تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى أذن له في هدم داره فأدخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كفّ عنه ثم قال يا عمرو قد أرسلت القدرة وسأريك العفو وقد كان في قريش من فيه جفوة ونبوة كان نافع بن جبير أحد بني نوفل بن عبد مناف اذا مرّ عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشيّ قال واقوماه وان قيل عربي قال وامادّتاه وان قيل مولى أو عجمي قال اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت ويروى أنّ ناسكا من بني الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة فأما العجم فهم عبيدك والامر اليك وزعم الاصمعي قال سمعت اعرابيا يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة قال أرى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك وهذا باب لم نكن ابتدانا ذكره ولكن الحديث يجرّ بعضه بعضا ويحمل بعضه على لفظ بعض ثم نعود الى ما ابتدأناه ان شاء الله وهو ما نختاره من مختصرات الخطب وجميل المواعظ والزهد في الدنيا المتصل بذلك وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم قد ذكرنا في صدر كتابنا هذا أنا نذكر فيه خطبا ومواعظ فمما نذكره من ذلك أمر التعازي والمراثي فانه باب جامع وقد قيل انه لم يقل في شيء قط كما قيل في هذا الباب لان الناس لا ينفكون من المصايب ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه ومن لم يقدم نفيسا كان هو النفيس المقدم دون النفيس وحق الانسان الصبر على النوائب واستشعار ما قدّرناه اذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار لا دار استواء وعلى فراق المألوف حرقة لا تدفع ولوعة لا تردّ وانما يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة في الآخرة وجميل الذكر فقد قال أبو خراش الهذلي وهو أحد حكماء العرب يذكر أخاه عروة بن مرة

تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبي أني تناسيت عهده * ولكن صبري يا أميم جميل

وقال عمرو بن معدي كرب

كم من أخ لى حازم ٭ وأنه بيدى فقدا
أعرضت من تذكاره ٭ وخلقت يوم خلقت جلدا

وكان يقال من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأى وعزى رجل رجلا عن ابنه فقال أكان يغيب عنك قال كانت غيبته أكثر من حضوره قال فانزله غائبا عنك فانه ان لم يقدم عليك قدمت عليه وقال ابراهيم بن المهدي يذكر ابنه

وانى وان قدمت قبلى لعالم ٭ بانى وان أبطأت منك قريب
وان صباحا نلتقى فى مسائه ٭ صباح الى قلبى الغداة حبيب

وكفى باليأس معزيا او بانقطاع الطمع زاجرا كما قال الشاعر

أبا عمرو لم أصبر ولى فيك حيلة ٭ ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر
تصبرت مغلوبا وانى لموجع ٭ كما صبر العطشان فى البلد القفر

وقال بعض المحدثين (قال الاخفش هو حبيب الطائى) وليس بناقصه حظه من الصواب أنه محدث بقوله لرجل رثاه

عجبت لصبرى بعده وهو ميت ٭ وقد كنت أبكيه دما وهو غائب
على انها الايام قد صرن كلها ٭ عجائب حتى ليس فيها عجائب

وحدثت أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك خطب الناس فقال الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجبا على عباده فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم ودنيهم فقال تبارك وتعالى كل نفس ذائقة الموت فليعلم ذوو النهى منهم أنهم صائرون الى قبورهم مفردون بأعمالهم واعلموا أن لله مسئلة فاحصة قال الله تبارك وتعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وله يقول القائل

تعزَّ أميرَ المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذى الصغير بولد

هل ابنك الا من سلالة آدم * لكلٍّ على حوض المنية مورد

وقال رجل من قريش يرثى ابنه (قال أبو الحسن هو العتبي)

بأبي وأمي من عبأت حنوطه * بيدى وودعني بماء شبابه

كيف السلوّ وكيف صبري بعده * واذا دعيت فانما أكنى به

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثى عاصم بن عمر

فان يك حزن أو تجرّع غصة * أمارا تجيعا من دم الجوف منقعا

تجرّعته في عاصم واحتسيته * لأعظم منه ما احتسى وتجرّعا

وقال أبو سعيد اسحق بن خلف يرثى ابنة أخته وكان تبناها وكان حدبا عليها كلفا بها

أمست أميمة معمورا بها الرجم * لقى صعيد عليها الترب مرتكم

يا شقة النفس ان النفس والهة * حرّى عليك ودمع العين منسجم

قد كنت أخشى عليها أن تقدّمني * الى الحمام فيبدى وجهها العدم

فالآن نمت فلا هم يؤرّقني * يهدا الغيور اذا ما أودت الحرم

للموت عندي أياد لست أنكرها * أحيا سرورا وبي مما أتى ألم

وهذه المرثية ليست مما تقع مع الجزع القراح والحزن المفرد ولكنه باب للمراثي يجمع افراط الجزع وحسن الاقتصاد والميل الى التشكي والركون الى التعزى وقول من كان له واعظ من نفسه أو مذكر من ربه ومن غلبت عليه الجساوة وكان طبعه الى القساوة فقد استلط كل بكل وقال رجل من المحدثين يرثى أخاه

تجل رزيات وتعرو مصائب * ولا مثل ما أنحت علينا يد الدهر

لقد عركتنا للزمان ملمة * أذمت بمحمود البلادة والصبر

فهذا يحسن من قائله أن الرجل كان جليلا باجماع فلقائل أن يتفسح فى القول فيه وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وكان عبد الرحيم من جلة أهله لسنا ونعمة وسنا وولاية ومات معزولا عن اليمن فى حبس الخليفة وأم جعفر ابن سليمان أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم فلذلك يقول عبد العزيز فى هذه القصيدة

عونك يا عبد الرحيم بن جعفر * تفاحش صدع الدين عن الأم الكسر

فيا ابن النبى المصطفى وابن بنته * ويا ابن على والقواطم والحبر

ويا ابن اختيار الله من آل آدم * أبا فأبا طهرا يؤدى الى طهر

ويا ابن سليمان الذى كان مفزعا * لمن ضاقت الدنيا به من بنى فهر

ومن ملأ الدنيا سماحا ونائلا * وروى حجيجا بالمدمعة القفر

لعز علينا فقدنا الناس رزيئة * عونك محبوسا على صاحب القبر

فان تمس فى حبس الخليفة ثاويا * أبيا لما يعطى الذليل على القسر

لكم من عدو للخليفة قد هوى * بكفك أو أعطى المقادة عن صغر

فواحزنا لو فى الوغى كان موته * بكينا عليه بالردينية السمر

وكنا وقينا القنا بنحورنا * وفاتك كذا فى غير هيج ولا نفر

وحدثت أن عمر بن الخطاب لما ولى كعب بن سور الازدى قضاء البصرة أقام عاملا له عليها الى أن استشهد على أنه كان قد عزله ثم رده فلما قام عثمان بن عفان أقره فلما كان يوم الجمل خرج مع اخوة له قالوا ثلاثة وقالوا أربعة وفى عنقه مصحف فقتلوا جميعا فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت

يا عين جودي بدمع سَرِبٍ * على فتية من خيار العرب
وما لهم غير حين النفو * س أيُّ أميرَيْ قريش غلب

هذه الرواية سَرِب وقالوا معناه جارٍ في طريقه من قولهم انسَرَب في حاجته وبيت ذي الرُّمَّة يُختار فيه الفتح * كأنه من كُلَى مفرية سَرَبُ * لانه اسم والاول المكسور نعت ويقبح وضع النعت في موضع المنعوت غير المخفوض (قال أبو الحسن حق النعت أن يأتي بعد المنعوت ولا يقع في موقعه حتى يدلّ عليه فيكون خاصًّا له دون غيره تقول جاءني انسانٌ طويلٌ فان قلت جاءني طويلٌ لم يجز لان طويلا أعمّ من قولك انسان فلا يدل عليه فان قلت جاءني انسانٌ متكلّمٌ ثم قلت بعدُ جاءني متكلّمٌ جاز لانك تدلّ به على الانسان فهذا شرح قوله المخصوص) وقولها غير حين النفوس نصب على الاستثناء الخارج من أول الكلام وقد ذكرناه مشروحا والمراثي كثيرة كما وصفنا وانما نكتب منها المختار والنادر والمتمثّل به السائر فمن مليح ما قيل قول رجل يرثي أباه (قال أبو الحسن يقال انه ابن لابي العتاهية)

قلبُ يا قلبُ أوجعكْ * ما تعدّى فضعضعكْ
يا أبي ضمّك الثرى * وطوى الموت أجمعكْ
ليتني يوم متّ صر * تُ الى تربة معكْ
رحم الله مصرعكْ * برّد الله مضجعكْ

وقال ابراهيم بن المهدي يرثي ابنه وكان مات بالبصرة

نأى آخر الايام عنك حبيبُ * فللعين سَحٌّ دائم وغروبُ
دعته نوى لا يُرتجى أوبة لها * فقلبك مسلوب وأنت كئيبُ
يؤوب الى أوطانه كلّ غائب * وأحمدُ في الغيّاب ليس يؤوب
تبدّل دارا غير داري وجيرةً * سوايَ وأحداثُ الزمان تنوب

أقام بها مستوطنا غير انه * على طول أيام المقام غريب

كأن لم يكن كالغصن في منبت الضحى * سقاه الندى فاهتز وهو رطيب

كأن لم يكن كالدر يلمع نوره * بأصدافه لما تشنه ثقوب

كأن لم يكن زين الفناء ومعقل الـ * ـنساء اذا يوم يكون عصيب

وريحان صدري كان حين أشمه * ومؤنس قصري كان حين أغيب

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت * بحمد الهي وهي منه سليب

قليلا من الايام لم يرو ناظري * بها منه حتى أعلقته شعوب

كظل سحاب لم يقم غير ساعة * الى أن أطاحته فطاح جنوب

أو الشمس لما من غمام تحسرت * مساء وقد ولت وحان غروب

سأبكيك ما أبقت دموعي والبكى * بعيني ماء يا بني يجيب

وما غار نجم أو تغنت حمامة * أو اخضر في فرع الاراك قضيب

حياتي ما دامت حياتي فان أمت * ثويت وفي قلبي عليك ندوب

وأضمر ان أنفدت دمعي لوعة * عليك لها تحت الضلوع وجيب

دعوت أطباء العراق فلم يصب * دواءك منهم في البلاد طبيب

ولم يملك الآسون دفعا لمهجة * عليها لأشراك المنون رقيب

فقصت جناحي بعد ما هد منكبي * أخوك فرأسي قد علاه مشيب

فأصبحت في الهلاك الا أشاشة * تذاب بنار الحزن فهي تذوب

توليتما في حقبة فتركتما * صدى يتولى تارة ويثوب

فلا ميت الا دون رزئك رزؤه * ولو فتتت حزنا عليه قلوب

واني وان قدمت قبلي لعالم * بأني وان أبطأت منك قريب

وإنّ صَباحاً نلتقي في مَسائه * صباحٌ الى قلبي الغداةَ حبيبُ

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبي وتتابع له بنون

كلَّ لساني عن وصف ما أجدُ * وذُقْتُ ثُكْلاً ما ذاقه أحدُ

وأُوطِنَتْ حُرقةً حشايَ فقد * ذابَ عليها الفؤادُ والكَبِدُ

ما عالجَ الحزنَ والحرارةَ في الـ * ـأحشاء من لم يَمُتْ له ولَدُ

فُجِعْتُ باثنين ليس بينهما * إلا لَيالٍ ليست لها عَدَدُ

فكلُّ حزنٍ يَبْلى على قِدَم الـ * ـدهر وحزني يُجِدُّه الأبَدُ

وذكر بعض الرواة أن عُبَيْدَ الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملاً لعلي بن أبي طالب على اليمن فشخص الى علي واستخلف على اليمن عمرو بن أراكة الثقفي فوجه معاويةُ الى اليمن ونواحيها بُسْر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي فقتل عمرو بن أراكة فجزع عليه عبدُ الله أخوه جزعاً شديداً فقال أبوه

لَعَمري لئن أتبعتَ عينيك ما مضى * به الدهرُ أو ساقَ الحِمامُ الى القبر

لَتَسْتَنْفِدَنْ ماءَ الشؤون بأسْرِه * ولو كنتَ تَمْريهنَّ من ثَبَجِ البحر

لَعمري لقد أردى ابنُ أرطاةَ فارساً * بصنعاءَ كالليث الهِزَبْرِ أبي أجر

وقلتُ لعبد الله إذ حنَّ باكياً * تعزَّ وماءُ العين منهمرٌ يجري

تبيَّنْ فإن كان البكا ردَّ هالكاً * على أهله فاشْدُدْ بكاكَ على عمرو

ولا تبكِ ميتاً بعد ميتٍ أجَنَّهُ * عليٌّ وعباسٌ وآلُ أبي بكر

قوله من ثبج البحر فثبجُ كلِّ شيء وسطُه ويُروى في الحديث كنتُ اذا فاتحتُ الزهري فتقتُ منه ثبجَ البحر وقوله تمريهن هو مثل يقال مَرَيْتُ الناقةَ اذا مسحتَ ضرعها لتدرّ فانما هو استخراج اللبن ويقال مريتُ برجلي الأرض اذا مسحتُها والاصل ذلك فانما أراد ولو كنتَ تستخرج

الدموع من نيح البحر وكان بسر بن أرطاة في تلك الحروب أرشد على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأمهما من بني الحرث بن كعب فوارتهما فيقال انه أخذهما من تحت ذيلها فقتلهما ففي ذلك تقول الحارثية

الا من بين الاخوين شتى أمهما هي الثكلى
تسائل من رأى ابنيها * وتستبي فما تستبي

وفي ذلك تقول أيضا

يا من أحس بنيي اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بنيي اللذين هما * سمعي وطرفي فطرفي اليوم مختطف
يا من أحس بنيي اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي طفلي مرهفة * مشحوذة وعظيم الافك يقترف
من دل والهة حرى مفجعة * على صبيين غابا اذ مضى السلف

ويروى أن معاوية لما أتاه موت عتبة تمثل

اذا سار من خلف امرئ وأمامه * وأوحش من أصحابه فهو سائر

فلما أتاه موت زياد تمثل

وأفردت سهما في الكنانة واحدا * سيرمى به أو يكسر السهم كاسر

وماتت امرأة للفرزدق بجمع ومعي جمع ولدها في بطنها (وان شئت قلت جمع بافتى) فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنسأته لياليا

وهذا من البغي في الحكم والتقدم وقال رجل من المحدثين في ابنين لعبد الله بن طاهر أصيبا

في يوم واحد وهما طفلان شبيها بهذا ولكنه اعتذر فحسن قوله وصح معناه باعتذاره وهو الطائي

لهفي على تلك الشواهد فيهما * لو أمهلت حتى تكون شمائلا
ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

وقال الفرزدق يرثي حدراء الشيبانية

يقول ابن صفوان بكيت ولم تكن * على امرأة عيني اخال لتدمعا
يقولون زر حدراء والترب دونها * وكيف بشيء عهده قد تقطعا
ولست وان عزت على بزائر * ترابا على مرموسة قد تضعضعا
وأهون مفقود اذا الموت ناله * على المرء من أصحابه من تقنعا
ومامات عند ابن المراغة مثلها * ولا تبعته ظاعنا يوم ودعا

وقال جرير يرثي امرأته

لولا الحياء لهاجني استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار
نعم الخليل وكنت علق مضنة * ولدى منك سكينة ووقار
لن يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار
صلى الملائكة الذين تخيروا * والصالحون عليك والابرار
أقام حزرة يا فرزدق عبتم * غضب المليك عليكم الجبار

وقال رجل من خزاعة وينحله كثير يرثي عمر بن عبد العزيز بن مروان (قال أبو الحسن الذي صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي

أما القبور فانهن أوانس * بجوار قبرك والديار قبور)
جاءت رزيته فعم مصابه * فالناس فيه كلهم مأجور

(ردت صنائعه اليه حياته * فكأنه من نشرها منشور)

والناس مأتمهم عليه واحد * في كل دار رنة وزفير

يثني عليك لسان من لم توله * خيرا لانك بالثناء جدير

ومثله قول عمارة يمدح خالد بن يزيد بن مزيد

أرى الناس طرا حامدين لخالد * وما كلهم افضت اليه صنائعه

ولن يترك الاقوام أن يمدحوا الفتى * اذا كرمت اخلاقه وطبائعه

فتى أمعنت ضراؤه في عدوه * وخصت وعمت في الصديق منافعه

ومن قوله والناس مأتمهم عليه واحد أخذ الطائي في مرثيته

لئن أبغض الدهر الخؤن لفقده * لعهدي به حيا يحب به الدهر

لئن عظمت فيه مصيبة طيئ * لما عريت منها تميم ولا بكر

وقال القرشي

قد كنت أبكي على من فات من سلفي * وأهل ودي جميع غير أشتات

فاليوم اذ فرقت بيني وبينهم * نوى بكيت على أهل المروآت

وما بقاء امرئ كانت مدامعه * مقسومة بين أحياء وأموات

وروي أن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه تمثل عند قبر فاطمة عليها السلام

(لكل اجتماع من خليلين فرقة * وان الذي دون الفراق قليل)

وان افتقادي واحدا بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل

وقال عقيل بن علفة المري من غطفان

لعمري لقد جاءت قوافل خبرت * بأمر من الدنيا على ثقيل

وقالوا الا تبكي لمصرع هالك * أصاب سبيل الله خير سبيل

كأنّ المنايا تبتغى فى خيارنا * لها ترة أو تهتدى بدليل
لتأت المنايا حيث شاءت فإنها * محللة بعد الفتى بن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة * فحل الموالى بعده بمسيل

وتمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبى بكر بقول متمم بن نويرة

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل فتمثل عند قبره

وهوّن وجدى عن شراحيل أننى * اذا شئت لاقيت امرأ مات صاحبه

وقال أعرابى

ألا لهف الأرامل واليتامى * ولهف الباكيات على قصى
لعمرك ما خشيت على قصى * متالف بين نجد والسّلى
ولكنى خشيت على قصى * جريرة رمحه فى كل حى
فتى الفتيان محلول ممر * وأمار بإرشاد وغى

فهذا الشعر من أجل أشعار العرب بنى صاحبه أن تقدير في المرثى أن تكون منيته قتلا ويتأسف من موته حتف أنفه ويقول فى مدحه * وأمار بإرشاد وغى * وشبيه بهذا قول لبيد فى أخيه أربد لما أصابته الصاعقة وأصابت عامر الغدة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر بن الطفيل صار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أربد فقال لاربد أنا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام على ان يجعل له أعنة الخيل فقال عامر ومن عنعها اليوم منى ولكن ان

شئت فلك المدر ولي الوبر أو لي المدر ولك الوبر فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام
فقال فاجعل لي هذا الامر بعدك فأعلمه النبي أن ذلك ليس بكائن قال فأبشر بخيل أولها عندك
وآخرها عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وابنا قيلة يعني الاوس
والخزرج ويروى أن سعد بن عبادة قال يا رسول الله علام تحتسب هذا الاعرابي لسانه عليك
دعني أقتله ويروى أن عامرا قال للنبي عليه السلام لأغزونك على ألف أشقر وألف شقراء
فلما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما وتروى قيس أنه قال اللهم ان لم
تهد عامرا فاكفنيه وقال عامر لاربد قد شغلته عنك مرارا فألا ضربته قال أربد أردت ذلك
مرتين فاعترض لي في احداهما حائط من حديد ثم رأيتك الثانية بيني وبينه أفأقتلك فلم
يصل واحد منهما الى منزله أما عامر فغدق في ديار بني سلول بن صعصعة فجعل يقول أغدة
كغدة البعير وموتا في بيت سلولية وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته
وكان أخا لبيد لامه فقال يرثيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والأسد
ما إن تعري المنون من أحد * لا والد مشفق ولا ولد
فجعني الرعد والصواعق بالـفارس يوم الكريهة النجد
يا عين هلا بكيت أربد إذ * قمنا وقام العدو في كبد

وقال أيضا

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب
يتحدثون خيانة وملاذة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب
يا أربد الخير الكريم جدوده * غادرتني أمشي بقرن أعضب
ان الرزية لا رزية مثلها * فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قوله في خَلَف يقال هو خَلَفُ فلان لمن يخلُفُه من رهطه وهؤلاء خَلْفُ فلان اذا قاموا مقامه من غير أهله وقلما يستعمل خَلْفُ الا في الشر وأصله ما ذكرنا والمخانة مصدر من الخيانة والمألوذ الذي لا يصدق في مودته يقال رجل مَلوذ ومَلَّاذ وملاذه مصدره والأعضب المقطوع وفي الحديث لا يضحّى بعضباء وروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة في مرضه لولا ما منّ الله به من بقائك لكنا كما قال لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

فقال له معن اعلم انك كأني سُدتُ حين ذهب الناس هلا قلت كما قال نهار بن توسعة

قلدته عرى الامور نزار * قبل أن تهلك السراة البحور .

ثم نرجع الى ذكر المراثي وقال أعرابي

لعمري لقد نادى بأرفع صوته * نَعِيُّ حَبِيٍّ أن سيدكم هوى
أجل صادقوا القائل الفاعل الذي * اذا قال قولا أنبط الماء في الثرى
فتى قبل لم تعنس السن وجهه * سوى وضح في الرأس كالبرق في الدجى
أشارت له الحرب العوان بجاءها * يقعقع بالاقراب أول من أتى
ولم يجنها لكن جناها وليّه * فآسى وآداه فكان كمن جنى

وروى أن عائشة رضي الله عنها نظرت الى الخنساء وعليها صدار من شعر فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه ولكن لهذا الصدار سبب فقالت وما هو قالت لها كان زوجي رجلا متلافا فأخفق فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا فاسأله فأتيته فشاطرني ماله فأتلفه زوجي فعدت له فعاد لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي فعدت له فلما كان في الثالثة أو الرابعة قالت له امرأته ان هذا المال متلف فامنحها شرارها فقال صخر

والله لا أمنحها شرارها * ولو هلكت خرقت خمارها

* واتخذت من شعر صدارها *

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وكان صخر أخا الخنساء لابيها فقط و يروى عن بعض نساء بني سليم انها نظرت اليها في صدار وهي تصنع طيبا لابنتها لتنقلها الى زوجها فقالوا لها في شيء كرهته الخنساء فقالت لها اسكتي فوالله لقد كنت أبسط منك عرقا وأطيب منك ورسا وأحسن منك عرسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وقال القرشي وتتابع له بنون

أسكان بطن الارض لو يقبل الفدا * فديتم وأعطينا بكم ساكني الظهر

فياليت من فيها عليها وليت من * عليها ثوى فيها مقيما الى الحشر

فباتوا كأن لم يعرف الموت غيرهم * فثكل على ثكل وقبر على قبر

لقد شمت الاعداء بي وتغيرت * عيون أراها بعد موت أبي عمرو

تجري على الدهر لما فقدته * ولو كان حيا لاجترأت على الدهر

وقاسمني دهري بني مشاطرا * فلما توفى شطره مال في شطري

وحدثني العباس بن الفرج الرياشي قال قدم رجل من البادية فلما صار بجبلي سنام مات له بنون فدفنهم هناك وقال

دفنت الدافعين الضيم عني * برابية مجاورة سناما

أقول اذا ذكرت العهد منهم * بنفسي تلك أصداء وهاما

فلم أر مثلهم ماتوا جميعا * ولم أر مثل هذا العام عاما

(قال أبو الحسن الاخفش وفيها عن غير أبي العباس

قلبت سهام ... [illegible] ... اذ ... [illegible] ... ن لنا حماما

قال أبو العباس ويروى أن رجلا كان له بنون سبعة يروى ذلك أبو الحسن المدائنى قال أبو العباس فاختلف على ... [illegible] ... فقالوا أصابهم حائط وقال قوم آخرون بل حلب لهم فى علبة فسم فيها أفعى فب... [illegible] ... يبوها فماتوا جميعا والرجل يقال له الحرث بن عبد الله [illegible] وهلكت لجار له شاة فجعل يعلن بالبكاء عليها فقال قائل

يا أيها الباكى على شاته * يبكى جهارا غير اسرار

ان الرزيات وأمثالها * ما لقى الحرث فى الدار

دعا بنى معن واخوانهم * فكلهم بعد وبعقار

قال أبو العباس والمصائب ما عظم منها وما صغر تقع على ضربين فالحزم التسلى عما لا يغنى التمسك فيه والاحتيال لدفع ما يدفع بالحيلة ومن أحسن القول فى هذا المعنى فى الاسلام قول على ابن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام حين مات ابنه فلم ير منه جزع فسئل عن ذلك فقال أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره وفى هذه زيادة تنتظر وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل والعرب تقول الحذر أشد من الوقيعة وقال رجل من الحكماء انما الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر فاذا وقع فالرضا والتسليم ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا استأثر الله بشئ فاله عنه يقال لهيت من الامر ألهى اذا أضربت عنه ولهوت ألهو من اللعب ومن أقدم ما قيل فى هذا المعنى قول أوس بن حجر الاسيدى من بنى أسيد بن عمرو بن تميم يرثى فضالة بن كلدة أحد بنى أسد بن خزيمة

أيتها النفس أجملى جزعا * ان الذى تحذرين قد وقعا

ان الذى جمع السماحة والنجدة والحزم والقوى جمعا

(أودى فما تنفع الاساءة من * شئ لمن قد تحاول البدعا)

الألمعي الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
المخلف المتلف المرزأ لم * يمتع بضعف ولم يمت طبعا
والحافظ الناس في تحوط اذا * لم يرسلوا خلف عائذ ربعا
وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا
وشبه الهيذب العبام من الأقوام سقبا ملبسا فرعا
وكانت الكاعب الممنعة الحسناء في زاد أهلها سبعا
ليبكك الشرب والمدامة والفتيان طرا وطامع طمعا
وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جدعا

وفيها زيادة لكننا اخترنا قوله الألمعي الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وقوله المخلف المتلف أراد أنه يتلف ماله كرما ويخلفه نجدة كما قال

ناقته ترفل في النقال * متلف مال ومفيد مال

وقال آخر * فأتلف ذاك متلاف كسوب * والمرزأ الذي تناله الرزيئات في ماله لما يعطي وينيل والامتاع الاقامة فيقول لم يقم وهو ضعيف والطبع أسوأ الطمع وأصله أن القلب يعتاد الخلة الدنية فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقبح ما ظهر منه وهذا مثل وأصله في السيف وما أشبهه يقال طبع السيف اذا ركبه صدأ يستر حديده وطبع الله على قلوبهم من ذا وتحوط وحوط اسمان للسنة الجدبة كما يقال جحرة وكحل وقوله لم يرسلوا خلف عائذ ربعا فالعائذ الحديثة النتاج والربع الذي ينتج في الربيع ومن شأنهم في سنة الجدب ان ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر بالامهات وقوله وعزت الشمأل الرياح يقول غلبتها وذلك علامة الجدب وذهاب الامطار ومن ذلك قولهم من عز بز أي من غلب استلب وفي القرآن وعزني

في الخطاب أي غلبني بالمخاطبة وقوله وقد أمسى كميع الفتاة فالكميع الضجيع وهو الكميع قال الراجز * ومشهوذ الفرار بيت كمي * يعني السيف أي بيت مضاجعي ملتفعا يقال تلفع في مطرفه وفي كسائه اذا التفف وتزمّل فيه فيقول من شدة الصر يلتفع به دون ضجيعه والكاعب التي كعب ثديها يقول تصير كالسبع في زاد أهلها بعد أن كانت تعاف طيب الطعام وقوله وذات هدم يعني امرأة ضعيفة والهدم الكساء الخلق الرث وقوله عار نواشرها النواشر عروق الساعد والتولب الصغير والجدع السيئ الغذاء وهو الجحن والقمين

وقال أعرابي

خليلي عوجا بارك الله فيكما * على قبر أهبان سقته الرواعد
فذاك الفتى كل الفتى كان بينه * وبين المزجّى نفنف متباعد
اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن * عييا ولا عبأ على من يقاعد

وقالت ليلى الاخيلية

دعا قابضا والمرهفات ينشنه * فقبحت مدعوا ولبيك داعيا
فليت عبيد الله كان مكانه * صريعا ولم أسمع لتوبة ناعيا

وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حمير العقيلي ثم الخفاجي غزا فغنم ثم انصرف فعرّس في طريقه فأمن فقال فندّت فرسه فأحاط به عدوه ومعه عبيد الله أخوه وقابض مولاه فدعاهما فذبّب عبيد الله شيأ وانهزما وقتل توبة ففي ذلك تقول ليلى الاخيلية

أعيني ألا فابكي على ابن حمير * بدمع كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أزحفت فذكرنه * وقد يبعث الاحزان طول التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يرد الماء السدام اذا بدا * سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر

ولم يقدع الخصم الألد وعلا الشجعان سديفا يوم نكباء صرصر

الارب مكروب أجبت وخائف * أجرت ومعروف لديك ومنكر

فيا توب للمولى ويا توب الندى * ويا توب للمستنبح المتنور

قولها التبلك عليه من خفاجة نسوة تعنى خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والهيجاء تمد وتقصر وقد مر هذا وقولها نجد ولم يطلع مع المتغور فالنجد كل ما أشرف من الارض والغور كل ما انخفض ويقال ماء سدام ومياه سدم وهى المندفنة قال الشاعر

وعلى بأسدام المياه فلم تزل * قلائص تخدى فى طريق طلائح

وسنا الصبح ضوء وهو مقصور فاذا أردت الحسب مددت والاخضر الذى ذكرت الليل والعرب تسمى الاسود أخضر وقولها ولم يقدع الخصم الالد فالالد الشديد الخصام والسديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين الشديدة الهبوب والصرصر الشديدة الصوت والمستنبح الذى يسرى فلا يعرف مقصدا فينبح لتجيبه الكلاب فيقصدها والمتنور الذى يلتمس ما يلوح له من النار فيقصده قال الاخطل يعير جريرا

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولى على النار

فيقال ان جريرا توجع من هذا البيت وقال جمع بهذه الكلمة ضروبا من الهجاء والشتم منها البخل الفاحش ومنها عقوق الام فى ابتذالها دون غيرها ومنها تقذير الفناء ومنها السوءة التى ذكرها من الوالدة وقال آخر

وانى لأطوى البطن من دون ملئه * لخشبط فى آخر الليل نابح

وان امتلاء البطن فى حسب الفتى * قليل الغناء وهو فى الجسم صالح

وقالت ليلى الاخيلية

نظرتُ وركنٌ من بُوانةَ دوننا * وأركانُ حِسمى أيَّ نظرةِ ناظرِ

الى الخيل أجلى شأوُها عن عقيرةٍ * لعاقرها فيها عقيرةُ عاقرِ

كأنْ فتى الفتيان توبةَ لم يُنِخْ * قلائصَ يفحصن الحصى بالكراكرِ

ولم يبنِ أبرادًا رقاقًا لفتيةٍ * كرامٍ ويرحلْ قبل فىءِ الهواجرِ

فتى لا تخطّاه الرفاقُ ولا يرى * لقدرٍ عيالًا دون جارٍ مجاورِ

وكنتَ اذا مولاك خاف ظلامةً * دعاك ولم يقنع سواك بناصرِ

قولها أيّ نظرة ناظر يصلح فيه الرفع والنصب على قوله نظرت أيَّ نظرةٍ وأيَّةَ نظرةٍ وأيَّما نظرةٍ وأيَّما نظرةٍ كما تقول مررت برجل أيِّما رجلٍ وتأويله مررت برجل كامل فأيُّما في موضع كامل وتقول مررت بزيد أيَّما رجلٍ على الحال ومن قال أيُّ نظرةِ ناظرٍ فعلى القطع والابتداء والمخرجُ مخرجُ استفهام وتقديره أيُّ نظرةٍ هي كما تقول سبحان الله أيُّ رجلٍ زيد وهذا البيت يُنشَد على وجهين

فأومأتُ ايماءً خفيًّا لحبترٍ * ولله عينا حبترٍ أيَّما فتى

وأيُّما ان شئت على ما فسرنا وقولها الى الخيل أجلا شأوُها عن عقيرة شأوُها طَلَقُها وقولها لعاقرها فيها عقيرة عاقر أي قد أصابوا عقيرة نفيسة كقول القائل نِعمَ غنيمةُ المغتنم وكقولهم عقيرةٌ وكما تكون وهذا نظير قوله

ولما أصابوا أنفسَ عمرو بن عامرٍ * أصابوا به وترًا يُنيم ذوى الوترِ

يقال ثأرٌ مُنيمٌ اذا أصابه المُثرهِدُ أو استقر لانه أصاب كفؤًا وهذا خلاف قول الآخر

قوم اذا جرَّجانى قومهم أمنوا * لِلُؤمِ أحسابهم أن يُقتَلوا قَوَدَا

وخلاف قول الحرث بن عُباد

لا يُجيرُ أَهْلي قَتيلا ولا رَهْطُ كُلَيْبٍ تزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دُرَيْدُ بن الصمة

قتلت بعبد الله خير لداته * ذُؤابًا فلم أَفْخَرْ بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي من بني تيم اللات بن ثعلبة حيث قتل مصعب بن الزبير بأخيه النابي بن زياد

ان عُبيدَ الله ما دام سالما * لسار على رغم العدو وغادى

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه * حززنا برأس النابي بن زياد

كسر الباء على الاصل كما قال ابن قيس الرقيات

لا بارك الله في الغواني هل * يُصْبِحْنَ الا لهن مُطَّلَبُ

ومن أخذه من نبأت على القوم أي طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورة (قال الاخفش المعروف فيه الهمز والمبرد لم يهمزه فانما أخذه من نبا ينبو فصار مثل رام وقاض وما أشبههما)

وقال أبو الاسد مولى خالد بن عبد الله القسري لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد ابن عبد الله

فان تقتلوا منا كريما فاننا * قتلنا أمير المؤمنين بخالد

وان تشغلونا عن ندانا فاننا * شغلنا وليدا عن غناء الولائد

تركنا أمير المؤمنين بخالد * مكبا على خيشومه غير ساجد

وقال الخزاعي بعد

قتلنا بالفتى القسري منهم * وليدهم أمير المؤمنينا

(ومروا ناقتلنا عن يزيد * كذاك قضاؤنا في المعتدينا

وبابن السبط منا قد قتلنا * محمد ابن هرون الأمينا)

فمن يك قتله سوقاً فانا * جعلنا مقتل الخلفاء دينا

وقولها ويرحض قيل في الهواجر يريد أنه متيقظ ظمآن والمولى في قولها اذا مولاك خاف ظلامه يحتمل ضروباً فالمولى ابن العم وقوله عز وجل واني خفت الموالي من ورائي يريد بني العم قال الفضل بن العباس

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

ويكون المولى المعتق ويكون المولى من قوله جل ثناؤه وان الكافرين لا مولى لهم ويكون المولى الذي هو أحق وأولى منه قوله مأواكم النار هي مولاكم أى أولى بكم والمولى المالك وقولها ولم يبن أبراداً تريد الخيام * قال أبو العباس وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما متقدمتين لاكثر الفحول ورب امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون ذلك والجملة ما قال الله عز وجل أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع عوجاء وانك ان ترد اقامتها تكسرها فدارها تعش بها فمن تدر من النساء في باب من الابواب أم أيوب الانصارية وأم الدرداء ورابعة القيسية ومعاذة العدوية فان هؤلاء النسوة تقدمن في الفضل والصلاح على تقدم بعضهن بعضاً حدثني الجاحظ عن ابراهيم بن السندي قال كانت تصير الى هاشمية جارية حمدونة في حاجات صاحبتها فأجمع نفسي لها وأطرد الخواطر عن فكري وأحضر ذهني جهدي خوفاً من أن تورد على ما لا أفهمه لبعد غورها واقتدارها على ان تجري على لسانها ما في قلبها وكذلك ما يؤثر عن خالصة وعتبة جاريتي ريطة بنت أبي العباس فأما النساء الاشراف فان القول فيهن كثير متسع فمما ندر من شعر الخنساء قولها ترثي صخراً

يا صخر ورّاد ماء قد تناذره * أهل المياه وما في ورده عار

مشي السبنتي الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنياب وأظفار

وما عجول على بوٍّ تحنّ له * لها حنينان اعلانٌ واسرارُ
ترتع ما غفلت حتى اذا ادّكرت * فانما هي اقبال وادبار
يوما بأوجع مني يوم فارقني * صخرٌ وللعيش احلاءٌ وامرارُ
وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحّارُ
وان صخرا لتأتمّ الهداة به * كأنه علمٌ في رأسه نار
لم تره جارةٌ يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجارُ

قولها

يا صخر ورّاد ماءٍ قد تناذره * أهل المياه وما في ورده عار

تعني الموت أي لاقدامه على الحرب والسبنتى والسبندى واحد وهو الجريء الصدر وأصله في النمر والعجول التي فارقها ولدها والبوّ قد مضى تفسيره وكذلك فانما هي اقبال وادبار وقد شرحنا كيف مذهبه في النحو وقولها الى هيجاء معضلة تعني الحرب وقولها كأنه علم في رأسه نار والعلم الجبل قال الله جل وعز وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام وقال جرير

* اذا قطعن علما بدا علم * ومن حسن شعرها قولها

أعينيّ جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما * د ساد عشيرته أمردا
اذا القوم مدّوا بأيديهم * الى المجد مدّ اليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا
يكلفه القوم ما عالهم * وان كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي الى بيته * يرى أفضل الكسب أن يحمدا

قولها طويل النجاد والنجاد حمائل السيف تريد بطول نجاده طول قامته وهذا مما يمدح به الشريف قال جرير

فانى لأرضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال مروان للمهدى

قصرت حمائله عليه فقلصت * ولقد تأنق قينها فأطالها

وقال رجل من طيئ

جدير أن يقل السيف حتى * ينوس اذا تعلق فى النجاد

وقال الحكمى أبو نواس

سبط البنان اذا احتبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام

وقال عنترة

بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقولها رفيع العماد اعا تريد ذلك يقال رجل معمد أى طويل ومنه قوله عز وجل ارم ذات العماد أى الطوال وقولها ماعالهم أى نابهم ونزل بهم تقول العرب ماعالك فهو عائلى أى ما نابك فهو نائبى ومن ذا قول كثير

يا عين بكى للذى نالنى * منك بدمع مسبل هامل

ومن جيد قولها

أبعد ابن عمرو من آل الشريد * حلت به الارض أثقالها

لعمر أبيه لنعم الفتى * اذا النفس أعجبها مالها

فان تك مرة أودت به * فقد كان يكثر تقتالها

نخر الشوامخ من فقده * وزلزلت الارض زلزالها

هَمَمتُ بنفسي كلَّ الهموم * فأَولى لنفسي أَولى لها

لأحمل نفسي على آلة * فإمَّا عليها وإمَّا لها

قولها حلت به الارض أثقالها حات من الحَلْي تقول زينت به الارض الموتى وقال المفسرون في قول الله عز وجل وأخرجت الارض أثقالها قالوا الموتى وقولها السمع الفتى اذا النفس أعجبها مالها تقول بجود عاهوله في الوقت الذي يؤثره أهله على الحمد والشوامخ الجبال والشامخ العالي ويقال للمتكبر شمخ بأنفه وقولها على آلة أي على حالة وعلى خطة هي الفيصل فإمَّا ظفرتُ وإمَّا هلكت وقولها فأولى لنفسي أولى لها يقول الرجل اذا حاول شيأ فأفلته من بعدما كاد يصيبه أولى له واذا أفلت من عظيمة قال أولى لي ويروى عن ابن الحنفيَّة أنه كان يقول اذا مات ميت في جواره أو في داره أولى لي كدتُ والله أكونُ السوادَ المخترَم وقد مضى هذا مفسرا وأُنشد لرجل يقتنص فاذا أفلته الصيد قال أولى لك فكثر ذلك منه فقال

فلو كان أولى يُطعِم القومَ صِدتُهم * ولكنَّ أولى يترك القومَ جوَّعا

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو وكان معاوية أخاها لابيها وأمها وكان صخرٌ أخاها لابيها وكان أحبهما اليها وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور منها أنه كان موصوفا بالحلم ومشهورا بالجود ومعروفا بالتقدم في الشجاعة ومحظوظا في العشيرة

أَرِيقي من دموعك واستفيقي * وصبرًا ان أطقت ولن تُطيقي

وقولي ان خير بني سُلَيم * وفارسها بصحراء العقيق

ألا هل ترجعنَّ لنا الليالي * وأيامٌ لنا بلوى الشقيق

واذ نحن الفوارسُ كلَّ يوم * اذا حضروا وفتيانُ الحُقوق

واذ فينا معاويةُ بن عمرو * على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه فقد أودى حميدا * أمين الرأي محمود الصديق

فلا والله لا تنسلك نفسي * لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

قولها أريق من دموع وأستفيق معناه أن الدمعة تذهب اللوعة ويروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة اني لأجد في كبدي جمرة لا تطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبر فنظر الى رجاء بن حيوة كالمستريح الى مشورته فقال له رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال العين تدمع والقلب يوجع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أربا ثم أقبل عليهما فقال لولم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي ثم لم يبك بعدها ولكنه تمثل عند قبره لما دفنه وحثا على قبره التراب وقال يا غلام هذا بني ثم وقف ملتفتا الى قبره فقال

وقفت على قبر مقيم بقفرة * متاع قليل من حبيب مفارق

رجعنا الى تفسير قولها وقولها وصبرا ان أطقت ولن تطيق كقول القائل ان قدرت على هذا فافعل ثم أبانت عن نفسها فقالت ولن تطيق وقولها فلا والله لا تسلك نفسي تريد لا تسلو عنك كقوله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي كالوا لهم أو وزنوا لهم وقولها لفاحشة أتيت ولا عقوق معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسي عنك له ثم اعتذرت من اقصارها بفضل الصبر فقالت

ولكني رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

تأويل النعلين أن المرأة كانت اذا أصيبت بحميم جعلت في يديها نعلين تصفق بهما وجهها

وصدرها قال عبد مناف بن ربع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما * لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا * من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا

اذا تأوب نوح قامتا معه * ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

قوله ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما يعني أختيه يقول ماذا يرد عليهما العويل والسهر وقوله كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا أراد لترديد النائحة صوتا كأنه زمير وانما يعني بالقصب المزامير كما قال الراعي

زجل الحداء كأن في حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا

(قال الاخفش الزجل اختلاط الصوت الذي لصوته تطريب والحيزوم الصدر وقصبا يعني زمارا شبه صوت الحادي بالمزمار ومقنعة أراد وصوت مقنعة يعني ناقة ثم حذف الصوت وأقام مقنعة مقامه) وقال عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

قال الاصمعي هو زمار وقوله لا رطبا ولا نقدا يقول ليس برطب لا يبين فيه الصوت ولا عفن نكل يقال نقدت السن اذا أصابها أكال وكذلك القرن قال الشاعر

* يا لم قرنا أرومه نقد * وقوله بسبت يعني النعل المجردة ويلعج يؤثر واحتاج الى تحريك الجلد فاتبع آخره أوله وكذلك يجوز في الضرورة في كل شيء ساكن وأما قول الفرزدق

خلعن حلهن فهن عطل * ويعتن به المقابلة التؤاما

يعني اشتربن النعال فليس هذا من هذا الباب انما سبين فاشترين نعالا للخدمة وكذلك

قوله

أُخذن حريرات وأُبدين مجلدا * ودار عليهن المُقَشَّةُ الصُّفْر

يعني القداح يقول سُبين فاقتُسمن بالقداح وانما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل ان يصابَ صخرٌ أخوها فلما أُصيب صخر نسيت به من كان قبله وكان معاوية فارسا شجاعا فأغار في جمع من بني سليم على غطفان وكان صَميم خيلهم فنَذِرَ به القوم فاحترزوا فلم يزل يطعنُ فيهم ويضرب فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة دريد وهاشم فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وخرج عليه الآخر وهو لا يشعرُ فقتله فتنادى القوم قُتل معاويةُ فقال خُفافُ ابن ندبة قتلني الله ان رمتُ حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فقتله وقال

فان تك خيلي قد أُصيب صميمُها * فعمدا على عيني تيممتُ مالكا

وقفتُ له علوي وقد خام صحبتي * لابني مجدا أو لأثأرَ هالكا

أقول له والرمحُ يأطِرُ متنَهُ * تأمّل خفافا انني أنا ذلكا

فلما دخلت الاشهر الحُرُمُ ورد عليهم صخرٌ فقال أيكم قاتلُ أخي فقال أحدُ ابنَي حرملة للآخر خبّره فقال استطردتُ له فطعنني هذه الطعنة وحمل عليه أخي فقتله فأينا قتلتَ فهو ثأرُك أما انا لم نسلُبْ أخاك قال فما فعلت فرسُه السُّمّى قال هاهي تلك فخذها فانصرف بها فقيل لصخر الا تهجوهم فقال ما بيني وبينهم أقذعُ من الهجاء ولو لم أُمسك عن سبهم الا صيانة للساني عن الخنا لفعلتُ ثم خاف ان يُظَنّ به عيٌّ فقال

وعاذلة هبّت بليل تلومُني * ألا لا تلوميني كفى اللومَ ما بيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم * وما لي اذ أهجوهُمُ ثم ماليا

أبى الشتمَ أني قد أصابوا كريمتي * وأن ليس إهداءُ الخنا من شماليا

اذا ما امرؤٌ أهدى لميت تحيةً * فحيّاكَ ربُّ العرش عني معاويا

وهوّن وجدي أنني لم أقل له * كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما أصاب دريد ازاد فيها

وذي إخوة قطّعت أرحام بينهم * كما تركوني واحدا لا أخاليا

(قال أبو الحسن الاخفش وزادني الاحول بعد قوله معاويا

لنعم الفتى أدنى ابن صرمة بزّه * اذا راح فحل الشول أحدب عاريا)

قال أبو العباس فلما انقضت الاشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم فنظرت غطفان الى خيله عن ضعها فقال بعضهم لبعض هذا صخر بن الشريد على فرسه الشمّي فقيل كلا الشمّي غراء وكان قد حمم غرتها فأصاب فيهم وقتل دريد بن حرملة وأما هاشم فان قيس بن الاسوار الجشمي من جشم بن بكر بن هوازن بن منصور والخنساء من بني سليم بن منصور لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه فرآه وقد انفرد لحاجته فقال لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فارسل عليه سهما فغلق قصبه فقالت الخنساء

فدى للفارس الجشمي نفسي * وأفديه بمن لي من حميم

فداك الحي حي بني سليم * بظاعنهم وبالانس المقيم

كما من هاشم أقررت عيني * وكانت لا تنام ولا تنيم

فأما صخر فسنذكر مقتله مع انقضاء ما نذكر من مراثي الخنساء اياه قالت الخنساء

ألا يا صخر ان أبكيت عيني * لقد أضحكتني دهرا طويلا

بكيتك في نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا

دفعت بك الجليل وأنت حي * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت أيضا

تعرقني الدهر نهسا وحزا * وأوجعني الدهر قرعا وغمزا

وأفنى رجالي فبادوا معا * فأصبح قلبي بهم مستفزا

كأن لم يكونوا حمى يتقى * إذ الناس إذ ذاك من عز بزا

وكانوا سراة بني مالك * وزين العشيرة مجدا وعزا

وهم في القديم سراة الأديم والكائنون من الخوف حرزا

وهم منعوا جارهم والنسا * يحفز أحشاءها الخوف حفزا

غداة لقوهم بملمومة * رداح تغادر للأرض ركزا

وخيل تكدس بالدارعين تحت العجاجة يجمزن جمزا

ببيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا

جززنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون أن لا تجزا

ومن ظن ممن يلاقي الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

نعف ونعرف حق القرى * ونتخذ الحمد ذخرا وكنزا

وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد أنه جمع جمعا وأغار على بني أسد بن خزيمة فنذروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فارفض أصحاب صخر عنه وطعنه أبو ثور طعنة في جنبه استقل بها فلما صار إلى أهله تعالج منها فنتأ من الجرح كمثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يسأل امرأته وهو يقول كيف صخر اليوم فقالت لا ميت فينعى ولا صحيح فيرجى فعلم أنها قد برمت به ورأى تحرق أمه عليه فقال

أرى أم صخر ما تجف دموعها * وملت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان

أهم [illegible] أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد أنبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان

فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقى وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فبكاها فقال

أيا جارتا ان الخطوب قريب * من الناس كل المخطئين تصيب

أيا جارتا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

كأني وقد أدنوا الى شفارهم * من الادم مصقول السراة نكيب

قال أبو العباس ومن حلو المراثي وحسن التأبين شعر ابن مناذر فانه كان رجلا عالما مقدما شاعرا مفلقا وخطيبا مصقعا وفي دهر قريب فله في شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته ولا يزال قد رمى في شعره بالمثل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتسق النبيل وقصيدته لها امتداد وطول وانما على منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا قال يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وكان به صبا واغتبط عبد المجيد لعشرين سنة من غير ماءة وكان من أجل الفتيان وأدبهم وأظرفهم فذلك حيث يقول ابن مناذر

حسين تمت آدابه وتردى * برداء من الشباب جديد

وسقاه ماء الشبيبة فاهتز * اهتزاز الغصن الندى الأملود

وسمت نحوه العيون وما كا * ن عليه لزائد من مزيد

وكأني أدعوه وهو قريب * حين أدعوه من مكان بعيد

فلئن صار لا يجيب لقد كا * ن سميعا هشا اذا هو نودى

يا فتى كان للمقامات زينا * لا أراه في المحفل المشهود

لهف نفسي أما أراك وما عنـ * ـدك لي ان دعوت من مردود

كان عبد الحميد سم الاعادى * مل عين الصديق رغم الحسود
ماد عبد الحميد رزأ وقد كا * ن رجاء يبيد دهر كنود
خننت الود لم أمت بكمد ابعد * لك انى عليك حق جليد
لو فدى الحى ميتا لفدت نفسك نفسى بطارفى وتليدى
ولئن كنت لم أمت من جوى الحز * ن عليه لأبلغن مجهودى
لأقيمن مأتما كنجوم الليل زهرا يلطمن حر الخدود
موجعات يبكين للكبد الحرى عليه وللفؤاد العميد
ولعين مطروفة أبدا قا * ل لها الدهر لا تقرى وجودى
كلما عزت البكاء فأنفد * ت لعبد الحميد مهلا فعودى
لفتى يحسن البكاء عليه * وفتى كان لامتداح القصيد

وأول هذا الشعر

كل حى لاقى الحمام فمودى * مالحى مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيأ ولا تر * عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر فى شماريخ رضوى * ويحط الصخور من هبود
ولقد تترك الحوادث والايام وهنا فى الصخرة الصيخود

ومن هذا الشعر مما استحسنته

أين رب الحصن الحصين بسورا * ورب القصر المنيف المشيد
شاد أركانه وبوبه با * بى حديد وحفه بجنود
كان يجبى اليه مابين صنعا * ء فمصر الى قرى بيرود
وترى خلفه زرافات خيل * بالفلاة تعدو عشل الأسود

فرمى شخصه فأقصده الدهر بسهم من المنايا سديد
ثم لم ينجه من الموت حصن * دونه خندق وباب حديد
وملوك من قبله عمروا الار * ض أعينوا بالنصر والتأييد
فلو ان الايام أخلدن حيا * لعلاء أخلدن عبد المجيد
ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود
ويح أيد حثت عليه وأيد * دفنته ما غيبت في الصعيد
ان عبد المجيد يوم تولى * هد ركنا ما كان بالمهدود
(وأرانا كالزرع يحصده الدهر فمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركب مخبو * ن سراعا لمنهل مورود)
هدركني عبد المجيد وقد كنت بركن أنوء منه شديد
(فبعبد المجيد تأمور نفسي * عثرت بي بعد انتعاش جدودي
وبعبد المجيد شلت يدي اليمنى وشلت به يمين الجود)

وفي هذا الشعر

فبرغمي كنت المقدم قبلي * وبكرهي دليت في الملحود
كنت لي عصمة وكنت سماء * بك تحيا أرضي ويخضر عودي

قال أبو العباس وكانت العرب تقدم مراثي وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن وكانهم يرون ما بعدها من المراثي منها أخذت وفي كنفها تصلح فمنها قصيدة أعشى باهلة ويكنى أبا قحافة التي يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي وكان أحد رجلي العرب (قال الاخفش هو منسوب الى الرجل) وهم السعاة السابقون في سعيهم وكان من خبره أنه أسر صلاءة بن العنبر الحارثي فقال افد نفسك فأبى فقال لاقطعنك أنملة أنملة وعضوا عضوا مالم تفتد نفسك فجعل

يفعل ذلك به حتى قتله ثم حج من بعد ذلك المنتشر ذا الخلصة وهو بيت كانت خثعم تحجه زعم أبو عبيدة أنه بالعبلات وأنه مسجد جامعها فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه فقالوا لنقتلن بك كما فعلت بصلاءة ففعلوا ذلك به فلقي راكب أعشى باهلة فقال له أعشى باهلة هل من جائبة خبر قال نعم أسرت بنو الحرث المنتشر وكانت بنو الحرث تسمى المنتشر مجدعا فلما صار في أيديهم قالوا لنقطعنك كما فعلت بصلاءة فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر

إني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر
فبت مرتفقا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر
يأتي على الناس لا يلوي على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ينعى امرأ لا تغب الحي جفنته * إذا الكواكب أخطا نوءها المطر
من ليس في خيره شر يكدره * على الصديق ولا في صفوه كدر
طاوي المصير على العزاء منصلت * بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
لا ينكر البازل الكوماء ضربته * بالمشرفي إذا ما اجلوذ السفر
وتفزع الشول منه حين تبصره * حتى تقطع في أعناقها الجرر
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه * وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر
تكفيه فلذة كبد إن ألم بها * من الشواء ويكفي شربه الغمر
لا يتأرى لما في القدر يرقبه * ولا تراه أمام القوم يقتفر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر
مهفهف أهضم الكشحين منخرق * عنه القميص لسير الليل محتقر

عشنا بذلك دهراً ثم فارقنا * كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر
(فان جزعنا فقد هدّت مصيبتنا * وان صبرنا فانا معشر صُبُر
اني أشدّ حزيمي ثم يدركني * منك البلاء ومن آلائك الذُّكَر)
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه * من كل أوب وان لم يأت ينتظر
اما يصبك عدوّ في مناوأة * يوماً فقد كنت تستعلي وتنتصر
لو لم تخنه نفيل وهي خائنة * ألمّ بالقوم وِردٌ منه أو صدر
ورّاد حرب شهاب يستضاء به * كما أضاء سواد الطخية القمر
اما سلكت سبيلاً كنت سالكها * فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر
من ليس فيه اذا قاولته رَهَق * وليس فيه اذا ياسرته عسر

قوله اني أتتني لسان يقال هو اللسان وهي اللسان فمن ذكّر جمعه ألسنة ونظيره حمار وأحمرة وفراش وأفرشة وازار وآزرة ومن أنّث قال لسان وألسن كما تقول ذراع وأذرع وكراع وأكرع لا تبالي أمضموم الاول كان أو مفتوحاً أو مكسوراً اذا كان مؤنثاً ألا ترى أنك تقول شمال وأشمل قال أبو النجم * يأتي لها من أيمن وأشمل * وقال آخر أنشدنيه المازني

فظلت تكوس على أكرع * ثلاث وكان لها أربع

وأراد باللسان ههنا الرسالة وقوله من عل يقول من فوق فاذا كان معرفة مفرداً بني على الضم كقبلُ وبعدُ واذا جعلته نكرة نوّنته وصرفته كما قال جرير

اني انصببت من السماء عليكم * حتى اختطفتك يا فرزدق من علِ

والقوافي مجرورة وان شئت رددت ما ذهب منه وهي ألف منقلبة من واو لان بناءه فعل من علا يعلو قال الراجز

وهي تنوش الحوض نوشاً من علا * نوشاً به تقطع أجواز الفلا

وقوله فبت مرتفقا وهو المتكئ على مرفقه وانما أراد السهر كما قال أبو ذؤيب

انى أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عينى فيها الصاب مذبوح

وقوله جاشت النفس يقول خبثت يكون ذلك من تذكرها التهوع ومن جزعها منه وروى عن معاوية أنه قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتنى يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردنى الا قول ابن الاطنابة الانصارى

أبت لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح

واجشامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

يقال جشأت مهموز وجاشت غير مهموز وتثليث موضع بعينه وقوله لا يلوى على أحد يقال استقام فلان فما لوى على أحد ويقال ألوى بالشئ اذا ذهب به وقوله اذا الكواكب أخطا نوءها المطر فالنوء عندهم طلوع نجم وسقوط آخر وليس كل الكواكب لها نوء وانما كانوا يقولون هذا فى أشياء بعينها ويروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اذا ذكرت النجوم فأمسكوا يعنى أمر الانواء لم يختلف فى ذلك المفسرون وعنه عليه السلام فى غب سماء أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى قال أصبح عبادى مؤمنا بى وكافرا بالكواكب وكافرا بى ومؤمنا بالكواكب فأما المؤمن بى الكافر بالكواكب فهو الذى يقول مطرنا بنوء الرحمة والمؤمن بالكواكب الكافر بى الذى يقول مطرنا بنوء كذا والنوء مهموز وهو من قولك ناء بحمله أى استقل به فى ثقل فالنوء مهموز وهو فى الحقيقة الطالع من الكواكب لا الغائر وكان الاصمعى لا يفسر من الشعر ما فيه ذكر الانواء بل كان لا يسمع ما كان فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم ولا يفسر ما وافق تفسيره بعض ما فى القرآن الاساهيا فيما يذكر

أصحابه عنه و يروى أنه سئل عن غير شيء من ذلك فأباه وزجر السائل وقوله طاوي المصير يقال لواحد المصران مصير وتقديره قضيب وقضبان وكثيب وكثبان والعزاء الامر الشديد يقال فلان صابر على العزاء وكذلك اللأواء وكذلك الجلى مقصور فأما العزاء واللأواء فممدودان وقوله منصلت يقال سيف منصلت وصلت اذا جرد من غمده وقوله ليلة لاماء ولا شجر يريد القفر ووقت الصعوبة وقوله لا تنكر البازل الكوماء ضربته بالمشرفي يقول قد عود الابل ان ينحرها ومن شأنهم ان يعرقبوها قبل النحر والمشرفي السيف وهو منسوب الى المشارف وقوله اجلوذ امتد وأنشدني الزيادي لرجل من أهل الحجاز أحسبه ابن أبي ربيعة

ألا حبذا حبذا حبذا * حبيب تحملت منه الأذى

ويا حبذا برد أنيابه * اذا أظلم الليل واجلوذا

وقوله حتى تقطع في أعناقها الجرر يقول حتى اعتادت أن ينحرها فهي تفزع منه حتى تقطع جررها ومثل هذا قول الحتوت

سأبكي خليلي عنترا بعد هجعة * وسيفي مر داسا قتيل قنان

قتيلان لا تبكي اللقاح عليهما * اذا شبعت من قرمل وأفان

يقول كانا ينحران الابل فهي لا تجزع لفقدهما وقرمل وأفان ضربان من النبت وشبيه بهذا قوله حيث يقول

فلو كان سيفي باليمين تباشرت * ضباب اللا من جمعهم بقتيل

يقول هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب فكلما قتل منهم واحد سرت بذلك الضباب واستبشرت وقوله لا يتأرى لما في القدر يرقبه يقول لا يحبس له ومن ذا سمي الآري لانه يحبس الدابة وقوله لا يرى امام القوم يقتفر يقول لا يسبقهم الى شيء من الزاد وقوله ولا

يعض على شرسوفه الصفر الشراسيف أطراف الضلوع والصفر ههنا حية البطن وله وانسع وقوله مهفهف يعني ضامرا وأهضم الكشحين توكيد له وقوله اما يصبك عدو في مناواة يقول في وتر يقال ناوأ فلان بكذا كما قال مهلهل بؤ بشسع كليب أى هو ثائر بالشسع والطخية والطخية والطخمة ثلاث لغات شدة الظلمة وكان الذى أصابه هند بن أسماء الحارثى ففى ذلك يقول

أصبت في حرم منا أخا ثقة * هند بن أسماء لا يهنئ لك الظفر

يقال هنأه ذلك وهنأ له كما تقول هنيأ لك قال الأخطل

الى امام تغادينا فواضله * أظفره الله فليهنئ له الظفر

وقوله وليس فيه اذا عاسرته عسر مدح شريف مثل قولهم اذا عز أخوك فهن وانما هذا فيمن لا يخاف استذلاله بأن يخرج صاحبه عند مساهلته الى باب الذل فأما من كان كذلك فعاسرته أحمد ومدافعته أمدح كما قال جرير

بشر أبو مروان ان عاسرته * عسر وعند يساره ميسور

قال أبو العباس ومن أشعار العرب المشهورة المختيرة في المراثى قصيدة متمم بن نويرة فى أخيه مالك ونذكر منها أبياتا نختارها من ذلك قوله

أقول وقد طار السنا في ربابه * وغيث يسح الماء حتى تريعا

سقى الله أرضا حلها قبر مالك * ذهاب الغوادى المدجنات فأمرعا

وآثر سيل الواديين بديمة * ترشح وسميا من النبت خروعا

فحييته مني وان كان نائيا * وأضحى ترابا فوقه الارض بلقعا

فما وجد أظآر ثلاث روائم * رأين مجرا من حوار ومصرعا

يذكرن ذا البث الحزين ببثه * اذا حنت الاولى سجعن لها معا

بأوجع مني يوم فارقت مالكا * ونادى به الناعي الرفيع فأسمعا

وفيها

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فان تكن الايام فرقن بيننا * فقد بان محمودا أخي يوم ودعا

تقول ابنة العمري مالك بعدما * أراك حديثا ناعم البال أفرعا ١

فقلت لها طول الاسى اذ سألتني * ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا

وفقد بني أم تداعوا فلم أكن * خلافهم أن أستكين وأضرعا

ولست اذا ما الدهر أحدث نكبة * ورزأ بزوار القرائب أخضعا

ولا فرح ان كنت يوما بغبطة * ولا جزع ان ناب دهر فأوجعا

ولكنني أمضي على ذاك مقدما * اذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا

فعمرك الا تسمعيني ملامة * ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا

وعمرك اني قد شهدت فلم أجد * بكفي عنه للمنية مدفعا

فلو أن ما ألقى أصاب متالعا * أو الركن من سلمى اذا لتضعضعا

وفي هذه القصيدة

لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برم تهدي النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

لبيبا أعان اللب منه سماحة * خصيبا اذا ما رائد الجدب أوضعا

تراه كنصل السيف يهتز للندى * اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

اذا ابتدر القومُ القداحَ واُوقدت * لهم نارُ اَيسارٍ كفى من تضجعا

غنىّ الايادى ثم لم تُلف مالكا * على الفرث يحمى اللحمَ أن يتمزعا

قوله وقد طار السنا فى ربابه السنا الضوء وهو مقصور قال الله جل وعز يكاد سنا برقه يذهب بالابصار والسناء من الحسب ممدود والرباب سحاب دون السحاب كالمتعلق بما فوقه قال المازنى

كاَنَّ الربابَ دُوَينَ السحاب * نعامٌ تعلّق بالارجلِ

وقوله يسح معناه يصب فاذا قلت يسحو او يسحى فمعناه يقشر ومن ذا سميت سحاءة القرطاس وسحايته ومنه قيل للحديدة التى يُقشر بها وجهُ الارض مسحاةٌ قال عنترة

سحًّا وساحية فكلّ قرارة * يجرى عليها الماءُ لم يتصرّم

وقوله تريع اى كثر حتى جاء وذهب يقال راع يريعُ اذا رجع ومنه سمى رَيْعُ الطعام لانه يرجع بفضل قال مزرّدٌ

خلطتُ بصاعىْ عجوةٍ صاعَ حنطةٍ * الى صاعِ سمنٍ فوقه يتريّعُ

والذهابُ الامطار اللينة والمُدجِنات من السحاب السود وهو مأخوذ من الدجن والدُّجنة ومعناه الباسُ الغيم وظلمته قال طرفةُ

وتقصير يومِ الدجنِ والدجنُ معجِبٌ * ببهكنةٍ تحتَ الطراف المُمدَّدِ

ويقال أمرع الوادى اذا أخصب من ذلك قول مولاة ابن الاجيد عن أوفى بن دلهم قال أبو العباس حدثنى به ابن المهدىّ أحمد بن محمد النحوى يحدّث به عن الاصمعى عن أبيه عن مولاة ابن الاجيد عن أوفى قال فى النساء أربع فمنهن الصَّدَعُ تفرّقُ ولا تجمعُ ومنهن من لها شيئها أجمع ومنهن غيثٌ وقع فى بلد فأمرع ومنهن التبع ترى ولا تسمع قال فذكرت ذلك لرجل فقال ومنهن القرثع قلت وماهى قال التى تكحل عينا وتدع الاخرى وتلبس ثوبها مقلوبا

(قال الاخفش حدثني بذلك أبو العيناء عن الاصمعي وذكر نحو ذلك) وقوله وآثر سيل الواديين بديمة زعم الاصمعي وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر الدائم أياما برفق وقوله ترشح وسميا أي تهيئه لذلك يقال فلان يرشح للخلافة والوسمي أول مطر يسم الارض والولي كل مطرة بعد مطرة فالثانية ولي للاخرى لانها تليها والخروع كل عود ضعيف وقوله فما وجد أظآر ثلاث روائم أظآر جمع ظئر وهي النوق تعطف على الحوار فتألفه وروائم واحدتها رؤم ومعنى ترأمه تشمه والحوار ولد الناقة ويقال له حيث يسقط من أمه سليل قبل أن تقع عليه الاسماء فان كان ذكرا فهو سقب وان كانت أنثى فهي حائل وهو في ذلك كله حوار سنة وقوله ندماني جذيمة يعني جذيمة الابرش الازدي وكان ملكا وهو الذي قتلته الزباء وهو أول من أرقد بالشمع ونصب المجانيق للحرب وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك في كتاب الاخبار وندماه يقال لهما مالك وعقيل وفي ذلك يقول أبو خراش الهذلي

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

والمثل يضرب بهما لطول ما نادماه كما يضرب باجتماع الفرقدين قال عمرو بن معدي كرب

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

قال هذا من قبل أن يسلم وقال اسمعيل بن القاسم

ولم أر ما يدوم له اجتماع * سيفترق اجتماع الفرقدين

وقوله أرانا حديثا ناعم البال أفرعا الافرع التام شعر الرأس وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الفرعان خير أم الصلعان فقال بل الفرعان وكان أبو بكر أفرع وكان عمر أصلع فوقع في نفسه أنه يسئل عنه وعن أبي بكر والاسفع الاسود يقال سفعته النار أي غيرت وجهه الى السواد وقوله فعمرك يقسم عليها يقال عمرك الله أي أذكرك الله قال

عمرتك الله الا ما ذكرت لنا * هل كنت جارتنا أيام ذي سلم

وقوله غير مبطان العشيات يقول كان لا يأكل فى آخر نهاره انتظار الضيف ويروى ان أن عمر بن الخطاب سأله فقال أكذبت فى شئ مما قلته فى أخيك فقال نعم فى قولى غير مبطان وكان ذا بطن ويقال فى غير هذا الحديث ان من سيما الرئيس السيد أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه طرش وقال رجل لفتى والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال رجل لرجل والله ما فتقت فتق السادة ولا مطلت مطل الفرسان والاروع ذو الروعة والهيئة والبرم الذى لا يدخل مع الناس ولا يأخذ فى الميسر ولا ينزع الا نكدا قال النابغة

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبى * اذا الدخان تغشى الأشمط البرما

وقوله اذا القشع وهو الجلد اليابس ويقال لكناسة الحمام القشع قال أبو هريرة وكذبت حتى رميت بالقشع ۞ وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن عبد الله الانصارى القاضى فى اسناد ذكره قال صلى متمم مع أبى بكر الصديق الفجر فى عقب قتل أخيه وكان أخوه خرج مع خالد من جهة من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير ذلك فأمر ضرار ابن الأزور الأسدى فقتله وكان مالك من أرداف الملوك ومن متقدمى فرسان بنى يربوع قال فلما صلى أبو بكر قام متمم بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم قال

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور
ولنعم حشو الدرع كنت وحاسرا * ولنعم مأوى الطارق المتنور
أدعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبى بكر فقال والله ما دعوته ولا غدرته ثم أتم شعره فقال

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط على سية قوسه وكان أعور دميما فما زال يبكى حتى دمعت عينه العوراء فقام

اليه عمر بن الخطاب فقال لوددت أني رثيت أخي زيدا بمثل مارثيت به مالكا أخاك فقال له يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك مارثيته فقال عمر ماعزاني أحد بمثل تعزيتك وكان زيد بن الخطاب قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر يقول اني لاهش للصبا لانها تأتينا من ناحية زيد ويروى عن عمر أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا فقال لانه والله يحركني لمالك مالا يحركني لزيد ومن طريف شعره

لعمري وما دهري بتأبين هالك * ولا جزع والموت يذهب بالفتى

لئن مالك خلى علي مكانه * لفي أسوة ان كنت باغية الأسى

كهول ومرد من بني عم مالك * وأيفاع صدق قد تمليتهم رضا

سقوا بالعقار الصرف حتى تتابعوا * كدأب ثمود اذ رغا سقبهم ضحى

اذا القوم قالوا من فتى لملمة * فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

ومثل هذا الشعر قول النهشلي

لو كان في الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا

وأول هذا المعنى لطرفة

اذا القوم قالوا من فتى خلت أنني * عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وقال متمم أيضا في كلمة له يرثي بها مالكا

بجيل الصبا ضاحك عند ضيفه * أغر جميع الرأي مشترك الرحل

وقور اذا القوم الكرام تقاولوا * فحلت حباهم واستطيروا من الجهل

وكنت الى نفسي أشد حلاوة * من الماء بالماذي من عسل النحل

وكل

وكل فتى في الناس بعد ابن أمه * كساقطة إحدى يديه من الخبل
وبعض الرجال نخلة لا جنى لها * ولا ظل إلا أن تعد من النخل

وقال له عمر بن الخطاب إنك لجزل فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخي في الليلة المظلمة ذات الأزيز والصراد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح فيصبح أهله متبسما الجمل الثفال البطيء الذي لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه إنما يجر الحبل والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها وذكرنا أن مالكا كان من أرداف الملوك وفي تصداق ذلك يقول جرير يفخر ببني يربوع

منهم عتيبة والمحل وقعنب * والحنتفان ومنهم الردفان

فأحد الردفين مالك بن نويرة اليربوعي والردف الآخر من بني رياح بن يربوع والردافة موضعان أحدهما أن يردفه الملك على دابته في صيد أو ترييف أو ما أشبه ذلك من مواضع الأنس والوجه الآخر أنبل وهو أن يخلف الملك إذا قام من مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده

٥٤ - باب

قال أبو العباس لما احتضر إبراهيم النخعي رحمه الله جزع جزعا شديدا فقيل له في ذلك فقال وأي خطر أعظم من هذا إنما أتوقع رسولا يرد علي من ربي إما بالجنة وإما بالنار ولما احتضر ابن سيرين جعل يقول نفسي والله أعز الأنفس علي ولما احتضر حجر بن عدي ليقتل سأل أن يمهل حتى يصلي ركعتين وظهر منه جزع شديد فقال له قائل أتجزع فقال وكيف لا أجزع سيفي مشهور وكفني منشور وقبري محفور ولست أدري أيؤديني إلى جنة أم إلى نار

(قال أبو الحسن ما يقوم بقتل حجر بن عدي شيء وإني لأعجب من قوله هذا ولست أدري أ يذهبني الى جنة أو الى نار وهو شهيد الشهداء رحمه الله) وقد ذكرنا موت عمرو بن العاصي وكلامه عند الموت ❁ وممن ظهرت منه عند الموت قسوة حلحلة الفزاري وسعيد بن أبان ابن عيينة بن حصن الفزاري فان عبد الملك لما أحضرهما ليقيد منهما قال لحلحلة صبرا حلحل فقال اي والله

أصبر من ذي ضاغط عركرك * ألقى بواني زوره للمبرك

ثم قال لابن الاسود الكلبي أجد الضربة فاني والله ضربت أباك ضربة أسلحته فعددت النجوم في سلحته ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان صبرا سعيد فقال اي والله

أصبر من عود بجنبيه الجلب * قد أثر البطان فيه والحقب

ومنهم وكيع بن أبي سود أحد بني غدانة بن يربوع فانه لما يئس منه خرج الطبيب من عنده فقال له محمد ابنه ما تقول قال لا يصلي الظهر وكان محمد ناسكا فدخل الى أبيه فقال له أبوه وكيع ما قال لك المعلوج قال وعدا أنك تبرأ قال أسألك بحقي عليك قال ذكر أنك لا تصلي الظهر قال ويلي على ابن الخبيثة والله لو كانت في شدقي للكتها الى العصر وروى أن ابراهيم النخعي قال في الحديث الذي ذكرناه والله لوددت أنها تلجلج في حلقي الى يوم القيامة وفي وكيع بن أبي سود يقول الفرزدق

لقد رزئت بأسا وحزما وسوددا * تميم بن مر يوم مات وكيع

وما كان وقافا وكيع اذا دنت * سحائب موت وبلهن نجيع

اذا التفت الابطال أبصرت لونه * مضيا وأعناق الكماة خضوع

فصبرا تميم انما الموت منهل * يصير اليه صابر وجزوع

وقال أيضا

لتبك وكيعا خيل ليل مغيرة * تساقى المنايا بالردينية السمر
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة * دعوها وكيعا والجياد بهم تجرى

ومن الجفاة عند الموت هدبة بن خشرم العذرى وكان قتل زيادة بن زيد العذرى فلما حمل الى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادعى عليه فقال له معاوية ما تقول قال أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا قال بل شعرا فانه أمتع فقال هدبة

فلما رأيت أنما هى ضربة * من السيف أو اغضاء عين على وتر
عمدت لأمر لا يعير والدى * خزايته ولا يسب به قبرى
رمينا فرامينا فصادف سهمنا * منية نفس فى كتاب وفى قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا * وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فان تك فى أموالنا لا نضق بها * ذراعا وان صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية أراك قد أقررت يا هدبة قال هو ذاك فقال له عبد الرحمن أقدنى فكره ذلك معاوية وضن بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيرا فقال له معاوية أو ما عليك أن تشفى صدرك وتحرم غيرك ثم وجه به الى المدينة فقال يحبس الى أن يبلغ ابن زيادة فبلغ وكان والى المدينة سعيد بن العاصى فما وقف عليه من قسوته قوله

ولما دخلت السجن يا أم مالك * ذكرتك والاطراف فى حلق سمر
وعند سعيد غير أن لم أبح به * ذكرتك ان الامر يذكر بالامر

فسئل عن هذا القول فقال لما رأيت ثغر سعيد وكان سعيد حسن الثغر جدا ذكرت به ثغرها ويقال انه عرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه ممن ذكرنا الحسين بن على وعبد الله بن جعفر عليهما السلام وسعيد بن العاصى ومروان بن

الحكم وسائر القوم من قريش والانصار فلما خرج به ليقاد بالحرة جعل ينشد الاشعار فقالت له حبى المدينية ما رأيت أقسى قلبا منك أتنشد الاشعار وأنت يمضى بك لتقتل وهذه خلفك كأنها ظبى عطشان تولول تعنى امرأته فوقف ووقف الناس معه فأقبل على حبى فقال

ما وجدت وجدى بها أم واحد * ولا وجد حبى بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلا * كما انعتت من قوة وشباب

فأغلقت حبى الباب فى وجهه وسبته وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدنى فقال له أعلى هذه الحال قال نعم فأنشده

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أبتغى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب
وحربنى مولاى حتى غشيته * متى ما يحربك ابن عمك تحرب

فلما قدم نظر الى امرأته فدخلته غيرة وقد كان جدع فى حربهم فقال

فان يك أنفى بان منه جماله * فما حسبى فى الصالحين بأجدعا
فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت قفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلمت أنفها فقالت أهذا فعل من له فى الرجال حاجة فقال الآن طاب الموت ثم أقبل على أبويه فقال

أبليانى اليوم صبرا منكما * ان حزنا منكما اليوم لشر
ما أظن الموت الا هينا * ان بعد الموت دار المستقر

ثم قال

أذا العرش إني عائذ بك مؤمن * مقر بزلاتي إليك فقير
وإني وإن قالوا أمير مسلط * وحجاب أبواب لهن صرير
لأعلم أن الأمر أمرك إن تدن * فرب وإن تغفر فأنت غفور

ثم قال لابن زيادة أثبت قدميك وأجد الضربة فإني أيتمتك صغيرا وأرملت أمك شابة ويزعم بعض أصحاب الأخبار أنه قال ما أجزع من الموت وآية ذلك أني أضرب برجلي اليسرى بعد القتل ثلاثا وهو باطل موضوع ولكن سأل فك قيوده ففكت فذلك حيث يقول

فإن تقتلوني في الحديد فإنني * قتلت أخاكم مطلقا لم يقيد

قال أبو العباس ووقف جبار بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل ولم يكن حضره فقال أنعم صباحا أبا علي فوالله لقد كنت سريعا إلى المولى بوعدك بطيئا عنه بإيعادك ولقد كنت أهدى من النجم وأجرى من السيل ثم التفت إليهم فقال كان ينبغي أن تجعلوا قبر أبي علي ميلا في ميل

وذكر الحرمازي أن الأحنف بن قيس لما مات وكان موته بالكوفة مشى المصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء وقال اليوم مات سيد العرب فلما دفن قامت امرأة على قبره أحسبها من بني منقر فقالت لله درك من مجن في جنن ومدرج في كفن فنسأل الذي فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وأن يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت في المحافل شريفا وعلى الأرامل عطوفا ولقد كنت في الحي مسودا وإلى الخليفة موفدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها ووقف رجل على قبر النجاشي فترحم وقال لولا أن القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لأطنبت بل لأسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشي ناقتي * بأبيض عضب أخلصته صياقله

على قبر من لو أنني متقبله * لهانت عليه عند قبري رواحله

وروى ابن دأب أن حسان بن ثابت الانصاري اجتاز بقبر ربيعة بن مكدم فأنشد

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادي قبره بذنوب
نفرت قلوصي من حجارة حرة * نصبت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فانه * شريب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وطول قفر مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب
نعم الفتى أدى نبيشة رحله * يوم الكديد نبيشة بن حبيب

وربيعة بن مكدم رجل من بني كنانة وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعي وقيس تقول قتله نبيشة بن حبيب السلمي وكان أهبان أخا نبيشة لامه وكان أتاه زائرا وأغار ربيعة بن مكدم على بني سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان فقاته فلا أنه في بني سليم قال حسان * نفرت قلوصي من حجارة حرة * لان الحرة هنالك لبني سليم وفي تصداق ما تدعيه خزاعة يقول أهبان

ولقد طعنت ربيعة بن مكدم * يوم الكديد فخر غير موسد
في عارض شرق بنات فؤاده * منه بأحمر كالنقيع المجسد
ولقد وهبت سلاحه وجواده * لاخي نبيشة قبل لوم الحسد

وقال أخو ربيعة يجيبه

فات ابن غادية المنية بعدما * رفعت أسافل ذيله بالمطرد
قل لابن غادية المتاح لقتلنا * ما كان يقتلنا الوحيد المفرد

يريد أن أهبان مفرد من قومه في أخواله وقال أيضا

فإن تذهب سليم بوتر قومي * فأسلم من منازلنا قريب

وقالت ليلى الاخيلية

ألبت أبكي بعد توبة هالكا * وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى * اذا لم تصبه في الحياة المعاير

فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

و يروى

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا * أخا الحرب ان دارت عليه الدوائر

فكل جديد أو شباب الى بلى * وكل امرئ يوما الى الله صائر

وذكر المدائني أن رجلا عزى رجلا أفرط عليه الجزع على ابنه فقال يا هذا اسررت به وهو حزن وفتنة وجزعت عليه وهو صلاة ورحمة فسرى عنه و يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعزوا عن مصائبكم بي وقال رجل لابن عمر أعظم الله أجرك فقال نسأل الله العافية معناه أنه لما قال له أعظم الله أجرك انما دعا بان يكثر ما يؤجر عليه ودل على انه من باب المصائب تعزيته اياه

٥٥ ﴿وهذا باب طريف من أشعار المحدثين﴾

قال مطيع بن اياس الليثي يرثي يحيى بن زياد الحارثي وكان صديقه وكانا متهمين جميعا بالخروج عن الملة

يا أهل بكوا لقلبي القرح * وللدموع الهوامل السفح

راحوا بيحيى الى مغيبة * في القبر بين التراب والصفح

راحوا بيحيى ولو تطاوعني الـ * ـأقدار لم يبتكر ولم يرح

يا خير من يحسن البكاء له * اليوم ومن كان أمس للمدح

وفي يحيى يقول مطيع لتبوة كانت بينهما

كنت ويحيى كيدي واحد * نرمي جميعا ونرامى معا
ان سره الدهر فقد سرني * أو حادث ناب فقد أقطعا
أو نام نامت أعين أربع * منا وان هب فلن أهجعا
حتى اذا ما الشيب في عارضي * لاح وفي مفرقه أسرعا
سعى وشاة طبن بيننا * فكاد حبل الوصل أن يقطعا
فلم ألم يحيى على حادث * ولم أقل خان ولا ضيعا

وقال أبو عبد الرحمن العتبي يرثي علي بن سهل بن الصباح وكان له صديقا

يا خير اخوانه وأعطفهم * عليهم راضيا وغضبانا
أمسيت حزنا وصار قربك لي * بعدا وصار اللقاء هجرانا
انا الى الله راجعون لقد * أصبح حزني عليك ألوانا
حزن اشتياق وحزن مرزئة * اذا انقضى عاد كالذي كانا

قوله يا خير اخوانه محال و باطل وذلك أنه لا يضاف أفعل الى شيء الا وهو جزء منه وقال أيضا

دعوتك يا أخي فلم تجبني * فردت دعوتي حزنا عليا
بموتك ماتت اللذات مني * وكانت حية اذ كنت حيا
فيا أسفي عليك وطول شوقي * اليك لو ان ذلك يرد شيا

وحدثني رجل من أصحابنا قال شهدت رجلا في طريق مكة معتكفا على قبر وهو يردد شيأ ودموعه تكف من لحيته فدنوت اليه لأسمع ما يقول فجعلت العبرة تحول بينه و بين الابانة

فقلت له يا هذا فرفع رأسه الي وكأنما هب من رقدة فقال ما تشاء فقلت أعلى ابنك تبكي قال لا قلت فعلى أبيك قال لا ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخص منهما قلت أو يكون أحد أخص ممن ذكرت قال نعم من أخبرك عنه ان هذا المدفون كان عدوا لي من كل باب يسعى علي في نفسي وفي مالي وفي ولدي فخرج الى الصيد آيأس ما كنت من عطبه وأكمل ما كان من صحته فرمى ظبيا فأقصده فذهب ليأخذه فاذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبي فمر فتلقى بفؤاده ظبة السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبي ميتان فنمي الي خبره فأسرعت الى قبره مغتبطا بفقده فاني لضاحك السن اذ وقعت عيني على صخرة فرأيت عليها كتابا فهلم فاقرأه وأومأ الى الصخرة فاذا عليها

وما نحن الا مثلهم غير أننا * أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

قلت أشهد انك تبكي على من بكاؤك عليه أحق من النسيب ومما استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الربيع في جارية طالبها سبع سنين يبذل فيها جاهه وماله واخوانه حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت فقال فيها أشعارا كثيرة اخترنا منها بعضها من ذلك قوله

لله أنسة فجعت بها * ما كان أبعدها من الدنس
أتت البشارة والنعي معا * يا قرب مأتمها من العرس
يا ملك نال الدهر فرصته * فرمى فؤادا غير محترس
كم من دموع لا تجف ومن * نفس عليك طويلة النفس
أبكيك ما ناحت مطوقة * تحت الظلام تنوح في الغلس
يا ملك في قبرك معتبر * ومواعظ يوحشن ذا الأنس
ما بعد فرقة بيننا أبدا * في لذة درك لملتمس

وأخذ ما في صدر هذا الكلام من قول القائل

ربّ مغروس يعاش به * فقدته كفّ مغترسه

وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثي زوجها ولم يكن دخل بها

أبكيك لا للنعيم والأنس * بل للمعالي والرمح والفرس

أبكي على فارس فجعت به * أرملني قبل ليلة العرس

يا فارسا بالعراء مطرحا * خانته قواده مع الحرس

من لليتامى اذا هم سغبوا * وكل عان وكل محتبس

أم من لبرّ أم من لفائدة * أم من لذكر الاله في الغلس

ومما أستطرفه من شعر يعقوب قوله

ليت شعري بأي ذنب ألمّ * كان هجري لقبرها واجتنابي

ألذنب حقدته كان منها * أم لعلمي بشغلها عن عتابي

أم لأمني لسخطها ورضاها * حين واريت وجهها في التراب

ما رقى في العباد حيّ لميت * بعد يأس منه له في الاياب

وفي هذا الشعر

انما حسرتي اذا ما تذكرت * تعنّاي بها وطول طلابي

لم أزل في الطلاب سبع سنين * أتأتّى لذاك من كل باب

فاجتمعنا على اتفاق وقدر * وافترقنا عن فرقة باصطحاب

أشهر ستة صحبتك فيها * كن كالحلم أو كلمع السراب

وأتاني النعي منك مع البشرى فيا قرب أوبة من ذهاب

ومن مليح شعره قوله يرثيها

حتى اذا اقتر اللسان وأصبحت * للموت قد ذبلت ذبول النرجس
وتسهلت منها محاسن وجهها * وعلا الانين تحثه بتنفس
رجع اليقين مطامعي يأسا كما * رجع اليقين مطامع المتلمس

ومن مليح شعره أيضا قوله

فقدت علاك وقد أينعت * وتمت فأعظم بها من مصيبه
فأصبحت مغتربا بعدها * وأمست بحلوان مثلك غريبه
أراني غريبا وان أصبحت * منازل أهلي مني قريبه
خلفت على أختها بعدها * فصادفتها ذات عقل أديبه
فأقبلت أبكي وتبكي معي * بكاء كئيب بحزن كئيبه
وقلت لها مرحبا مرحبا * بوجه الحبيبة أخت الحبيبه
سأصفيك ودي حفاظا لها * فذاك الوفاء بظهر المغيبه
أراك كمثلك وان لم تكن * لمثلك من الناس عندي ضريبه

ومما اخترنا من مرثية يزيد المهلبي للمتوكل على الله قوله

لا حزن الا أراه دون ما أجد * وهل كمن فقدت عيناي مفتقد
لا يبعدن هالك كانت منيته * كما هوى عن غطاء الزبية الاسد
لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم * اذ لا تمد الى الجاني عليك يد
لو أن سيفي وعقلي حاضران له * أبليته الجهد اذ لم يبله أحد

جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد

هلا أتته أعاديه مجاهرة * والحرب تسعر والأبطال تجتلد

خر فوق سرير الملك منجدلا * لم يحمه ملكه لما انقضى الأمد

قد كان أنصاره يحمون حوزته * وللردى دون أرصاد الفتى رصد

وأصبح الناس فوضى يعجبون له * ليثا صريعا تنزى حوله النقد

علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك إلا الواحد الصمد

جاؤا عظيم الدنيا يسعدون بها * فقد شقوا بالذي جاؤا وما سعدوا

ضجت نساؤك بعد العز حين رأت * خدا كريما عليه قارت جسد

أضحى شهيد بني العباس موعظة * لكل ذي عزة في رأسه صيد

خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد

كم في أديمك من فوهاء هادرة * من الجوائف يغلي فوقها الزبد

إذا بكيت فإن الدمع منهمل * وإن رثيت فإن القول مطرد

قد كنت أسرف في مالي وتخلف لي * فعلمتني الليالي كيف أقتصد

لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم * ضعتم وضيعتم من كان يعتقد

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم * حمتكم السادة المذكورة الحشد

قوم هم الجذم والأنساب تجمعهم * والمجد والدين والأرحام والبلد

إذا قريش أرادوا شد ملكهم * بغير قحطان لم يبرح به أود

قد وتر الناس طرا ثم قد صمتوا * حتى كأن الذي نيلوا به رشد

من الأولى وهبوا للمجد أنفسهم * فما يبالون ما نالوا إذا حمدوا

(قال أبو الحسن قوله قارت يقال قرت الدم يقرت قروتا ودم قارت قد يبس بين الجلد واللحم

ومسلنقارت وهو أخفضه وأجوده قال * يعل بقرات من المسلنقاتن * وقرات فعال وقاتن مسلنقاتن قد قتن قتونا أي يابس لاندوة فيه)

٥٦ ﴿باب ذكر الاذواء من اليمن في الاسلام﴾

فأما في الجاهلية فيذكرون نحو ذي يزن وذي كلاع وذي نواس وذي رعين وذي أصبح وذي المنار وذي القرنين فأما في الاسلام فمنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنصاري ومنهم قتادة بن النعمان الانصاري ذو العين كانت عينه أصيبت فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وكانت تعتل عينه الصحيحة فلا تعتل المردودة معها ومنهم أبو الهيثم بن التيهان الانصاري ذو السيفين كان يتقلد سيفين في الحرب ومنهم حباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأي وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ برأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له آراء في الجاهلية مشهورة ومنهم سعد بن صفيح ذو السبال ومنهم ذو المشهرة وهو أبو دجانة سماك بن خرشة وكانت له مشهرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر وكل هؤلاء من الانصار ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطفيل الازدي ثم الدوسي ذو النور أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا في جبينه ليدعو به قومه فقال يا رسول الله هذه مثلة فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوطه فلما ورد على قومه بالسراة جعلوا يقولون ان الجبل ليتلهب وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة ومنهم ثم من خزاعة ذو اليدين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين وكان قبل يدعى ذا الشمالين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فسلم في الركعة الثانية فقال ذو اليدين يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ما كان ذاك فقال بلى يا رسول الله فالتفت الى أصحابه فقال ما يقول ذو اليدين فقالوا

صدق يا رسول الله فنهض فأتم ثم قال اني لا نسى أو أنسى لاستن

﴿ وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية ﴾

منهم سعد بن معاذ الانصاري وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجليه فى المشى لئلا يطأ على جناح ملك واهتز لموته عرش الله جل وعز وفى ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به الا لسعد أبي عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب وشم من تراب قبره رائحة المسك ومنهم حسان بن ثابت الانصاري قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك وقال فى حديث آخر ان الله مؤيد حسانا بروح القدس ما نافح عن نبيه وقالت عائشة كان يوضع لحسان منبر فى مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم حنظلة بن أبي عامر الانصاري غسلته الملائكة وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبكم هذا قد غسلته الملائكة فسئل عن ذلك فقالت امرأته كان معي على ما يكون الرجل مع امرأته فأعجلته حطمة بلغته فى المسلمين فخرج فأصيب ففى ذلك يقول الاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح حمي الدبر وكان خال أبيه

غسلت خالي الملائكة الابرار ميتا أكرم به من صريع

وأنا ابن الذي حمت ظهره الدبر قتيل اللحيان يوم الرجيع

ومنهم حارثة بن النعمان رأى جبريل صلى الله عليه وسلم مرتين وأقرأه جبريل السلام ومنهم ثم من خزاعة عمران بن حصين كانت تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن منهم وجوها ولا أطيب أرواحا ثم قد انقطعوا عني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابك جرح فكنت تنكؤه فقال أجل قال ثم أظهرته قال قد كان ذلك قال أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت ومنهم جرير بن عبد الله البجلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن عليه مسحة ملك ومنهم دحية بن خليفة الكلبي كان جبريل صلى الله عليه يهبط في صورته فمن ذلك يوم بني قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أقد وضعتم سلاحكم ما وضعت الملائكة أسلحتها بعد ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة وها أنا ذا سائر اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يصلوا العصر الا في بني قريظة فجعل يمر بالناس فيقول أمر بكم أحد فيقولون مر بنا دحية بن خليفة على بغلة عليها قطيفة خز نحو بني قريظة فيقول ذاك جبريل ثم مر دحية بعد ذلك وكان لا يزال عليه السلام في غير هذا اليوم ينزل في صورته كما ظهر ابليس في صورة الشيخ النجدي

٥٧ ﴿وهذا باب قد تقدم ذكرنا اياه ووعدنا استقصاءه﴾

اعلم أن كل شيء من الحيوان كان مما يخبر الناس عنه كما يخبرون عن أنفسهم ومما يقتنونه ويتخذونه فبهم حاجة الى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكره ومؤنثه تقول جاءني رجل اذا لم تدر من هو بعينه أو دريت فلم ترد أن تبين ثم تعرفه لصاحبك اذا أردت ذلك اما بألف ولام واما باسم معروف أو اضافة أو غير ذلك وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نعوت يعرفون بها بعضها من بعض وكذلك الشاء والكلاب والابل ولولا تمييز بعضها من بعض لم يستقم الاخبار عنها والاختصاص بما أريد منها فاذا كان الشيء ليس مما يتخذونه لم

يحتاجوا الى التمييز بين بعضه و بعض يقول الرجل رأيت الاسد فليس يعنى أسدا بعينه ولكن يريد الواحد من الجنس الذى قد عرفت وكذلك الذئب والعقرب والحية وما أشبه ذلك ألا ترى ان ابن عرس وسام أبرص وأم حبين وأبا الحرث وأبا الحصين معارف لا على أن تميز بعضها من بعض ولكن تعريف الجنس وقولك ابن مخاض وابن لبون وابن ماء نكرات لان هذا انما يتخذه الناس وابن ماء انما هو مضاف الى الماء الذى يعرف فاذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلت فيما أضيفت اليه الالف واللام أو لقيتها ألقابا تعرف بها كزيد وعمرو واعلم أن كل جمع مؤنث لانك تريد معنى جماعة ولا تذكر من ذلك الا ما كان فعله يجرى بالواو والنون فى الجمع وذلك كل ما يعقل تقول مسلم ومسلمون كما تقول قوم يسلمون وتقول للجمال هى تسير وهن يسرن كما تقول للمؤنث لان أفعالها على ذلك وكذلك الموات قال الله عز وجل فى الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس والواحد مذكر وقال المفسرون فى قوله ان يدعون من دونه الا اناثا قالوا الموات فكل ما خرج عما يعقل فجمعه بالتأنيث وفعله عليه لا يكون الا ذلك الا ما كان من باب المنقوص نحو سنين وعزين وليس هذا موضعه وجملته أنه لا يكون الا مؤنثا فلهذا كان يقع على بعض هذا الضرب الاسم المؤنث فيجمع الذكر والانثى فمن ذلك قولهم عقرب فهو اسم مؤنث الا انك ان عرفت الذكر قلت هذا عقرب وكذلك الحية تقول للانثى هذه حية وللذكر هذا حية قال جرير

ان الحفافيث منكم يا بنى لجأ * يطرقن حين يصول الحية الذكر

(قال الاخفش الحفافيث ضرب من الحيات يكون فى مشافر الجرب ينتفخ ويعظم وينفخ نفخا شديدا لا غائلة له) وتقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للانثى وهذا دجاجة وهذه دجاجة قال جرير

لما تذكرت بالديرين أرقنى * صوت الدجاج وقرع النواقيس

يريد وفاء الدية فالاسم الذي يجمعها دجاجة للذكر والانثى ثم يخص الذكر بأن يقال
ديك وكذلك تقول هذا بقرة لهما جميعا وهذا حبارى ثم يخص الذكر فتقول ثور وتقول
للذكر من الحبارى خرب فعلى هذا يجري هذا الباب وكل ما لم نذكره فهذا سبيله وقد كنا
أرجأنا أشياء ذكرنا انا سنذكرها في آخر هذا الكتاب منها خطب ومواعظ ورسائل ونحن
ذاكرون ما تهيأ من ذلك ان شاء الله قال الاصمعي فيما بلغني خطبنا أعرابي بالبادية فحمد
الله واستغفره ووحده وصلى على نبيه فبلغ في ايجاز ثم قال أيها الناس ان الدنيا دار بلاغ
والآخرة دار قرار فخذوا من مفركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه
أسراركم في الدنيا كنتم ولغيرها خلقتم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والمصلّى عليه
رسول الله والمدعو له الخليفة والامير جعفر بن سليمن وحدثت في بعض الاسانيد أن عمر
ابن عبد العزيز قال في خطبة له أيها الناس انما الدنيا أمل مخترم وأجل منتقص وبلاغ الى
دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكر في أمره ونصح لنفسه وراقب
ربه واستقال ذنبه ونور قلبه أيها الناس قد علمتم أن أباكم قد أخرج من الجنة بذنب واحد
وأن ربكم وعد على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل ويروى أن
رجلا معروفا ذهب اسمه عني قال أتيت ابن عمر فقلت أتجب الجنة لعامل بكل الخيرات وهو
مشرك فقال لا فقلت له أتجب النار لعامل بالشر كله وهو موحد قال عش ولا تغتر قال وأتيت
ابن عباس فسألته فأجابني بمثل جوابه سواء وقال عش ولا تغتر قال وحدثني بهذا الحديث
القاضي (يعني اسمعيل بن اسحق) وذكر العتبي أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن
سعد القصير قال خطب الناس بالموسم عتبة في سنة احدى وأربعين وعهد الناس حديث
بالفتنة فاستفتح ثم قال أيها الناس انا قد ولينا هذا الموضع الذي يضاعف الله فيه للمحسن
الاجر وعلى المسيء الوزر فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمن حتفه في

أمنيته اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم واياكم ولو فقد أتعبت من كان قبلكم وان تريح من بعدكم فاسألوا الله أن يعين كلا على كل فنعق به اعرابي من مؤخر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد قال فيا أخاه قال قد أسمعت فقل فقال والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيؤا وقد أحسنا فان كان الاحسان لكم فما أحقكم باستتمامه وان كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا رجل من بنى عامر يمت اليكم بالعمومة ويختص اليكم بالخؤلة وقد وطئه زمان وكثرة عيال وفيه أجر وعنده شكر فقال عتبة استعيذ بالله منك وأستعينه عليك قد أمرت لك بغناك فليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك وذكر العتبي ان عتبة خطب الناس بمصر عن موجدة فقال يا حاملي الأم آنف ركبت بين أعين انى انما قلمت أظفارى عنكم ليلين مسى لكم وسألتكم صلاحكم اذ كان فسادكم باقيا عليكم فأما اذ أبيتم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فان حسمت أدواءكم والا فان السيف من ورائكم فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم ومن موعظة منا صمت عنها آذانكم ولست أبخل عليكم بالعقوبة اذ جدتم بالمعصية ولا أويسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التى هى أبر وأتقى ثم نزل وذكر العتبي أو غيره ان داود بن على بن عبد الله بن العباس خطب الناس فى أول موسم ملكه بنو العباس بمكة فقال شكرا شكرا انا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهرا ولا لنبني فيكم قصرا أظن عدو الله أن لن نقدر عليه ان روخى له من خطامه حتى عثر فى فضل زمامه فالآن حيث أخذ القوس باريها وعاد النبل الى النزعة ورجع الملك فى نصابه فى أهل بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن فى فرشنا أمن الاسود والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية وأومأ بيده الى الكعبة لا نهيج منكم أحدا قال وخطب الناس معاوية بن أبي سفيان فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس انى من زرع قد استحصد

ولن يأتيكم بعدى الامن أنا خير منه كما لم يكن قبلى الامن هو خير منى وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته قلبننى فقلبنه فقال انكن لتقلبنه حولا قلبا ان وقى كبة النار ثم قال متمثلا

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال لابنته قرظة ابكينى فقالت

ألا ابكيه ألا ابكيه * ألا كل الفتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته انك قد فجعت بخير الآباء وأعطيت جميع الاشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطية فلا أعطى أحد كما أعطيت ولا رزى كما رزئت فقام ابن همام السلولى فأنشده شعرا كأنما أوضعه الثقفى فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر بلاء الذى بالملك أصفاكا

أصبحت تملك هذا الخلق كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا

ما ان رزى أحد فى الناس نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وفى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

الحول معناه ذو الحيلة والقلب الذى يقلب الامور ظهرا لبطن وقوله ان وقى كبة النار فكبة النار معظمها وكذلك كبة الحرب ويقال لقيته فى كبة القوم ويروى عن بعض الفرسان أنه طعن رجلا فى حرب فقال طعنته فى الكبة فوضعت رمحى فى اللبة وأخرجته من السبة والسبة الدبر ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال ادن فكل يا أبا صفوان فقال أصلح الله الامير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت قال

أتيت ضبعتي لأبان الغراس وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى اذا اضحت الشمس وأزمعت بالركود ملت الى غرفة لي هففافة في حديقة قد فتحت أبوابها ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافح وسمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وسمك بنانى بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر غلاظ القصر ودقة وخاول ومرى وبقول ثم أتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الايدى ولم يهشمه كيل المكاييل فأكلت هذا ثم هذا فقال يزيد يا ابن صفوان لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مذروع ۞ ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن حسن العلوى كما وعدنا في أول الكتاب ونختصر ما يجوز ذكره منه ونغسل عن الباقى فقد قيل الراوية أحد الشاغين قال لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وان أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضى لك ما شئت من الحاجات وأن أطلق من في سجنى من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتبع أحدا منكم بمكروه فان شئت ان تتوثق لنفسك فوجه الى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما أحببت والسلام فكتب اليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب

المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض
وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من
المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين
ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض
عليك من الامان مثل الذي أعطيتني وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم
فيه بشيعتنا وحظيتموه بفضلنا وان أبانا عليا عليه السلام كان الوصي والامام فكيف
ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه ليس أحد من بني هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر
بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وأنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو
في الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة في الاسلام من بينكم فأنا أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم
أما وأبا لم تلدني العجم ولم تعرق في أمهات الاولاد وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدني
من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم اسلاما وأوسعهم علما
وأكثرهم جهادا علي بن أبي طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن
بالله وصلى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ومن المولودين في الاسلام
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد
المطلب ولد الحسن مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدي
الحسن والحسين فما زال الله يختار لي حتى اختار لي في النار فولدني أرفع الناس درجة في
الجنة وأهون أهل النار عذابا فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة
وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل
ما أصبته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك في ذلك فأنا أوفى
بالعهد منك وأحرى لقبول الامان فأما أمانك الذي عرضت علي فأي الامانات هو أأمان ابن

هُبيرة أم أمان عمك عبد الله بن علي أم أمان أبي مسلم والسلام فكتب اليه المنصور بسم
الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فقد أتاني
كتابك وبلغني كلامك فاذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء
كالعمومة ولا الآباء كالعصبة والاولياء ولقد جعل العم أبا وبدأ به على الوالد الأدنى فقال جل
ثناؤه عن نبيه عليه السلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ولقد علمت
أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فأجابه اثنان أحدهما
أبي وكفر اثنان أحدهما أبوك فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين على قرب
الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء
من خلقه فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب فان الله لم يهد أحدا من ولدها للاسلام ولو
فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الآخرة والأولى وأسعدهم بدخول
الجنة غدا ولكن الله أبى ذلك فقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء فأما
ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وفاطمة أم الحسن وأن هاشما ولد عليا
مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة وأما ما ذكرت
من أنك ابن رسول الله فان الله عز وجل أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة غير انها امرأة لا تحوز الميراث
ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها
تخاصم ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين ولقد حضر أبوك وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم أخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم ثم
كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب

أباك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم فى يديه شيعته وخرج الى المدينة فدفع الامر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شئ فقد بعتموه فأما قولك ان الله اختارك فى الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذابا فليس فى الشر خيار ولا من عذاب الله هين ولا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتخر بالنار وسترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأما قولك انك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد وأنك أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده فانظر ويحك أين تكون من الله غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على بن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن على خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين بن على على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الاقتاب بغير أوطية كالسبى المجلوب الى الشام ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك فى أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل على أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل أولئك مضوا سالمين مسلما منهم وابتلى أبوك بالدماء ولقد علمت أن مآثرنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا

فيها أبوك الى عمر فقضى لنا عمر عليه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا الا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا أن العباس أخرج الى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يلحسا جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التى أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مناكم فى الكفر وفديناكم من الاسر وورثنا دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام ❁ قال أبو العباس وقد ذكرنا رسالة هشام الى خالد بن عبد الله وانا سنذكرها بتمامها فى غير هذا الموضع الذى ابتدأنا ذكرها أولا فيه وكان سبب هذه الرسالة افراط خالد فى الدالة على هشام وانه أخذ ابن حسان النبطى فضربه بالسياط وكان يقال له سهيل قال فبعث بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من افراط الدالة واحتجان الاموال وكفر ما أسداه اليه من توليته اياه العراق فكتب هشام الى خالد بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك الا لما أحب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد عليه منك فان تعد لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى فى معاجلتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما فى يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية الغى والسلطان ذل منقادا وندم حسيرا وتمكن منه عدوه قادرا عليه قاهرا له ولو أراد أمير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك

والله ما زادتني ولاية العراق شرفاً ولا ولاني أمير المؤمنين شيئاً لم يكن من قبلي ممن هو دوني يلي مثله ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في أهل العراق في تلك المضايق التي لقي لعلمت أنك رجل من بجيلة فقد خرج عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى قلت أطعموني ماء دهشاً وفزعاً وجبناً فما استطعتهم الا بأمان ثم أخفرت ذمتك منهم رزين وأصحابه ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك في مجلسك وجحودك فضله اليك وتصغيرما أنعم به عليك لحل العقدة ونقض الصنيعة وردك الى منزلة أنت أهلها كنت لذلك مستحقاً فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين وعرض له دينه ودمه فما اصطنع الا عنده ولا ولاه ما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك وقبله من أهل اليمن وبيوتاتهم من قبيلة أكرم من قبيلتك من كندة وغسان وآل ذي يزن وذي كلاع وذي رعين في نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكرم أولية وأشرف اسلافاً من آل عبد الله ابن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات تعلوك وتغمرك وتسكتك وتتقدمك في المحافل والمجامع عند بدأة الامور وأبواب الخلفاء ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غربك لعاجلك بالتي كنت أهلها وانها منك لقريب مأخذها سريع مكروهها فيها ان أبقى الله أمير المؤمنين زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك فبئس الجنين أنت يا عدي نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان أمير المؤمنين اليك وسوء قيامك بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبحت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمة عندك فأصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة وحلول الخزي فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أوجد ولما عملت أكره فقد أصبحت وذنوبك

عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبكتك إلا رانيا بين يديه وعنده من يقررك بها ذنبا ذنبا
ويبكتك بما أتيت أمرا أمرا فقد نسيته وأحصاه الله عليك ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر
عنك فيما عرفك به من التسرع إلى حماقتك في غير واحدة منها القرشي الذي تناولته بالحجاز
ظالما فضربك الله بالسوط الذي ضربته به مقتصا على رؤوس رعيتك ولعل أمير المؤمنين
يعود لك بمثل ذلك فإن يفعل فأهله أنت وإن يصفح فأهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهي
سقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحي من قريش تسميها أم جعار فلا سقاك الله من
حوض رسوله وجعل شرك كالخير كالفداء والله أن لو لم يستدلل أمير المؤمنين على ضعف
ضمائرك وسوء تدبيرك إلا بفسالة خائنك وبطانتك وعمالك والغالبة عليك جاريتك الرائقة
بائعة الفهود ومستعملة الرجال مع ما أتلفت من مال الله في المبارك فإنك ادعيت أنك
أنفقت عليه اثني عشر ألف ألف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل
لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين وسلطت من ولاة السوء
على جميع أهل كور عملك تجمع إليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان حابسا لأكثره رافعا
لأقله مع خيانة مساويك التي قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها ومناصبتك أمير المؤمنين
في مولاه حسان وركبه في ضياعه وأحوازه في العراق وإقدامك على ابنه بما أقدمت به
وسيكون لأمير المؤمنين في ذلك نبأ إن لم يعف عنك ولكنه يظن أن الله طالبك بأمور أتيتها
غير تاركك انكشفت عنها وحملك الأموال ناقصة من وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة
وتوجيهك أخاك أسد إلى خراسان مظهرا العصبية بها متحاملا على هذا الحي من مضر قد
أتت أمير المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه إياهم الثقات ناسبا الحديث زرنب
وقصص الهجريين كيف كانت في أسد بن كرز فإذا خلوت أو توسطت ملأ فاعرف نفسك
وخف رواجع البغي عليك وعاجلات النقم قبلك واعلم أن ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا

أشد عليك وأفسد لك وقبل أمير المؤمنين خلف منك كثير في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم وفيهم عوض منك والله من وراء ذلك وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة

﴿هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه الا ما أذهل عنه النسيان فانه قلما يخلى من ذلك ونحن خاتموه بأشعار طريفة وآخر ذلك الذي نختم به آيات من كتاب الله عز وجل بالتوقيف على معانيها ان شاء الله﴾

قال الشاعر

اذكر مجالس من بني أسد * بعدوا وحن اليهم القلب

الشرق منزلنا ومنزلهم * غرب وأنى الشرق والغرب

من كل أبيض جل زينته * مسك أحم وصارم عضب

وقال آخر

حباه أبي العوام زين لقومه * لكل امرئ قاس الامور وجربا

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقي من الناس أعتبا

وقال مسلم

حباك يا ابن سعدان بن يحيى * حباة للمكارم والمعالي

جلبت لك الثناء فجاء عفوا * ونفس الشكر مطلقة العقال

وترجعني البلاد وانت بي * ديار منك تجربة الرجال

وقيل في المثل المبالغة في النصيحة تقع بك على عظيم الظنة وأنشدني العباس بن الفرج الرياشي

وكم سقت في آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد الظنة المتنصح

وأنشدني الرياشي

اذا الامر أغنى عنك حنو يه فاجتنب * مغرة أمر أنت عنه بمعزل

وقال العتّابيُّ

لا تزج رجعة مذنب * خلط احتجاجا باعتذار

وقال أيضا

وقيت كل خليل ودّنى غنا * الا المؤمل دولاتى وأيامى

وقيل للعتابى ما أقرب البلاغة قال ألّا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع وقال ابن يسير

اقدر لرجلك قبل الخطو موضعها * فمن علا زلقا عن غرة زلجا

وكان يقال اصمت لتفهم واذكر لتعلم وقل لتذكر ۞ ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون قال الله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه مجاز الآية ان المفعول الاول محذوف ومعناه يخوفكم من أوليائه وفي القرآن فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر لا يغيب عنه أحد ومجاز الآية فمن كان منكم شاهدا بلده في الشهر فليصمه والتقدير فمن شهد منكم أي فمن كان شاهدا في شهر رمضان فليصمه نصب الظروف لا نصب المفعول به وفي القرآن في مخاطبة فرعون فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فليس معنى ننجيك نخلصك ولكن نلقيك على نجوة من الارض ببدنك بدرعك يدل على ذلك لتكون لمن خلفك آية وفي القرآن يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم فالوقف يخرجون الرسول واياكم أي ويخرجونكم لان تؤمنوا بالله ربكم

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ونستغفر الله

مما قلناه من عمد وقصد وزلل وخلل

فهرس

الجزء الثانى من الكامل

صفحة

٤٦ - باب

٢ في ذكر ما فيه استراحة للقارئ وانتقال ينفى الملل

٣ ما قيل فى الإبل من ذم ومدح

٤ للوليد بن يزيد يفتخر

٥ الكلام وضروبه . الكناية وضروبها

٦ لأعرابي فى زوجه

٨ لرياح بن سنيح يجيب جريراً .

لمروان بن أبى حفصة فى الغزل وتفسير ما فيها من الغريب

١٠ بعض طرائف العاشق

١٢ لذى الرمة يشبب بمحبوبته مى وتفسير ما فيه من الغريب

١٥ ما قيل فى كتمان السر وإفشائه

١٩ لبكر بن النطاح يمدح مالك الخزاعى

٢٠ للخليع يمدح عاصما الغسانى .

لاسماعيل بن القاسم يعاتب صديقه

ليزيد بن محمد بن المهلب يمدح إسحاق ابن إبراهيم

٢١ ما قالت الشعراء فى سعيد بن سلم من مدح وذم

٢٣ مبلغ احتقار العرب لباهلة .

٢٥ ما وقع بين الحضين وعبد الله بن سلم فى مجلس قتيبة بن مسلم

صفحة

٢٦ للأعشى يمدح هوذة بن على ذى التاج وتفسير ما ورد فيه من الغريب

٣١ لجرير يهجو بنى حنيفة

٣٢ لعمارة بن عقيل يهجو بنى حنيفة

٣٣ للوليد بن عقبة يخاطب بنى هاشم

لليلى الأخيلية ترثى عثمان بن عفان

لآخر يرثيه أيضا

٣٤ لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدى يرثى عثمان بن عفان وتفسير ما ورد فيه من الغريب

٤٧ - باب

٣٥ فى بعض ما مر للعرب من التشبيه ومن ذلك ما ورد لامرئ القيس

٣٦ ومن عجيب التشبيه للنابغة ومن عجيب التشبيه لذى الرمة

٣٧ وله أيضا من التشبيه المصيب فى صفة روضة

٣٨ الأصمعى لا يفسر شعرا فيه ذكر للأنواء لتوبة يشبه القلب بقطاة قهرها شرك

٤٠ ما ينصب على المدح والذم وما يجوز فيه القطع

٤١ أحسن ما قيل فى صفة الضلوع واشتباكها أبو الهندى وميله إلى الشراب

صفحة

٤٣ للفرزدق فى النوار
من عجيب التشبيه فيما يكنى عن ذكره لجرير
وله أيضا من التشبيه الحسن فى صفة الخيل ومن حسن التشبيه لعنترة
٤٤ ومن التشبيه المتجاوز المفرط للخنساء
ومن تشبيه المحدثين المستطرف لبشار
للحسن بن هانئ فى صفة الخمر
٤٥ لاسحاق بن خلف فى صفة السيف
ما قيل فى صفة مصلوب
٤٦ ومن إفراط التشبيه لأبى خراش يصف سرعة ابنه فى العدو
٤٦ لابن عبدل يهجو رجلا بالبخر
٤٧ لعبد الرحمن يهجو مصعب بن عبد الله وصباح بن خاقان :
حد التشبيه وتشبيهات العرب للنساء
٥٠ الرياح ومواقعها
٥٢ لجرير يعير بنى مجاشع بخذلانهم الزبير ابن العوام
٥٣ نذر لبيد بن ربيعة عجزه عن الوفاء به
٥٥ لأوس بن حجر فى شدة البرد وغلبة الشمال يرثى فضالة بن كلدة الأسدى
٥٦ لرجل يهجو رجلا
٥٧ للسليك يرثى فرسه
٥٨ رجل من غنى يفاخر رجلا من بنى فزارة
٥٩ لعمارة يهجو بنى أسد بن خزيمة
ما قيل فى الترفع عن الوضيع
٦١ حلم الأحنف وترفعه
٦٢ عمرو بن العاص يسأل من أمه فيجيب

صفحة

٦٣ للفرزدق حين ولى عمر بن هبيرة العراق
لرجل من بنى أسد يجيب الفرزدق
٦٤ للفرزدق يهجو عمر بن هبيرة عند ولايته العراق
٦٥ للفرزدق لما عزل ابن هبيرة وحبس
٦٦ للفرزدق يهجو خالد بن عبد الله القسرى
وله أيضا فى هبيرة لما هرب من السجن
٦٧ ومن التشبيه المصيب لامرئ القيس فى طول الليل
٦٨ للمهلهل وقد خطبت بنته .
لراجز يصف غيما
٦٩ الكلام على قوله تعالى (طلعها كأنه رءوس الشياطين)
حديث أبى النجم العجلى مع هشام
٧٣ ما ذكر فى سير الناقة وحركة قوائمها من التشبيه المطرد
٧٤ لعمر بن أبى ربيعة فى النسب
٧٦ ما ذكر من الافراط فى السرعة
٧٧ لذى الرمة يشبه الرمل بأوراك العذارى
للشماخ فى صفة فرس :
٧٩ من التشبيه الحسن للشماخ يصف سمنها .
ما قيل فى شرح الشباب للشنفرى يصف يصف امرأة بشدة الاستحياء
٨٠ انتقاد بشار كثيرا فى تشبيه محبوبته بالعصا تعرض امرأة مدينية لكثير وانتقاده فى بعض أشعاره
لجرير يهجو خالد عينين العبدى

صفحة

٨٢ لأم الهيثم فى صفة جمل

٨٣ لأبى النجم يصف المنجنيق

لراجز يصف معولا

٨٤ للعجاج يصف حمارا .

للراعى يصف الحادى

٨٥ لعوف بن محلم وسمع نوح حمامة .

لحميد بن ثور يصف حمامة .

لابن الرقاع وذكر حمامة

٨٦ لبعض المحدثين وكان سمع غناء

٨٧ العرب تشبه على أربعة أضرب

من التشبيه المفرط لبكر بن النطاح فى أبى دلف

٨٨ من عجيب التشبيه فى إفراط قول النابغة فى حصن بن حذيفة

من التشبيه القاصد الصحيح للنابغة يصف خوفه من أبى قابوس

٨٩ من التشبيه البعيد لآخر يريد الصحة

لمروان بن أبى حفصة يهجو قوما من رواة الشعر

٩٠ ماورد فى تشبيه عين الانسان بعين الظبى والبقرة

٩١ لأبى نواس يمدح الفضل بن يحيى وتفسير ماورد فيه من الغريب

٩٣ لأبى نواس وكان الخليفة تشدد عليه فى شرب الخمر وحبسه

٩٤ فطنة الرشيد

حسد جرير لابن الرقاع على إجادته فى التشبيه لأبى نواس فى الغزل وهو من التشبيه الحسن

صفحة

٩٥ وله أيضا من التشبيه الجيد يمدح الخصيب

وله فى صفة السفينة .

وله يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقتها وضياءها

٩٦ وله فى الواشين

٩٧ من حسن التشبيه لبشار بن برد يصف حديث جارية

من حسن التشبيه لعباس بن الأحنف

٩٨ من حسن التشبيه لأبى العتاهية فى الرشيد

لعلى بن جبلة يمدح حميد بن عبد الحميد

٩٩ من ملح التشبيه لعبد الصمد بن المعذل فى صفة العقرب

من أحسن التشبيه وملحه لرجل يهجو رجلا برثاثة الحال

١٠١ لدعبل فى رجل نسبه إلى السؤدد

٤٨ — باب

مدح زياد بن عمرو للحجاج عند الوليد ابن عبد الملك .

لابن قيس الرقيات فى معاتبة المهلب

١٠٢ لدعبل بن على يذم رجلا بالبخل

١٠٣ لرجل من طيء يفتخر .

بخل الحطيئة

١٠٤ لدعبل الخزاعى يهجو

لجرير يهجو الأخطل وقومه بنى تغلب

٤٩ — باب من أخبار الخوارج

١٠٥ بيعة الخوارج لعبدالله الراسبى وتكرهه

١٠٦ وقوع واصل بن عطاء فى قبضة الخوارج وحيلته

صفحة

إرسال على عبدالله بن عباس للخوارج لمناقشتهم فى الخروج على على

١٠٧ استفتاء أعرابى عمر بن الخطاب فيمن أصاب ظبيا وهو محرم .

لقطرى بن الفجاءة يستنفر أبا خالد ورد أبى خالد عليه

١٠٨ حديث عمران بن حطان رأس القعد من الصفرية

١١٦ أول من حكم من الخوارج

أول سيف سل من سيوف الخوارج

١١٧ مناظرة على الخوارج وتسميته لهم بالحرورية

١١٨ من كلمة للصلتان العبدى

للراعى يخاطب عبد الملك

١١٩ محاربة المهلب لأصحاب نافع بن الأزرق وما قاله شاعر الأزارقة فى ذلك

١٢١ حديث الرجل الأسود الذى وقف على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر

١٢٣ واصل بن عطاء وهجاء بشار له

١٢٥ لثغة واصل بن عطاء وقدرته على تجنبها

١٢٥ محاربة على للخوارج وهرب طائفة منهم إلى مكة وقتال معاوية معهم

١٢٥ اتفاق ثلاثة من الخوارج على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص

١٢٩ لأبى زبيد الطائى يرثى عليا رضى الله عنه

للكميت يرثى عليا

١٣٠ لكثير فى محمد بن الحنفية لما حبسه بن الزبير لأبى الأسود فى آل البيت

صفحة

١٣٢ وقف على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بعين أبى نيزر

كتاب معاوية إلى أبى مروان بن الحكم يأمره فيه أن يخطب أم كلثوم لابنه يزيد

١٣٣ حديث على مع الخوارج فى أول خروجهم عليه

١٣٥ حديث الخوارج مع عبدالله بن خباب وقتلهم له

عمر غيلان بن خرشة عند زياد ونيله من الخوارج

١٣٦ معارضة مرداس بن أدية لزياد وهو يخطب من يرى رأى الخوارج من الفقهاء ومن لا يراه

كلمة (لا أبالك) وفيم تستعملها العرب

١٣٩ وصف النبى صلى الله عليه وسلم للخوارج

١٤١ انتجاع نافع بن الأزرق لابن عباس يسأل فى تفسير بعض الآيات

لجرير يهجو آل المهلب ويمدح هلال بن أحوز

١٤٤ إعراض بن عباس عن ابن الأزرق وسماعه لقصيدة عمر بن أبى ربيعة

١٤٦ إعجاب عبدالملك برجل من الخوارج

وفادة رجل على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتاب

١٤٧ صديق عبد الملك فى أيام نسكه

١٤٨ حديث بن جعدة للمنصور

١٤٩ كتاب على لأهل النخيلة من الخوارج

صفحة

١٤٩ للحميرى يعارض مذهب الخوارج
سؤال أهل النخلة لابن عباس فى السباء
١٤٩ خبر المستورد الخارجى وآدابه
١٥٠ أول من خرج بعد قتل على رضى الله عنه على معاوية
١٥٦ للعباس بن الأحنف يعاتب من اتهمه بإفشاء سره
حديث عمار بن ياسر حينما خرج مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات العشيرة
١٥٢ مقتل على ووصيته إلى أبنائه
١٥٣ خروج قريب بن مرة وزحاف الطائى بالبصرة على زياد
معاملة زياد لمن خرج من النساء
١٥٤ قتل البلجاء وهى من الخوارج
أخبار مرداس أبى بلال الخارجى
١٥٧ لعيسى بن فاتك يمدح الخوارج
١٥٩ لعمران بن حطان يرثى مرداسا
١٦٠ قتل عباد بن أخضر المازنى
للفرزدق يذكر أخذ ثأر عباد بن أخضر
١٦١ تشديد عبيدالله بن زياد على الخوارج
حديث زياد مع الخوارج
١٦٣ سياسة زياد مع الخوارج
١٦٣ الرهين وشعره
١٦٤ المختار بن أبى عبيد الثقفى ودعوته
٥٠ — باب
١٦٧ اللام التى للاستغاثة والتى للاضافة
١٦٩ حديث عبيد الله بن زياد مع رجل خارجى من سدوس

صفحة

١٧٠ فرق الخوارج
١٧١ خروج الأزارقة إلى ابن الزبير لامتحانه
١٧٤ مشايعة ابن الزبير للخوارج وسبب تفرقهم عنه
١٧٥ خروج نافع بن الأزرق إلى الأهواز
١٧٦ خروج نجدة بن عامر إلى اليمامة وكتابه إلى نافع
١٧٧ كتاب نافع إلى نجدة بن عامر
١٧٨ كتاب نافع إلى ابن الزبير يدعوه إلى أمره
١٧٩ كتاب نافع إلى من بالبصرة من المحكمة
١٧٩ ما تركه كتاب نافع فى نفوس خوارج البصرة
١٠٨ إقامة نافع بالأهواز يعترض الناس ويقتل الأطفال
١٨١ وقعة دولاب وقتل نافع بن الأزرق
١٨٢ لقطرى فى يوم دولاب
٥١ — باب النسب إلى المضاف
١٨٥ النسب إلى العلم المضاف
النسب إلى مضاف غير العلم
النسب إلى الجماعة
١٨٦ الأزارقة لا تكفر إلا من قتل
١٨٧ وقائع الأزارقة مع ولاة ابن الزبير وتغلبهم
١٨٩ استنجاد أهل البصرة بالأحنف وتدبيره الأمر . مفاوضة المهلب فى قتال الخوارج واستعداده لذلك محاربته للخوارج وكتابه إلى الوالى يبشره بالنصر

صفحة

١٩١ خطبة المهلب فى أصحابه يحثهم على قتال الخوارج
١٩٢ يوم سولاف وهزيمة المهلب وأصحابه
١٩٣ لرجل من بنى تميم يذم المهلب
السبب فى أن المهلب كان أعور كذا
١٩٤ معنى كلمة الضمار
١٩٥ الكلام على كلمة « كائن » وأصلها
١٩٦ كتاب المهلب إلى الحارث يبشره بالنصر وتهنئة المهلب بذلك
٢٠٩ مبايعة الخوارج للزبير بن على وخطبته فيهم يحثهم على الجهاد
٢٠٢ تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستقدامه للمهلب
مشاورة مصعب الناس فيمن يكفيه أمر الخوارج
٢٠٣ عمر بن عبيد الله يخلف المهلب فى قتال الخوارج
٢٠٧ حصار الخوارج لعتاب بن ورقاء وانتصاره عليهم
٢٠٨ الكلام على لولا عند اتصالها بالضمير
٢١٠ مبايعة الخوارج لقطرى بعد قتل الزبير بن على
٢١٠ محاربة المهلب للخوارج وطردهم من الأهواز إلى رامهرمز
١١٢ كتاب عبد الملك إلى المهلب بولايته بعد قتل مصعب
عزل خالد بن عبيد الله المهلب ومحاربته للخوارج
٢١٢ فيروز حصين ومآثره

صفحة

٢١٣ تولية خالد لأخيه عبد العزيز وقتاله الأزارقة وهزيمته
٢١٨ كتاب خالد إلى عبد الملك يعذر أخيه
كتاب عبد الملك إلى خالد بالعزل وتولية أخيه بشر بن مروان
كتاب عبد الملك إلى أخيه بشر يأمره أن يولى المهلب قتال الأزارقة وكراهيته لذلك
٢:٩ كتاب عبد الملك إلى أخيه يعزم عليه أن يولى المهلب
٢٢٠ موت بشر بن مروان واضطراب الجند على ابن مخنف اجتماع الكلمة بولاية الحجاج أمر العراق
٢٢٢ كتاب الحجاج إلى المهلب يأمره بالجد فى قتال الأزارقة ورد المهلب عليه
٢٢٣ كتاب الحجاج إلى المهلب يستبطئه ويتهدده ورد المهلب عليه
٢٢٥ إرسال الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه
٢٢٨ إرسال الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطئه فى مناجزة القوم وسؤاله عما رآه كتاب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء يأمره بالمسير إلى المهلب
٢٣٠ وقوع الخلاف بين عتاب والمهلب بسبب أرزاق الجند وسعى المغيرة بينهما بالصلح
٢٣١ دهاء المهلب وقوة حيلته فى ايقاع الخلاف بين الخوارج

صفحة

انقسام الخوارج وانضمام بعضهم إلى عبد ربه الصغير
ارتحال قطرى وبقاء عبد ربه
٢٣٣ كتاب الحجاج يستحثه
٢٣٥ كتاب المهلب إلى الحجاج
٢٣٦ ما قاله عبد ربه لأصحابه عند اشتداد الحصار عليه واستعدادهم للقتال
٢٤٤ اشتداد الحرب بين الفريقين وانتهاؤها بقتل عبد ربه وهزيمة الخوارج
٢٤٤ رسولا المهلب إلى الحجاج وسؤاله لهما عن أبناء المهلب
كتاب المهلب إلى الحجاج بالنصر
ورد الحجاج عليه
٢٤٥ تولية المهلب ابنه يزيد على كرمان وقدومه على الحجاج .
الحجاج يكرم وفادة المهلب ويثني عليه
٢٤٧ الحجاج يطلب من المهلب أن يصف له بلاء أصحابه
٢٤٨ ليزيد بن حبناء من الأزارقة وتفسير ما ورد فى ذلك من الغريب
٢٥٠ للمغيرة بن حبناء الحنظلى من أصحاب المهلب يمدحه

٥٢ - باب

فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ

٢٥١ ما قيل فى الموعظة
٢٥٢ خطبة أبى طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تزويجه خديجة .
وفادة النابغة الجعدى على ابن الزبير يستجديه وما وقع بينهما من المحاورة

صفحة

٢٥٤ تحريض سديف السفاح على الفتك بسليمان بن هشام .
تحريض شبل بن عبد الله بن على على التنكيل بثمانين رجلا من بنى أمية وتفسير ما فى شعره من الغريب
٢٥٧ مكانة أسامة بن زيد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٥٨ الموالى عند العرب
٢٥٩ ما قيل من الشعر فى رثاء الاخوة والابناء والآباء
٢٦٦ لمعاوية لما أتاه موت عتبة ثم زيد
٢٦٧ للفرزدق يرثى حدراء الشيبانية
لجرير يرثى امرأته
لرجل من خزاعة يرثى عمر بن عبد العزيز
٢٦٨ لعلى بن أبى طالب يتمثل عند قبر فاطمة عليها السلام
٢٦٨ لعقيل بن علفة يرثى ابنه علفة
٢٦٩ لأعرابى فى الرثاء
حديث عامر بن الطفيل وأربد أخى لبيد
٢٧٠ للبيد يرثى أخاه أربد
٢٧١ لأعرابى فى الرثاء
حديث صدار الخنساء
٢٧٢ من مات له أكثر من ابنين
٢٧٣ المصائب تقع على ضربين
لأوس بن حجر يرثى فضالة وتفسير الغريب
٢٧٥ لليلى الأخيلية ترثى توبة وتفسير الغريب

صفحة

٢٧٩ للخنساء ترثى أخاها معاوية وتفسير ما ورد فى ذلك من الغريب
٢٨٢ ولها أيضاً ترثى أخاها معاوية وتفسير الغريب
٢٨٥ كيف قتل معاوية أخو الخنساء
التقاء صخر بقاتلى أخيه معاوية
٢٨٦ إغارة صخر على قاتلى أخيه
الخنساء ترثى أخاها صخراً
٢٨٧ كيف قتل صخر أخو الخنساء
٢٨٨ لابن مناذر يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى
٢٩١ قصيدة أعشى باهلة يرثى بها المنتشر بن وهب وتفسير ما ورد فيها من الغريب
٢٩٥ لمتمم بن نويرة يرثى أخاه مالكا وتفسير ما فيه من الغريب
٢٩٩ وله أيضا يرثى فى حضرة أبى بكر
٣٠٠ وله أيضا وهو من طريف شعره
وله من كلمة يرثى بها مالكا

٥٣ - باب

٣٠١ بعض من جزعوا عند الموت
٣٠٣ بعض من ظهرت منه عند الموت قسوة
٣٠٥ بعض من وقفوا على قبرهم وأثنوا عليهم
٣٠٧ لليلى الأخيلية ترثى توبة
٥٤ « وهذا باب طريف من أشعار المحدثين »
لمطيع بن إياس فى يحيى بن زياد الحارثى
٣٠٨ لأبى عبد الرحمن العتبى يرثى على بن سهل
حديث رجل معتكف على قبر وهو يبكى

صفحة

٣٠٩ ليعقوب بن الربيع فى جارية له
٣١١ ليزيد المهلبى يرثى المتوكل

٥٥ - باب

ذكر الأذواء من اليمن فى الاسلام
٣١٣ الأذواء فى الجاهلية
الأذواء فى الاسلام
٣١٤ من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية
٣١٥ الفرق بين معرفة الحيوان ونكرته وبين مذكره ومؤنثه
٣١٦ خطبة أعرابى بالبادية
من خطبة لعمر بن عبد العزيز
خطبة عتبة بن أبى سفيان بالموسم
٣١٨ خطبة عتبة بمصر وكان قد وجد عليهم
خطبة داود بن على العباسى فى أول موسم ملكه بنو العباس بمكة
ماقاله معاوية عند وفاته
٣١٩ ما قيل فى حضرة يزيد بن معاوية يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة
أكلة خالد بن صفوان
٣٢٠ كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله يدعوه إلى طاعته ورد محمد عليه
كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله
٣٢٤ رسالة هشام إلى خالد بن عبد الله القسرى
٣٢٧ طائفة من الأشعار المختارة
٣٢٨ ذكر آيات من القرآن قد يغلط فى مجازها النحويون